



الجمهورية العربية السعودية
الدراسات الدعوية
بصيرة

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة

الدراسات الدعوية

مجلة علمية دورية محكمة

العدد الرابع عشر

ربيع الأول ١٤٤٥هـ

المشرف العام

د. شبيب بن حسن الحقباني

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

أ.د. خالد بن هدوب المهيدب

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. عبدالله بن إبراهيم الطويل

أ.د. خالد بن حسن العبري

د. طالب بن أحمد الهمامي

أ.د. سلطان بن عمر الحصين

أ.د. علي بن أحمد الأحمد

أمين المجلة

د. راشد بن محمد الجاسر

المراسلات:

تتم المراسلات باسم رئيس هيئة تحرير المجلة على العناوين التالية:

المملكة العربية السعودية ص ب ٤٨٤٧ - الرياض ١١٤١٢

هاتف: ٠٠٩٦٦-١١-٢٥٨٥٠٩٦

هاتف: ٠٠٩٦٦-١١-٢٥٨٥٠٩٣

بريد الجمعية الإلكتروني:

bsserah@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ردمک: ۱۶۵۸-۳۸۸۴ إیداع: ۹۲۴ / ۱۴۲۹

قواعد النشر

أولاً: يشترط في البحث الذي ينشر في المجلة ما يلي:

- ١- أن يكون البحث متخصصاً في الدعوة والرقابة والدراسات الإسلامية المعاصرة.
- ٢- أن يكون متمسكاً بالأصالة وسلامة الاتجاه.
- ٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.
- ٤- أن تتحقق فيه السلامة اللغوية.
- ٥- أن تكتب الآيات بالرسم العثماني.
- ٦- أن يكون ملتزماً بعلامات التقييم المتعارف عليها.
- ٧- أن لا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر لجهة أخرى.
- ٨- أن لا يكون مستقلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

ثانياً: أن تكون الهوامش والمصادر على النحو التالي:

- ١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.
- ٢- تثبت المصادر والمراجع في قائمة في آخر البحث مع استيفاء معلوماتها، مثال: معالم الدعوة، عبد الوهاب بن لطف الديلمي ط ١ (جدة، دار المجتمع، ١٤٠٦هـ).

٣- توضع نماذج من صور المخطوط إن وجد في المكان المناسب.

ثالثاً: عند ورود أعلام أجنبية في متن البحث تكتب بحروف عربية، وتكتب بين

قوسين بحروف لاتينية.

رابعاً: يشترط عند تقديم البحث ما يلي:

- ١- أن يقدم الباحث طلباً لرئيس تحرير المجلة بنشر بحثه، والتزاماً بعدم نشره إلا بعد موافقة خطية من هيئة تحرير المجلة.
- ٢- يقدم الباحث خمس نسخ من البحث يتضمن ملخصاً باللغتين (العربية- والإنجليزية) بحدود (٢٥٠) كلمة.

٣- أن لا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (A٤).

٤- أن يكون البحث مكتوباً على برنامج (Word Microsoft) متوافق مع الإصدارات الحديثة، وأن يكون حجم خط متن البحث مقاس ١٦، وحجم خط الإحالات في الهامش بحجم ١٤ Traditional Arabic.

٥- أن يترك مسافة قدرها (٤.٥) سم على كل جانب من صفحة (A٤) وكذلك (٥) سم من أعلى وأسفل الصفحة، لتكون الكتابة على مساحة قدرها (٢٠×١٢) سم بما في ذلك رقم الصفحة الذي يكون في وسط أسفل الصفحة. خامساً: يتم تحكيم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل من المتخصصين، على أن يقوم الباحث بإيداع مبلغ (٢٠٠٠) ألفي ريال في حساب الجمعية).

سادساً: يلتزم الباحث بتقديم البحث الذي يجتاز التحكيم وبعد إجراء التعديلات إن وجدت على قرص حاسوبي، وإرساله بالبريد الإلكتروني.

سابعاً: لانعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

ثامناً: يعطى الباحث خمس نسخ من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه.

تنبیه: الأبحاث الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.

مقدمة العدد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
وبعد:

انطلاقاً من حرص الجمعية السعودية للدراسات الدعوية في مواصلة رسالتها العلمية في دعم وتأصيل الدراسات الدعوية الرامية لترسيخ مبدأ الوسطية السمحاء الذي قامت عليه المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها، والذي يستند إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وفق منهج قائم على نبد الأفكار والأطروحات الحزبية، وتجلية المفاهيم المغلوطة عن الدعوة إلى الله تعالى والقائمين عليها، وتقديم دراسات نوعية متخصصة، وبفضل الله تعالى فقد اشتمل هذا العدد (الرابع عشر) على الأبحاث العلمية الآتية:

- ١) الإعداد والتخطيط للنصيحة.
 - ٢) وسائل الفكر التنصيري المعاصر (دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وأبعاد مخاطرها).
 - ٣) توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله تعالى.
 - ٤) علماء الشريعة وأثرهم الثقافي على الفرد والمجتمع.
 - ٥) منهج الداعية بين الأقوال وتطبيقاتها العملية وأثرها الدعوي.
 - ٦) حديث عمرو بن عبسة - رضي الله عنه - "كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة" (دراسة دعوية).
 - ٧) حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام.
- نتطلع أن تكون هذه الأبحاث العلمية إضافة مميزة للعاملين في حقل الدعوة إلى

الله تعالى، والباحثين والمتخصصين في مجال الدعوة.
وبهذه المناسبة فإننا نهيئ بالعلماء والباحثين والمختصين تناول الموضوعات
الرئيسية في مجال الدعوة في أبحاثهم ونشرها عبر هذا المنفذ من خلال بريد
الجمعية الإلكتروني baserah@imamu.edu.sa، وفق اشتراطات
النشر العلمي،،
وفقنا الله وإياكم لكل خير ...

رئيس هيئة التحرير

أ. د خالد بن هدوب المهيدب

الفهرس

الصفحة	الباحث	الموضوع
٧		قواعد النشر
٩		مقدمة العدد
٦٢-١٣	د. عبد المحسن بن عثمان الباز	١/ الإعداد والتخطيط للنصيحة.
١١٤ - ٦٣	د. عبد الله بن علي المبارك	٢/ وسائل الفكر التنصيري المعاصر (دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وأبعاد مخاطرها).
١٤٤-١١٥	د. عبير بن خالد الشلهوب	٣/ توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله تعالى.
١٩٤ - ١٤٥	د. محمد بن سرار اليامي	٤/ علماء الشريعة وأثرهم الثقافي على الفرد والمجتمع.
٢٤٦-١٩٥	د. سهل بن عبيد الله الحري	٥/ منهج الداعية بين الأقوال وتطبيقاتها العملية وأثرها الدعوي.
٣٠٢-٢٤٧	د. عبد المجيد بن حسن بحاري	٦/ حديث عمرو بن عبسة - رضي الله عنه - "كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة" (دراسة دعوية).
٣٧٢-٣٠٣	د/ فهد بن إبراهيم بن حاضر	٧/ حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام.

البحث رقم (١)

الإعداد والتخطيط للنصيحة

إعداد

د. عبد المحسن بن عثمان الباز

الأستاذ المساعد بالمعهد العالي للدعوة والاحتساب

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المملكة العربية السعودية

ملخص البحث

(الجودة) منهج شرعي ومسلك نبوي.. ضلت عنه الإنسانية زماً.. ثم عادت مؤخرًا لتلتفت إليه.. وتنادي به في كافة نشاطاتها.. وبدأت الجهات العلمية والتدريبية على المستوى العالمي تتدارس موضوعات: الجودة، والجودة الشاملة، وإدارة الجودة.. ونحوها من الموضوعات التي تعنى بضمان انتاج مخرجات تتسم بأعلى قدر ممكن من الإتقان والإحسان.. وتلقى هذه المعارف والمفاهيم رواجاً كبيراً على كافة المستويات الاقتصادية والإدارية والاجتماعية وحتى التربوية.

ولما كانت الدعوة إلى الله، والنصيحة الدعوية على وجه الخصوص من أجل الأعمال التي اختارها الله تعالى لصفوة خلقه وهم أنبياءه ورسله عليهم السلام ومن تبعهم بإحسان؛ فإن الحديث عن تجويد وتحسين وإتقان أدائها من أهم الأمور وأوجب الواجبات.

وقد وفق الله تعالى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في كلية الدعوة والإعلام بإقامة هذا المؤتمر المبارك حول (النصيحة) سعياً منها إلى تأطير مفاهيم وسبل الجودة والإتقان لهذه العبادة الجليلة.

وهذا البحث يعالج عنصراً واحداً من العناصر التي تسهم في تحقيق الجودة والتحسين والإتقان للنصيحة، وهو عنصر (الإعداد والتخطيط للنصيحة) حيث يتناول البحث مفهوم الإعداد والتخطيط للنصيحة، ومشروعيته، وأهميته، ويسرد البحث بعض الشواهد التطبيقية على هذا المنهج من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسلف الأمة، ثم يركز على مجالات هذا الإعداد والتخطيط و ملامح من كفيته، ويختتم بأنواع هذا الإعداد والتخطيط، وبالله المعونة ومنه الهدى والسداد.

Research Summary

(Quality) .. a legal approach and a prophetic path .. Humanity strayed from it for a long time .. Then it returned recently to turn to it .. and call for it in all its activities .. And the scientific and training bodies at the global level began to study topics: quality, total quality, and quality management .. And other topics that are concerned with ensuring the production of outputs that are characterized by the highest possible degree of perfection and benevolence.. These knowledge and concepts are very popular at all economic, administrative, social and even .educational levels

And since the call to God, and the advocacy advice in particular, is for the actions that God Almighty chose for the elite of His creation, and they are His prophets and messengers, peace be upon them, and those who follow them in goodness; Talking about improving, improving and mastering its performance is .one of the most important things and duties

And God Almighty has enabled the Imam Muhammad bin Saud Islamic University, represented by the College of Da'wah and Media, to hold this blessed conference on "advice" in an effort to frame the concepts and methods of quality .and mastery of this great worship

This research deals with one of the elements that contribute to achieving quality, improvement, and mastery of advice, which is the element (preparation and planning for advice), where the research deals with the concept of preparation and planning for advice, its legitimacy, and its importance. The nation, then focuses on the areas of this preparation and planning and the features of how it is, and concludes with the types of this preparation and planning, and God is the aid and guidance and guidance from Him.

١- المقدمة:

الحمد لله الذي أفاض على عباده الرحمات فأرسل إليهم رسلاً من أنفسهم يحضونهم النصح ويهدونهم سبل الرشاد ، والصلاة والسلام على أنصح الخلق للخلق؛ الذي عظم شأن النصيحة حتى جعلها هي الدين فقال ﷺ (الدين النصيحة) (١) فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ... فإن المتأمل لسير الدعاة إلى الله تعالى ، وعلى الأخص مواقف النصح التي جرت في سيرهم ، بدءاً بأنبياؤه الله تعالى ورسوله الكرام عليهم الصلاة والسلام ؛ ثم من تبعهم بإحسان إلى هذا الزمان ؛ من الدعاة إلى الله تعالى على بصيرة، السائرين على نهج الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، يجد أن النصيحة التي بذلها هؤلاء القدوات في مواقفهم الدعوية لم تكن . فيما يظهر . قولاً مرتجلاً يعتمد على ما عنّ في ذهن الناصح لحظة إسداء النصيحة "عفو الخاطر" ؛ بل يترجح أن النصيحة الدعوية كانت في مواقف عديدة معدة سلفاً بقدر من الإعداد ، ولو للحظات من التأمل الذهني، ومخطط لها بشيء من التهيئة المسبقة . طالت هذه التهيئة أو قصرت . بما يتناسب مع طبيعة المدعو وطبيعة الموضوع الدعوي، وطبيعة البيئة الدعوية التي تُدار فيها هذه النصيحة؛ الأمر الذي كان له أثره الأقوى في هداية المدعوين وإقناعهم أو إقامة الحجة عليهم، ولا شك أن العادة قد جرت بأن نصيحة الداعية لصاحب ولاية أو جاه، أو صاحب شبهة دقيقة، أو شهوة متحذرة؛ قد تتطلب منه قدراً من التهيئة والإعداد وانتقاء الألفاظ والأساليب وحسن ترتيب المضامين ونحو ذلك .. بقدر أكمل من نصيحة هذا الداعية لسوى هذه

(١) مسلم، صحيح مسلم، من حديث تميم الداري رضي الله عنه ، [بيروت . دار ابن حزم . ط ١ | الأولى ١٤١٦هـ] كتاب : الإيمان ، باب : بيان أن الدين النصيحة ، (ح ٥٥) (٧٥/١) .

الأصناف، كمن هم دون الداعية في المنزلة النسبية أو العرفية أو من له عليهم ولاية ، أو من هم متلبسون بشبهات أو شهوات أقل عمقا وتحذرا .

وعلى سبيل المثال ؛ نجد فيما سطره لنا القرآن الكريم من خبر نصيحة نبي الله إبراهيم عليه السلام أباه آزر أمودجاً واضحاً لترتيب المضامين والأساليب بخطوات متسلسلة وإتقان بديع للترقي بذلك المدعو ، وتجنب ما يشغله عن الانتفاع بالنصيحة قبل اكتمالها بأساليب عدة منها الإجابة على ما قد يعنّ له من شبهات أو غيرها من عوائق التلقي قبل أن تقفز إلى ذهنه وتسيطر عليه وتشغله عن الاستيعاب ؛ وغيرها من ملامح الإعجاز البياني البديع في سبك هذه النصيحة ؛ مما يشهد بتأييد الله تعالى لنبيه عليه السلام وحسن تسديده له ، كما قد يوحي . خاصة في شأن غير الأنبياء عليهم السلام . بشيء من الإعداد والتخطيط المسبق للنصيحة الدعوية قبل عرضها حتى لو كان ذلك الإعداد . كما أسلفنا . لوضع لحظات ، قال تعالى : ﴿ وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾ (٤٢) (١) فخاطبه بغاية التلطف بلفظ (يا أبت) ، ثم لم يُسمِّ الأَصْنَامَ بأسمائها التي يعرفها أبوه آزر ؛ بل أضاف لها وصفاً جديداً على هذا المنصوح لافتنا انتباهه ؛ ومثيراً فضوله للإنصات طلباً للاستفصال ، ليضمن الناصح . بذلك . حرص المنصوح على الاستمرار في سماع بقية النصيحة أياً كانت ، ولعل إبراهيم عليه السلام تفتن إلى عائق من عوائق الانتفاع بالنصيحة وهو أنه من غير المعتاد أن يتولى الابن نصيحة أبيه ، بل جرى العرف على العكس !! ؛ لذا بادر الناصح إبراهيم عليه السلام إلى تحييد هذا العائق قبل أن يعمل عمله في صرف المنصوح عن الانتفاع بالنصيحة ؛ فبادر إبراهيم عليه السلام أباه ببيان المبرر الذي دفعه لمبادأة أبيه بالنصح ؛ فأوضح له

(١) سورة (مریم) / (٤٢:٤١) .

أن الدافع لنصحته ليس الاستهانة بعلو مكانة الأب النسبية ، ولا تجاهل ما هو عليه من السبق في العمر والخبرات ، بل المبرر : وحي إلهي من الله تعالى أوحى به إلى إبراهيم عليه السلام ، ومعارف لدنية لا قبل للبشر بالإحاطة بها إلا بوحي من الله تعالى يوحيه إلى رسله: ﴿يَتَأْتِيَنِي إِيَّيْ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ ﴿٤٣﴾^(١) . إلى آخر هذه النصيحة الدعوية البليغة التي ظهر فيها التسلسل البديع المنبثق عن حسن الإعداد ، فضلاً عن الإلهام والتوفيق من الله تعالى لهذا النبي الكريم القدوة في نصحه ودعوته .

وهذا صفوة الخلق صلوات ربي وسلامه عليه يوم الحديبية يُعدُّ للموقف الدعوي والنصيحة الدعوية إعداداً مادياً محسوساً وليس إعداداً قولياً فحسب ؛ فيهيئ البيئة المحفزة على قبول النصيحة ، لتكون النصيحة أعمق تأثيراً وأكثر مواءمة مع طبيعة المدعو ؛ وقد كان الموقف يتطلب وعظ قريش وإسداء النصيحة لهم بأن يجذروا من التعرض لبطش الله تعالى بصددهم من يقصد بيته الحرام للعمرة أو الحج ، وكانت قريش قد أرسلت له ﷺ . فيمن أرسلت للمفاوضة . (الحلس بن علقمة الكناني ، وهو يومئذ سيد الأحابيش ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : (هذا من قوم يتأهلون ، فابعثوا الهدى في وجهه) فبعثوا الهدى ، فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده ، قد أكل أوتاره من طول الحبس في محله رجع ، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى! ، فقال يا معشر قريش

(١) سورة (مریم) (٤٣).

!! ، قد رأيت ما لا يحل صدّه : الهدى في قلائده قد أكل أوتاره من طول الحبس عن محله ، فقالوا : اجلس إنما أنت أعرابي لا علم لك (...)^(١) وهكذا نشأ الرعيل الأول من مدرسة النبوة، فهذا فاروق هذه الأمة عمر رضي الله عنه حين فجع مع من فجع بأمر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وبلغه أن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، وقد خطبهم سعد بن عبادة رضي الله عنه في شأن تولى الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال عمر رضي الله عنه : (فلما سكت أردت أن أتكلم وقد زوّرت^(٢) في نفسي مقالة قد أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر ، وكنت أداري منه بعض الحدّ^(٣) فقال أبو بكر رضي الله عنه : على رسلك يا عمر! ، فكرهت أن أغضبه ، فتكلم ، وهو كان أعلم مني وأوقر ، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني من تزويري إلا قالها في بديهته ، أو مثلها ، أو أفضل حتى سكت^(٤)) قال ابن حجر - رحمه الله - : (زورت مقالة : أي هيأتها وصورتها في نفسي)^(٥) .

-
- (١) الإمام أحمد ، المسند [بيروت . مؤسسة الرسالة . ط الأولى ١٤٢١ هـ . بتحقيق شعيب الأرنؤوط] برقم (١٨٩١٠) (٢١٤/٣١) وصححه الألباني ، تحقيق الألباني لفقهِه السيرة لمحمد الغزالي [دمشق . دار القلم . ط السابعة ١٩٩٨ م] (ص ٣٢٦)
- (٢) التزوير تهية الكلام وتقديره ، انظر : أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، الزاهر في معاني كلمات الناس [بيروت - مؤسسة الرسالة . ط الأولى ١٤١٢ هـ] (١/٤٢٠) .
- (٣) الحدّ : الحدُّ والحدّة سواء ، من الغضب ، انظر : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر [بيروت . المكتبة العلمية . ط ١٣٩٩ هـ] (١/٩٠٩) .
- (٤) ابن هشام ، السيرة النبوية [بيروت . دار الجيل . ١٤١١ هـ] (٦/٨٠) .
- (٥) ابن حجر ، فتح الباري [بيروت . دار الفكر . بتحقيق محب الدين الخطيب وتعليق الشيخ عبدالعزيز بن باز] (١/١٢٨) .

ولا شك أن الإتقان والإعداد المسبق من أجديات هذا الدين العظيم المحكم، قال تعالى : ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١) وقال جل من قائل: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ﴾^(٢)

ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث ليلقي الضوء على مقوم أحسبه من أهم مقومات نجاح النصيحة الدعوية ألا وهو: الإعداد والتخطيط للنصيحة من حيث المقصود بهذا الإعداد وأدلة مشروعيته وشواهدة ومجالاته وأنواعه.

٢- مشكلة البحث وأهميته :

تتحلى مشكلة البحث في ظاهرة ضعف تقبل كثير من المدعويين للنصيحة الدعوية ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) رغم اشتغالها أحياناً على بعض ما يجب من توفر النصوص والبراهين ونحوها، وقد يرجع هذا الإعراض لأسباب منها عدم تنبه بعض الدعاة - وفقهم الله - لأهمية التخطيط للنصيحة قبل عرضها على المدعو - ولو للحظات - لتحقيق مستوى أعلى من مناسبتها للمدعو من حيث الأسلوب وانتقاء وترتيب الشواهد والهوية الدعوية المناسبة وصولاً - بإذن الله تعالى - إلى قدر أعلى من التأثير والإقناع .

كما يؤكد أهمية الموضوع ما دلت عليه النصوص من وجوب إتقان النصيحة والعناية بتجويدها والسعي لبلوغها الغاية والمقصد منها، فنصوص الأمر بالدعوة تأتي مقرونة بالضوابط التي تزيد فرصة تقبلها والانتفاع بها، قال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ

(١) سورة البقرة / ١٩٥ .

(٢) سورة الأنفال / ٦٠ .

(٣) سورة يوسف / ١٠٣ .

بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿١﴾، وقال سبحانه: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ﴿٢﴾.

٣- أهداف البحث :

يهدف البحث إلى ما يلي :

- ١- بيان مفهوم الإعداد والتخطيط للنصيحة .
- ٢- بيان مشروعية الإعداد والتخطيط للنصيحة وأهمية هذا الإعداد .
- ٣- استعراض شواهد الإعداد للنصيحة في الكتاب والسنة النبوية وفي سير الدعاة إلى الله.

٤- عرض مجالات الإعداد والتخطيط.

٥- بيان أنواع الإعداد والتخطيط للنصيحة.

٤- تساؤلات البحث:

سيجيب البحث - بإذن الله عن التساؤلات التالية:

- ١- ما مفهوم الإعداد والتخطيط للنصيحة ؟
- ٢- ما مشروعية الإعداد والتخطيط للنصيحة ؟
- ٣- ما مدى أهمية هذا الإعداد ؟
- ٤- ما شواهد الإعداد للنصيحة في الكتاب والسنة النبوية وفي سير الدعاة إلى الله ؟
- ٥- ما مجالات الإعداد والتخطيط ؟

(١) سورة (النحل/ ١٢٥) .

(٢) سورة (النور/ ٥٤) .

٦- ما أنواع الإعداد والتخطيط للنصيحة ؟

٥- الدراسات السابقة :

حفلت المكتبة الإسلامية - بفضل الله تعالى - بالعديد من المؤلفات والأبحاث المتعلقة بالنصيحة في القديم والحديث ، مثل كتاب (النصيحة الولدية/ وصية أبي الوليد الباجي لولديه /أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت ٤٧٤هـ) ، وكتاب (الفرق بين النصيحة والتعير/ للإمام الحافظ زين الدين ابن رجب الحنبلي المتوفى سنة (٧٩٥هـ)، واتجهت بعض الكتابات لشرح حديث "الدين النصيحة" مثل كتاب (النقول الصريحة في شرح حديث الدين النصيحة /أبي يوسف محمد زايد/ ط ١٤٢٧) وكتاب (الرسالة الفصيحة في فهم حديث الدين النصيحة/عبد العلي بلامين) ، كما نظمت جامعة الإمام ممثلة في كلية الدعوة والإعلام مؤتمرا عالميا بعنوان (مؤتمر "النصيحة .. المنطلقات والأبعاد" خلال الفترة من ٢٧-٢٩ محرم ١٤٣٤هـ). تلقت فيه اللجنة العلمية للمؤتمر قريبا من أربعمئة بحث حول المحاور التي وضعتها اللجنة العلمية المنظمة للمؤتمر ، كان من تلك الأبحاث : الصورة الأولية لبحثي هذا (الإعداد والتخطيط للنصيحة) حيث نال استحسان اللجنة ، وتشرفت بعرضه في إحدى جلسات المؤتمر لتمييزه في موضوعه ، ولا شك ان هذا التراكم العلمي الغزير لموضوع النصيحة له دلالة واضحة على أهمية الموضوع ، إلا ان الباحث لم يعثر - في حدود اطلاعه- على أي بحث تناول موضوع (التخطيط للنصيحة) وفقا لطريقة التناول التي سلكها هذا البحث.

٦- منهج البحث :

يقوم هذا البحث على:

١- المنهج الاستقرائي وهو: الحكم على الكل بما يوجد في جزئياته جميعا .. فالاستقراء يدرس بعض الجزئيات والظواهر بغية الكشف عن العلل والعلاقات التي تجمع بينها لنصل

بهذا إلى معرفة القوانين العامة أو القضايا الكلية^(١)، وسيوظف الباحث هذا المنهج عند استقراء شواهد الإعداد للنصيحة في الكتاب والسنة النبوية وفي سير الدعاة إلى الله.

٢- والمنهج الاستدلالي الاستنباطي: وهو المنهج الذي يبدأ الباحث السير فيه من قضايا ثابتة ومسلم بها إلى قضايا أخرى تتضمنها وتنتج عنها بالضرورة دون الالتجاء إلى التجربة^(٢) وسيوظف الباحث هذا المنهج عند الحديث عن مشروعية الإعداد والتخطيط للنصيحة وأهميته ومجالات وأنواع الإعداد للنصيحة.

٧- تقسيمات البحث :

وقد جاءت خطة هذا البحث في مقدمة وخمس مباحث ، على النحو التالي :

مقدمة البحث: [وتشمل أهمية الموضوع ، ومشكلته البحثية وسبب اختياره ، وأهدافه، وتساؤلاته ، والدراسات السابقة ، ومنهج البحث وتقسيماته]

المبحث الأول: مفهوم الإعداد والتخطيط للنصيحة .

المبحث الثاني: مشروعية الإعداد والتخطيط للنصيحة وأهميته .

المبحث الثالث: شواهد الإعداد للنصيحة في الكتاب والسنة النبوية وفي سير الدعاة إلى الله.

المبحث الرابع: مجالات الإعداد والتخطيط.

المبحث الخامس: أنواع الإعداد والتخطيط للنصيحة.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

(١) د . فرج الله عبدالباري ، مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة ، (ص٤٦).

(٢) غازي بن حسين عناية ، مناهج البحث (ص٨١) .

المبحث الأول

مفهوم الإعداد والتخطيط للنصيحة

الإعداد: العين والدال (عدّ) أصل صحيح واحد، لا يخلو من العدّ الذي هو الإحصاء، ومن الإعداد الذي هو تهيئة الشيء ... والعدّة: ما أعدّ لأمرٍ يحدث ، يقال أعددت الشيء أعدّه إعداداً ، واستعددت للشيء وتعدّدت له (١) ، قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (٢) الإعداد هو التهيئة والإحضار (٣).

والتخطيط: الحاء والطاء أصل واحد ، وهو أثر يمتد امتداداً ، فمنه خط الكاتب ، وخط الزاجر ، قال تعالى : ﴿أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ (٤) ، قالوا هو الخط ، ومنه الخطّة: وهي الأرض يختطها المرء لنفسه ، ومنه الخطّة وهي الحال ، يقال هو بخطة سوء ، ويقال: في رأس فلان خطيّة ، قيل : إنما هي خطة وهي أمر يُحطّ ويؤتّر (٥) وفي الحديث . في يوم الحديبية . (لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرّات الله إلا أعطيتهم إياها) (٦) وفي

(١) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة [بيروت . دار الفكر . ط ١٣٩٩هـ . بتحقيق عبدالسلام هارون] (٢٩/٤) .

(٢) سورة الأنفال / ٦٠) .

(٣) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، [تونس . الدار التونسية للنشر . ط ١٩٨٤م] (٥٥/١٠) .

(٤) سورة الأحقاف (آية رقم ٤) .

(٥) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، [مرجع سابق] (١٥٤/٢) .

(٦) صحيح البخاري ، [القاهرة . دار الشعب . ط الأولى ١٤٠٧هـ] كتاب : بدء الوحي ، باب :

الشروط في الجهاد والمصالحة ، (٢٥٣/٣)

الحديث أيضاً: (أنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها)^(١) أي أمراً واضحاً في الهدى والاستقامة (٢)، والخُطَّة كالحط كأنها اسم للطريقة (٣).

والتخطيط يدخل اليوم في علوم الإدارة والتنمية البشرية (٤) ، ومن معاني التخطيط . في هذه العلوم . أنه : (وضع الفروض أو الافتراضات المتعلقة بالمستقبل فيما يتعلق بتحديد الأنشطة الواجب القيام بها من أجل تحقيق النتائج المرجوة) (٥) ، فهو إذاً (التقرير المقدم لما يجب عمله ، وكيف يمكن عمله ، ومتى يمكن عمله ومن الذي يقوم بالعمل ، وكذلك هو الافتراضات لما ستكون عليه الأحوال في المستقبل ، ثم وضع خطة تبين الأهداف المطلوب الوصول إليها ، والعناصر الواجب استخدامها لتحقيق الأهداف ، وكيفية استخدام هذه العناصر ، وخط السير ، والمراحل المختلفة الواجب المرور بها ، والوقت اللازم لتنفيذ الأعمال) (٦) .

والنصيحة: النون والصاد والحاء أصل يدل على ملاءمة بين شيئين وإصلاح لهما أصل ذلك: الناصح: الخياط، والنَّصائح: الخيط يخاط به، ومنه النصح والنصيحة بخلاف الغش، وتوبة نصوح: صحيحة ليس بها خروق ولا ثلثة، وناصح العسل: الخالص الذي لا

(١) المرجع السابق ، الموضوع نفسه .

(٢) الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر [- بيروت ، المكتبة العلمية . ١٣٩٩هـ] [١١٧/٢] .

(٣) ابن منظور ، لسان العرب [بيوت . دار الفكر . ط الأولى ١٤١٠هـ] [٢٨٧/٧] .

(٤) يرى علماء الإدارة أن العملية الإدارية تقوم على التخطيط ثم التنظيم ثم التوجيه ثم الرقابة ثم التقييم ، انظر مثلاً : كامل المغربي ، أساسيات الإدارة ، [الأردن . دار الفكر . ط ١٩٩٥م] [ص ١٩] .

(٥) عبده ناجي ، الإدارة العامة (مدخل إداري) [القاهرة . دار النهضة . ط ١٤١١هـ] [ص ٧٩] .

(٦) د. محمد البشير محمد عبد الهادي ، دور الإدارة التربوية في تخطيط وتنظيم وتوجيه حلقات القرآن الكريم ، [ط الأولى . ١٤٢٩هـ] [ص ١٣] .

يتخلله ما يشوبه^(١)، قال الخطابي : النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له ، وليس يمكن أن يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تحصرها وتجمع معناها غيرها، وأصل النصح في اللغة: الخلاص؛ يقال نصحت العسل إذا خلصته من الشمع^(٢). ومما لا يخفى أن النصيحة تتضمن ما يقوم به الداعية من "مبادرات" لتبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة ، كما تتضمن ما يقوم به المحتسب من "ردود أفعال شرعية" لأمر الناس بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهيهم عن المنكر إذا ظهر فعله .

التعريف الإجرائي للإعداد والتخطيط للنصيحة في هذا البحث:

لا شك أن من معاني "الإعداد": التهيئة المسبقة وتصوير ما يراد قوله أو فعله أو تهيئته قبل الشروع فيه ولو للحظات ، كما إن "التخطيط" . فيما يظهر . قد يكون جزءاً من الإعداد وهو أخص منه من جهة تركيزه على تحديد الأهداف وما يلزم لتحقيقها والمراحل التي يجب سلوكها مع تحديد من يقوم بالمهمة؟ ومتى؟ ، ولا شك أن من معاني "النصيحة" : التوجه للمنصوح بما يحقق له الخير في شأن دينه ودنياه ؛ بدءاً بموقف دعوي أو حسي واحد محدود الزمان والمكان ، ومحدود الهدف والمستهدف بالنصيحة وموضوعها ، ومروراً بالبرامج قصيرة ومتوسطة وطويلة المدى التي تصب في هذا الإطار ، ووصولاً إلى المعنى العام للنصيحة التي هي الدين . كما عبر الرسول الكريم ﷺ وهي وظيفة المسلم طوال حياته ، يعيش دهره ناصحاً لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

(١) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة [مرجع سابق] (٥ / ٤٣٥) .

(٢) أبو سليمان الخطابي ، معالم السنن [حلب . المطبعة العلمية - ط الأولى ١٣٥١ هـ]

(٢/٤٨٦) .

وعلى ضوء ذلك فإن الإعداد للنصيحة في هذا البحث سينحصر في مفهوم إجرائي محدد هو: (التهيئة المسبقة للأقوال والأفعال والظروف المصاحبة قبل أو قبيل الشروع في موقف النصيحة الدعوية أو الحسبية المحدود، من حيث الناصح والمستهدف بالنصيحة وموضوعها ووسائلها وأساليبها، ومن حيث الزمان والمكان والأهداف والخطوات، تحقيقاً لمقتضى الحكمة والبصيرة).

المبحث الثاني

مشروعية وأهمية الإعداد والتخطيط للنصيحة

تتضح مشروعية الإعداد للنصيحة من خلال جوانب عدة منها:

١. ما شرعه الله تعالى من "ضرورة مراعاة طبيعة المدعو" حال الدعوة والنصيحة وما يتطلبه ذلك . غالباً . من حسن الاستعداد.

فلقد شرع الله تعالى لعباده القيام بالدعوة إلى دينه والنصيحة لعباده، ولكنه جل وعلا لم يأذن لهم أن يشرعوا بالدعوة كيفما اتفق دون ضوابط تستلزم الإعداد، بل ضبط سبحانه القيام بهذا الواجب بضوابط لا يجوز التغافل عنها؛ فقال سبحانه مخاطباً حبيبه ﷺ . وأمته في ذلك تبع له . : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾^(١) .. ثم أردف سبحانه بضوابط هذه الدعوة فقال سبحانه: ﴿بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِلَا تِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢) ولا شك أن تحقيق الحكمة في الخطاب قد لا يتأتى دائماً للداعية إذا كان يشرع في الخطاب دونما تهيؤ أو إعداد ، أو يعمد إلى ما يعنّ في باله عفو الخاطر ، بل ربما يحتاج . غالباً . إلى لحظات تأمل وإعداد قبل الشروع قد تطول أو تقصر ، يتأمل فيها في موضوع النصيحة وظروفها وأدواتها ، وفي طبيعة المنصوح والأسلوب الأمثل لمخاطبته ، قال ابن القيم (رحمه الله) في بيان هذه الآية : (جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق ؛ فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه يدعى بطريق "الحكمة" والقابل

(١) سورة (النحل/١٢٥) .

(٢) سورة (النحل/١٢٥) .

الذي عنده نوع غفلة وتأخر يدعى "بالموعظة الحسنة"، وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب ، والمعاند الجاحد "يُجادل" والتي هي أحسن^(١).

٢. ما شرعه المولى جل وعلا لرسوله ﷺ وأرشده ﷺ إليه من "ضرورة اتصاف الداعي ودعوته بالبصيرة" ووجوب الاستمرار في طريق الدعوة إلى الله تعالى ، ولكنها ليست أي دعوة ! ؛ بل هي الدعوة المنضبطة بضابط {البصيرة} التي تستلزم . غالباً . حسن الإعداد والتهيؤ للدعوة قبل الشروع بها ، قال جل من قائل: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾^(٢) . أي على علم (لا على جهل .. على بصيرة فيما يدعو إليه ، بأن يكون عالماً بالحكم الشرعي فيما يدعو إليه .. وعلى بصيرة في حال المدعو .. وعلى بصيرة في كيفية الدعوة..)^(٣)

كما بيّن جل وعلا مسؤولية الرسول ﷺ وأتباعه السائرين على نهجه وأنها البلاغ، ولكنه جل وعز ضبط هذا البلاغ بوصف دقيق فهو ليس مجرد بلاغ يجيء عفواً الخاطراً، بل هو بلاغ "مبين" فقال سبحانه: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ الْمُبِينِ﴾^(٤) أي : (الموضح للحق)^(٥) الكافي المؤيد بالحجة الساطعة^(٦) الموصل للغاية . وقال جل وعلا:

(١) ابن قيم الجوزية ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة ، [بيروت . دار الكتب العلمية . ب ط] (١٥٣/١).

(٢) سورة يوسف / (١٠٨) .

(٣) الشيخ محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله) ، زاد الداعية إلى الله [الرياض . الجمعية السعودية للدراسات الدعوية ط الأولى ١٤٣٠هـ] ص ٢، ٣ .

(٤) سورة (النور/ ٥٤) .

(٥) أحمد بن عجيبة ، البحر المديد [بيروت . دار الكتب العلمية . ط الثانية ١٤٢٣هـ] (٢٩/٤) .

(٦) انظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، [مرجع سابق] (٢٠٣/٥) .

﴿أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾^(١)، قال الشيخ عطيه سالم رحمه الله . : (أي البيان الذي يصحبه الإقناع ، ويشمر الاستجابة)^(٢) ، وفي معنى قوله تعالى : ﴿وَعَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾^(٣)، قال الإمام الماوردي : (إنه البيان الكافي في كل غرض مقصود)^(٤).

وإذا كان الداعية أو المحتسب يعلم من نفسه أن دعوته وحسبته قد تفتقر إلى البصيرة والحكمة والبيان ما لم يتهيأ ويعد لها ؛ فالواجب عليه أن يعد لها ويتهيأ لها وفقاً لما قرره أهل العلم من أن (ما لا يتم الواجب إلا به وهو مقدور للمكلف فهو واجب) ^(٥).

٣. ما أمر الله تعالى به من وجوب الإحسان والإتقان في كل شأن من شؤون المسلم ومن ذلك النصيحة الدعوية والحسبية بأركانها الأربعة : القائم بها ، والمستقبل لها ، وموضوعها ، وطريقة ادائها ، وما يستلزمه هذا الإحسان والإتقان من لوازم قد يكون من أجلها الإعداد المسبق والتهيؤ الكافي ، قال جل وعلا : ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٦) فمن معاني الإحسان هنا : الإتقان في أداء الفرائض وغيرها من القربات ؛ كالإتقان في الإنفاق في سبيل الله من الطيبات بلا مئة ، وحسن الظن بالله في حسن الخلف^(٧) (وإن من أعظم

(١) سورة (إبراهيم / ٤) .

(٢) أصول الخطابة والإنشاء [مدينة رسول الله ﷺ مكتبة التراث . ط الأولى ١٤٠٨ هـ] ص ٢٠ .

(٣) سورة (ص / ٢٠) .

(٤) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير [بيروت . المكتب الإسلامي . ط الرابعة ١٤٠٧] (١١٢/٧) .

(٥) الآمدي ، الإحكام في أصول الأحكام [بيروت . دار الكتاب العربي - ط الأولى . ١٤٠٤ هـ ، بتحقيق الشيخ عبدالرزاق عفيفي] (١٠٣/١) .

(٦) سورة (البقرة/ ١٩٥) .

(٧) انظر : محمد الأمين الشنقيطي ، أضواء البيان [بيروت . دار الفكر للطباعة و النشر . ١٤١٥ هـ]

(١٧٤/١) .

النفقة نفقة العلم^(١) الذي يبلغه ويعلمه ويسعى إلى تطبيقه بين الناس "في الدعوة" ، أو يلزم الناس بمقتضاه "في الحسبة" ، وهو حقيقة النصيحة الدعوية والحسبية التي ينبغي أن تُسدى بإحسان وإتقان .

كما إن مما لا شك فيه أن طلب الإتقان والإحسان يستلزم . غالباً . الإعداد الجيد والتهيئة المسبقة ، قال ﷺ : (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)^(٢) .

وإذا كان الجهاد في حقيقته وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله فإن موقف القتال يتطلب إعداداً مسبقاً لضمان جودة الأداء ؛ ولذا أمر الله تعالى بالإعداد له فقال : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(٣) بل يرشد المولى جل وعلا نبيه ﷺ وجيش المسلمين ويهيئهم تهيئة مسبقة للتصرف الصحيح عند حلول موقف دخول وقت الصلاة أثناء الحرب فيقول عز وجل : ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾^(٤) ، وبهذا الإعداد الدقيق المفصل المسبق يسلم الجيش المسلم من

(١) ذكر ذلك الحسن البصري ، ونقله عنه ابن تيمية ، مجموع الفتاوى [الرياض . عالم الكتب . ١٤١٢هـ] (٤٢/٤) .

(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها ، محمد الشيباني ، الجامع الصغير وزيادته ، [بيروت . عالم الكتب . ط ١٤٠٦هـ] (برقم ١٨٨٠) (٣٨٣/١) وحسنه الألباني ، صحيح الجامع الصغير وزيادته، [بيروت . المكتب الإسلامي - ط الثالثة ١٤٠٨هـ] (برقم ١٨٨٠) (٣٨٣/١) .

(٣) سورة (الأنفال / ٦٠) .

(٤) سورة (النساء / ١٠٢) .

فوات الصلاة ومن فوات أخذ الحذر والحيطه من مكر الكافرين^(١) ، ومن القلق والارتباك الذي يصاحب المفاجآت والمواقف التي لم يسبق الإعداد لها ، ولا شك أن (الجهاد بالحجة واللسان مقدم على الجهاد بالسيف والسنان)^(٢) ، فجهاد النصيحة والبيان إذا يشرع فيه الإعداد ، كما هي الحال في جهاد السيف والسنان ، بل ربما النصيحة أسبق وأولى .

٤ . تهيئة المولى جل وعلا رسله وأنبيائه وتزويدهم بالطرق الأنجع والترتيب الأنفع للمضامين لیسلكوها في نصيحتهم ، لئلا يفجأهم موقف النصيحة وردة فعل المنصوح بما لم يتهيئوا له ومن ذلك إعداد الله نبيه موسى عليه السلام وأخاه هارون عليه السلام لنصيحة الطاغية فرعون بأسلوب الخطاب وترتيب مضامينه ، قال تعالى : ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْتَضِي﴾^(٤٤) وهنا يتذكر الناصح المعوقات التي قد تعرض له ويستترشد بشأن الخطة المناسبة فيما لو حصل هذا العائق : ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَقْرَظَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغَى﴾^(٤٥) ، وهنا يأتيه التوجيه والإعداد للمسلك الأنجع شعورا وتطبيقا : ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾^(٤٦) فلا بد من رباطة الجأش من الناحية الوجدانية ، ثم إتقان الأداء المهاري وترتيب المضامين وإعداد الحجج ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾^(٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾^(٤٨) (٣) .

(١) انظر : جميل أبو العينين ، أصول الإدارة من القرآن والسنة [بيروت . دار الهلال . الطبعة الأولى

٢٠٠٢م] (ص ١٣٥) .

(٢) ابن قيم الجوزية ، القصيدة النونية ((الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية)) [بيروت . دار

الكتب العلمية . الطبعة الأولى ١٤١٥هـ] (ص ٥) .

(٣) سورة (طه / ٤٤-٤٨) .

٥ . حرص قدوة الدعاة عليهم السلام على الإعداد لنصيحته ، تارة باستثمار الظروف والمشاهد التي تعرض للمنصوحين حين تنهياً ، وتارة بتهيئة الظروف المكانية والزمانية ، وتارة بترتيب المضامين بما يحقق الإقناع ويمنع عوائق الاستجابة قبل نشوئها ، وتارات أخرى بأنواع أخرى من الإعداد .

فراه -على سبيل المثال- صلوات ربي وسلامه عليه يستثمر مشهداً لجدي ميت ذاهب الأذنين ، قد هان على أهله حتى رموه بعيداً ، يراه الصحابة وهم بصحبة المصطفى صلى الله عليه وسلم فيوظف صلى الله عليه وسلم هذا المشهد في نصيحته لهم أحسن توظيف ، ويجعله أداةً من أدوات الإعداد لنصيحته لتثبت وترسخ في عقول وقلوب المنصوحين ^(١) فعن جابر بن عبد الله أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفْتَهُ ^(٢) فَمَرَّ بِجَدِّي أَسَلَكَ ^(٣) مَيِّتٍ فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ (أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ) . فَقَالُوا مَا نُحِبُّ أَنْهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ قَالَ « أَتُحِبُّونَ أَنْهُ لَكُمْ) . قَالُوا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لِأَنَّهُ أَسَلَكُ !! فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ فَقَالَ: (فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ) ^(٤) .

كما نلاحظ أنه صلى الله عليه وسلم لا يكتفي باستثمار الظروف والمواقف المناسبة للنصيحة ، بل يسعى إلى صنع هذه الظروف وتهيئتها إعداداً لنصيحته ، فراه مثلاً يحرص أحياناً على أن

(١) هذه التقنية يسميها المختصون في التنمية البشرية وعلوم التأثير والإقناع: (محاكاة الخبرة الحالية) .
 (٢) كنفته: جانبه أى أحاط به الناس من جانبه، انظر: النووي، شرح صحيح مسلم [بيروت . دار إحياء التراث العربي - ط الثانية ، ١٣٩٢] [٩٣/١٨] .
 (٣) الأسلك: صغير أو ذاهب الأذنين سواء من أصل الحلقة أو مقطوعها [انظر : المرجع السابق : الموضوع نفسه] .

(٤) مسلم ، صحيح مسلم [مرجع سابق] كتاب : الزهد والرفائق باب : ١ ح (٧٦٠٧) (٨/٢١٠) .

لا يشرع في النصيحة والتوجيه قبل أن يتوثق أولاً من تهيئة الظروف المناسبة للانتفاع بالنصيحة والتخلص من الصوارف كالأحاديث الجانبية التي تشغل السامع، ومن شواهد ذلك تكليفه بعض الصحابة أن "يستنصتوا" له الناس قبل بدئه ﷺ بالنصيحة، فقد روى البخاري من حديث جرير بن عبدالله البجلي ﷺ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ: (اسْتَنْصِتِ النَّاسَ!!) ، فَقَالَ ﷺ: (لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)»^(١). كما طلب ﷺ ذلك من بلال ﷺ في آخر يوم عرفة^(٢).

وكذلك نراه ﷺ يهيئ الظروف المكانية، والنفسية للنصيحة الدعوية بشكل أكثر وضوحاً في موقف سابق لهذا الموقف بكثير، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٣) وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- حَتَّى صَعِدَ عَلَى الصَّفَا فَهَتَفَ: «وَاصْبَاهَا». فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتَفُ؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ. قَالَ: فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ: «يَا بَنِي فُلَانٍ يَا بَنِي فُلَانٍ يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟». قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا. قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»^(٤). فصعده ﷺ على مكان مرتفع، ثم ترتيب المضمون الدعوي بتقديم ما

(١) البخاري، صحيح البخاري [مرجع سابق] كتاب: العلم، باب: الإنصات للعلماء ح ١٢١ (١/٧٧).
 (٢) روى المنذري أنه ﷺ (وقف بعرفات وقد كادت الشمس أن تؤوب، فقال: يا بلال! أنصت لي الناس) انظر: المنذري، الترغيب والترهيب [بيروت]. دار الكتب العلمية. ط الأولى [كتاب الحج، ح (٧) (٢/٢٠٣)، وقال عنه الألباني: صحيح لغيره، (صحيح الترغيب والترهيب ح ١١٥١ (٢/١٦).
 (٣) سورة (الشعراء/ ٢١٤).

(٤) البيهقي، السنن الكبرى [الهند. مجلس دائرة المعارف النظامية. ط الأولى ١٣٤٤هـ]

ح (١٨١٨١) (٧/٩).

يمكن المنصوحين من استحضار الصورة الذهنية الإيجابية المستقرة لديهم عن الناصح من جهة صدقه وأمانته وتمام نصحه ؛ وذلك من خلال مثال الخيل التي تخرج من سفح الوادي ، ولا يخفى أن هذا المثال له أثر فاعل في تجنب صارف التكذيب قدر الإمكان من جهة ، كما إن له أثر بملء النفس بمشاعر الحذر والترقب والاهتمام ونبذ الدعة واللامبالاة ، ...إلى غير ذلك من الجوانب التي ساهمت في التهيئة لهذه النصيحة لتحقيق المراد منها . سواء في بنائها أو في الظروف المحيطة بها .

ثم نراه أيضاً صلوات ربي وسلامه عليه في موقف آخر يهيئ الظروف للنصيحة بشكل متقن ، إذ يصنع "وليمة" للمنصوحين ، ويكرمهم في بيته ، حتى إذا امتلأت قلوبهم يقينا بمحبته ﷺ لهم ، وشفقته عليهم ، وحرصه على تحقيق الكرامة لهم . بشكل عملي وليس مجرد دعوى . ساق لهم نصيحته المعدّة لهم الرامية إلى كرامتهم الأبدية في أوجز عبارة ، فعن علي بن أبي طالب ﷺ قال : (لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١) ، قال : جمع النبي ﷺ أهله فاجتمع له ثلاثون فأكلوا وشربوا ، قال : فقال لهم : (من يضمن عني ديني ومواعيدي ؛ ويكون معي في الجنة ، ويكون خليفتي في أهلي ؟) فقال رجل . لم يسمه شريك . : (يا رسول الله أنت كنت بحراً ، من يقوم بهذا ؟) قال : ثم قال الآخر ، قال : فعرض ذلك على أهل بيته فقال علي ﷺ : أنا)^(٢) .

(١) سورة (الشعراء/٢١٤) .

(٢) مسند الإمام أحمد ، بتحقيق أحمد شاکر وحزمة أحمد الزين [مرجع سابق] ح (٨٨٣) (١٦٥/٢) .
 (١٦٦) وحسن الشيخ أحمد شاکر إسناده ، انظر هامش المسند (١٦٥/٢) وجود الهيثمي إسناده وقال : إسناده جيد وله طرق ، علي بن أبي بكر الهيثمي ، مجمع الزوائد [القاهرة / بيروت . دار الريان للتراث العربي / دار الكتاب العربي ط ١٤٠٧ هـ] [١١٣/٩] .

٦. إعداد النبي ﷺ لدعاته وأمرهم بالتهيؤ، وتزويدهم بالوصايا اللازمة لنجاح الدعوة والنصيحة.

لم يكتف النبي ﷺ بتمثل القدوة للصحابة في الإعداد للنصيحة ليأتسوا به، بل حرص ﷺ على توجيههم توجيهها مباشرة بأن يُعدّوا لنصيحتهم الدعوية وأن يتجنبوا مسلك العشوائية في النصح، وأن يحسنوا التهيؤ فيقدموا ما حقه التقديم، ويؤخروا ما حقه التأخير، فهذا معاذ ﷺ حين بعثه ﷺ إلى اليمن يقول: (حين بعثني رسول الله - صلى الله عليه وآني وسلم- قَالَ « إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيُنَائِهِمْ فِتْرَةً فِي فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ »).

كما وجهه ﷺ صهره علياً ﷺ حين أرسله على رأس الجيش يوم خيبر، وهياه بالخطوات التي ينبغي أن يتدرج فيها قبل اللجوء للقتال، فعن سهل بن سعد ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ (لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ عَدَا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَجُبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)، فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَعَدَا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ، فَقَالَ: (أَيْنَ عَلِيٌّ؟)، فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ!!، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ؛ فَبَرَأَ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ!!، فَأَعْطَاهُ فَقَالَ: (أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟)، فَقَالَ ﷺ: (انْفُذْ عَلَيَّ رِسْلَكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يُحِبُّ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ)^(١)

(١) البخاري، صحيح البخاري [مرجع سابق] كتاب: الجهاد، باب: فضل من أسلم على يديه رجل ح(٣٠٠٩)(١/١٤٢٧).

٧ . إنكار النبي ﷺ على من سلك مسلك العشوائية في النصيحة ولم يتبع الخطوات المتدرجة الصحيحة في تصحيح الخطأ وإسداء النصيحة ، ومن شواهد ذلك ما رواه عباد بن شراحيل رضي الله عنه قال : (قدمت مع عمومي المدينة فدخلت حائطاً من حيطانها ففركت من سنبله !! ، فجاء صاحب الحائط! فأخذ كسائي ، وضربني؛ فأتيت رسول الله ﷺ أستعدى عليه ، فأرسل إلى الرجل ، فجاءوا به : فقال رضي الله عنه : (ما حملك على هذا ؟) ، فقال : يا رسول الله ! إنه دخل حائطي فأخذ من سنبله ففركه ، فقال رسول الله ﷺ : (ما علمته إذ كان جاهلاً ، ولا أطعمته إذ كان جائعاً ، اردد عليه كساءه !) ، وأمر لي رسول الله ﷺ بوسق أو نصف وسق) (١) ، وهنا نلاحظ أن الصحابي صاحب الحائط أراد أن يقتص من هذا الذي اعتدى على ممتلكاته ، وربما أراد أيضاً أن يقدم له نصيحة عملية ودرسا قاسيا في احترام ممتلكات الآخرين ، ولكنه أخطأ الطريق ، فلم يهين للنصيحة ما تحتاج من التهيئة ، حيث لم يفطن إلى خصوصية حال هذا المخطئ الذي تلبس بالجهل والجوع الشديد ، مما يجعله بحاجة إلى نوع خاص من النصيحة تتمثل . كما نص المعصوم عليه السلام . في البدء في تعليمه أولاً ، ثم في إطعامه وتخليصه من هذا الجوع الذي ربما غلب عليه وصرفه حتى جعله لا يحسن الفهم ولا التصرف الصحيح ، ثم بعد إزالة صوارف الانتفاع بالنصيحة ؛ له بعد ذلك أن ينصحه ويوجهه باعتدال ، وهذا ما فات على صاحب الحائط رضي الله عنه ، كما نلاحظ أيضاً أن النبي ﷺ لم يعاقب صاحب الحائط لأنه صاحب حق ، بل اكتفى بتوجيهه للمسلك الأصوب في النصيحة وتصحيح الأخطاء .

(١) رواه النسائي ، سنن النسائي [حلب . مكتب المطبوعات الإسلامية - ط ١٤٠٦] ، برقم (٥٤٠٩) ، (٢٤٠/٨) ، وصححه الألباني ، صحيح سنن النسائي [بيروت - المكتب الاسلامي - ط الأولى ١٤٠٩هـ] برقم (٥٤٠٩) ، (٤٠٩/١١) .

-أهمية التخطيط للنصيحة :

تتضح أهمية التخطيط للنصيحة من خلال ما سبق من الجوانب السبعة لمشروعيتها وحرص النبي ﷺ وصحابته الكرام ﷺ على التخطيط والتهيئة للموقف الدعوي قبل الشروع فيه .

كما تظهر أهمية التخطيط للنصيحة من خلال ما نتج عن استصحاب النبي ص وصحابته الكرام لهذا المعنى من نتائج طيبة في قبول الرعيل الأول من هذه الأمة ومن بعدهم لدعوة الحق وقناعتهم بها وتأثرهم بمضامينها النافعة ، حتى وصلتنا هذه الدعوة اليوم بعد قرون وهي لا تزال غضة طرية ثبتنا الله عليها حتى الممات بواسع لطفه ورحمته .

المبحث الثالث

من شواهد الإعداد والتخطيط للنصيحة في الكتاب والسنة النبوية وفي سير

الدعاة إلى الله تعالى

إن المتأمل لمواقف النصيحة التي ساقها القرآن الكريم وصحيح السنة والآثار عن دعوات أنبياء الله تعالى ورسله ومن سار على نهجهم من قدوات الدعاة يجد العديد من الشواهد التي تؤكد حرصهم على التهيؤ للنصيحة وحسن الإعداد لها قبل عرضها على المنصوح، كما يتلمس من حشد هذه الشواهد بعض الملامح التي يسترشد بها من رام الاقتداء بصفوة الخلق من الأنبياء ومن اتبعهم بإحسان في شأن إعدادهم وحسن تخطيطهم لنصيحتهم الدعوية، ومن ذلك:

١. ما كان من نوح عليه السلام حين أعد نصيحته لقومه لتكون لطيفة المأخذ، مشتملة على إقناع العقل مع استمالة الوجدان والعاطفة، مع الحرص على دفع صوارف القبول قبل أن تبرز وتفسد أثر النصيحة، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٣٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٣٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٠﴾﴾ (١).

وهنا نلاحظ أنه . رغم كونه مؤيدا من الله بسلطان الوحي . إلا أنه هيا نفسه على ما يبدو على أن يتجنب استعمال أسلوب "الأمر" المباشر، وأن يستعيض عنه بأسلوب "العرض والتخضيب" (٢) (فقال لهم مخاطبا بلطف خطاب - كما هي طريقة الرسل، صلوات الله وسلامه عليهم -: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله تعالى، فتركوا ما أنتم مقيمون عليه،

(١) سورة (الشعراء/١٠٥-١١٠).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٩/١٠٥).

من عبادة الأوثان، وتخلصون العبادة لله وحده^(١) ، ذلك أن أسلوب "الأمر" ثقيل على نفس المنصوح ، لأنه يتضمن الاستعلاء مهما حسنت نية الناصح ، ولذا عرف الأصوليون "الأمر" بأنه : (طلب الفعل على جهة الاستعلاء.. بخلاف الدعاء والالتماس)^(٢) ، ثم تابع عليه السلام .. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ... وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾^(٣) (أي علمتم أني أمين لكم وتعلمون أني لا أطلب من دعوتكم إلى الإيمان نفعا لنفسي)^(٤) وهو عليه السلام . يرتب بذلك نصيحته فيدفع عنهم صارف التشكيك في نصحه لهم وإرادة الخير لهم ، وصارف التسلط فهو ليس مندفع لدصمهم عما ألقوه من تلقاء نفسه ، بل هو رسول مكلف بحمل رسالة الخالق الحكيم العليم جل وعلا لهم وهو مخاطب بها مثلهم فلا مزية له عليهم .. ثم أعاد عليهم قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾^(٥) (وكرر ذلك للتأكيد عليهم، وتقريره في نفوسهم لأن التقوى والطاعة أساس الدين، لكن جعل علة الأول كونه أمينا فيما بينهم، وعلة الثاني حسم طمعه عنهم .. ولما أبهرهم عليه السلام بحججه الساطعة المتأبية على الطعن ، لم يجدوا إلا أن يوردوا شبهة واهية خارجة عن موازين العقل والنقل كونها غاية في السقوط ، فقالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾^(٦) فكان لحسن

(١) ابن سعدي ، تيسير الكريم الرحمن [مرجع سابق] (١/٥٩٤)

(٢) علي بن محمد الأمدي - الإحكام في أصول الأحكام [بيروت - دار الكتاب العربي . الطبعة الأولى ، ١٤٠٤] (٢/١٥٨).

(٣) سورة(الشعراء/١٠٧-١٠٩) .

(٤) ابن عاشور ، التحرير والتنوير [مرجع سابق] (١٩/١٦٧) .

(٥) سورة(الشعراء/١٠٨) .

(٦) سورة(الشعراء/١١١) .

تهيئته عليه السلام وجودة عرضه لنصيحته أعظم الأثر في قطع الأعدار وإقامة الحجّة وبيان الحجّة ، وهداية من كتب الله لهم الهداية وإن كانوا قلة لحكمة أرادها الله .

٢ . ما سبق إيراده في التقديم من شأن نبي الله إبراهيم عليه السلام مع أبيه ، وشأن النبي المصطفى ﷺ في ما يلحظ من حسن المدخل ودقة السبك المنبئ عن جودة الإعداد للنصيحة قبل عرضها .

٣ . ونطوي صفحات التاريخ لنصل في سجل ركب الدعاة إلى أحد تلاميذ مدرسة النبوة وهو الفاروق رضي الله عنه الذي كان يحرص على الإعداد للنصيحة فيزيورها ويهيئها قبل عرضها . كما أسلفنا . بل ونراه رضي الله عنه يحرص على عدم طرح النصيحة قبل استكمال تهيئة الظروف المناسبة لقبولها والانتفاع بها وإبعاد الصوارف التي تحجب التأثير بها والقناعة بحججها وبراهينها ، ومن شواهد ذلك : ما روي عنه رضي الله عنه (أنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام، فقبل له: تتابع في هذا الشراب، فقال عمر لكاتبه: اكتب من عمر إلى فلان، سلام عليك، وأنا أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو: " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾)^(١) ثم ختم الكتاب وقال لرسوله: لا تدفعه إليه حتى تجده صاحيا، ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة، فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول: قد وعدني الله أن يغفر لي، وحذرنى عقابه، فلم يريح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزع وحسنت توبته ، فلما بلغ عمر أمره قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم

(١) سورة(غافر ١-٣) .

أحدكم قد زل زلة فسددوه وادعوا الله له أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه^(١).

وهنا نجد أن الفاروق رضي الله عنه قد حرص على حسن الإعداد والتخطيط للنصيحة من جوانب عدة، منها:

أ. كانت مخالفة المنصوح من قبيل الشهوات وليست من الشبهات ، فالغالب فيها العاطفة وليس العقل ، فهو بحاجة إذا إلى مخاطبة العاطفة والوجدان ابتداءً بالوعظ وإظهار التودد ، ولذا نراه رضي الله عنه لم يبدأ كتابه بالحجج العقلية على تحريم الخمر ، أو بالتهديد بإيقاع الحد الشرعي . وهو الخليفة . ، بل نراه بدأ بإظهار التودد والاحترام فقال : (سلام عليك، وأنا أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو) .

ب. لم ينشئ له نصيحة من إنشائه فيلزمه بمضمونها ، بحيث يظن أنه يمارس الوصاية عليه ، بل نراه اختار الاستشهاد بكلام من يملك الخلق ولأمر جل وعلا ، لتكون النصيحة مسموعة تحفظ للمنصوح وجاهته ، إذ هي توجيه من ملك الملوك للناصح والمنصوح معا .
ج. إن أعظم الموعدة كلام الله تعالى، وفيه من البركة وقوة التأثير المعجز ما يفوق التصور، ومن حكمة الفاروق رضي الله عنه أن وُضِّفَ قوة تأثير النص القرآني المعجز في نصيحته ليزيدها قوة وتأثيراً.

د. حرص رضي الله عنه على تجنب صوارف الانتفاع بالنصيحة فأمر حامل الرسالة أن يحذر من دفع الكتاب للمنصوح وهو في حال لا تمكنه من الانتفاع بالنصيحة كحالة السكر التي

(١) رواه أبو نعيم، حلية الأولياء [بيروت . دار الكتاب العربي . الطبعة الرابعة، ١٤٠٥] (٩٧/٤) ، ومحمد بن أحمد القرطبي ، تفسير القرطبي [بيروت- دار احياء التراث العربي . ١٤٠٥ هـ] (٢٩١/١٥).

تصرف الفهم والتأثر والانتفاع ، وهذا من حسن التخطيط والتهيئة للنصيحة من جهة تهيئة البيئة المناسبة للانتفاع بالنصيحة .

هـ . بعد استكمال الأسباب المادية المتمثلة في كتابة الكتاب وإرسال الرسول وتزويده بما يلزم لنجاح النصيحة ، لجأ إلى المقوم الأهم والأعظم من مقومات الانتفاع بالنصيحة ، ألا وهو الدعاء ، (..ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة .. هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أحدكم قد زل زلة فسددوه وادعوا الله له أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه) (١) فما الهداية للتوبة إلا منحة إلهية تطلب من الواحد الأحد سبحانه بعد بذل الأسباب الدنيوية.

(١) سبق تخرجه ص ٢٠.

المبحث الرابع

من مجالات الإعداد والتخطيط (وفقاً لأركان النصيحة)

لعل مما سبق من الشواهد الدالة على مشروعية وأهمية الإعداد والتخطيط للنصيحة يتضح أن الإعداد والتخطيط للنصيحة يسري في مجالات متعددة يمكن تناولها من خلال الأركان الأربعة التي تتألف منها النصيحة وهي: الناصح، والمنصوح، وموضوع النصيحة وطريقة أداؤها وسيلة وأسلوباً :

أ. (الإعداد والتخطيط للنصيحة المتعلق بالناصر:

١. أن يتفقد الناصح قبل أداء النصيحة نيته وقصده وما يقوم في قلبه فيما بينه وبين الله تعالى أولاً، ثم فيما بينه وبين نفسه ثانياً ، ثم فيما بينه وبين المنصوح ثالثاً فيعقد قلبه فيما بينه وبين الله تعالى على أنه يريد القيام بالنصيحة محبة لله تعالى وغيره لحقه جل وعلا، وكذا تعظيماً لأمره ونهيهِ، وعملاً بكتابه جل وعلا، وتطبيقاً لسنة نبيه ﷺ، يدفعه لذلك الذل والانكسار للواحد القهار الذي إذا رضي أنعم وأدهش بالعطايا ، وإذا غضب ربما حلم وربما بطش بالظالم ، وقد يمتد شؤم المعصية وعقوباتها ليشمل الساكت عن النصيحة المقر لها ، فيندفع الناصح للنصيحة خوفاً على نفسه ورجاء فيما عند الله ، يحذره يقينه أنه لا يضمن النجاة في الدنيا والآخرة إلا المصلحون القائمون بواجب النصيحة: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (١).

. ثم يعقد قلبه فيما بينه وبين نفسه بأنه هو المسكين المحتاج للتقرب إلى الله تعالى بعبادة النصيحة، ليغتتم جزيل ثوابها تكفيراً عن ذنوبه وسيئاته وتقصيره في شكر نعم الله تعالى والقيام بحقه جل وعلا، وكذا يغتنمها رفعة لدرجاته، وتقبيداً لنعم الله عليه وعلى من يجب.

(١) سورة(هود/١١٧).

ثم يعقد قلبه فيما بينه وبين المنصوح، بأن هذا المنصوح عبد من عباد الله الذين يريد الله لهم الهدى والرحمة، فيسعى الناصح لهداية هذا العبد ورحمته مسارعة في رضى الله وتحقيق مراده، لأن الله يحب من يرحم عباده ويكرمهم ويسعى في هدايتهم، ويعوضه أضعاف ذلك من فيض رحماته وكرمه وهدايته لهذا الناصح، كما إن المنصوح عبد قد زل ويحتاج من يسدده، وقد يزل الناصح فيحب أن يسخر الله له من يرحمه ويسدده، ومن دفع الثمن نال المثمن، من كمال الإيمان أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه من الستر والتسديد وتمام النصيحة.

٢. أن يتفطن الناصح في مظهره ومخبره وهيئته وسمته قبل أداء النصيحة للخلق، ويعلم أن من آداب النصيحة - وليس من شروطها - أن يسعى الناصح ليكون قدوة للمنصوح وغيره تجنبا للوعيد الوارد في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(١).

٣. أن يكون على علم بمراد الله تعالى ورسوله ﷺ في شأن موضوع النصيحة التي يعد لإسدائها للمنصوح وأنها يقينا من المأمورات أو المنهيات الشرعية مما يحبه الله جل وعلا ويرضاه، أو مما يبغضه يقينا ويأباه.

٤. الرفق واللين وإظهار المحبة والشفقة على المنصوح

٥. أن يتوثق قبل أداء النصيحة من تلبس المنصوح بما يوجب النصيحة من جهة تحقق وقوعه في التقصير، على علم وإرادة.

٦. الصبر واحتمال الأذى مهما جهل المنصوح على الناصح، أو تأخرت الاستجابة أو تطلبت النصيحة بذل المزيد من الوقت والجهد والمال.

(١) سورة البقرة/٤٤).

ب . الإعداد والتخطيط للنصيحة المتعلقة بالمنصوح:

- ١ . إنزال المنصوحين منازلهم.
- ٢ . مخاطبة المنصوحين على قدر عقولهم.
- ٣ . مراعاة أحوال المنصوحين بتجنب الإملال وتقديم النصيحة الأولى بالتقديم والتغافل عن بعض المخالفات مؤقتا وفقا لقاعدة المصالح والمفاسد.
- ٤ . مراعاة أصناف المنصوحين وأحوالهم وانماطهم وسيأتي شيء من الإيضاح لهذا العنصر عند الحديث عن الإعداد المتعلق بالوسائل والأساليب.

ج . الإعداد والتخطيط للنصيحة المتعلقة بموضوع النصيحة:

- ١ . أن يتوثق الناصح حال إعدادة للنصيحة أن الموضوع الذي يريد النصح فيه من الأوامر الشرعية المتروكة أو النواهي الشرعية المقترفة بصريح نصوص الكتاب والسنة وفتاوى أهل العلم على فهم السلف الصالح، لا مجرد أذواق أو عوائد.
- ٢ . ومن ثم يتوثق من إعداد نصيحته وصياغتها بحيث تتضمن من الأدلة الشرعية أو البراهين العقلية ما يكفل إقناع العقل والتأثير على الوجدان وتمرين الجوارح ليتحقق تغير السلوك ، ولتحقق إدراك المنصوح أن الاستجابة للنصيحة إنما تكسبه "شرف" الامتثال لمراد الله ورسوله ، لئلا يقذف الشيطان في قلبه أن هذه الاستجابة تورثه "ذل" الخضوع لهوى الناصح وتحكماته.
- ٣ . أن يتوثق الناصح -بعد معرفته مرتبة المخالفة -من المقام الأنسب وهل المقام مقام حسبة تصل للإغلاظ او مقام دعوة ونصيحة مبنية على الرفق واللين أو مقام تغافل لا يحسن الخوض فيه ولا التدخل في شأن صاحبه .
- ٤ .ترتيب الأولويات ومعرفة مراتب الأوامر والنواهي: أولا من جهة موجبات النصيحة ، فقد يرى الناصح في اللحظة الواحدة في شأن المنصوح الواحد عددا من موجبات النصيحة

، ولا شك أن حشد كل تلك النصائح في نصيحة واحدة قد توصل رسالة سلبية للمنصوح مفادها أن هذا الناصح يرى المنصوح مجرد حشد من المخالفات لا يُرى فيها بصيص من خير ، وكفى بهذا الشعور عائقا عن الاستجابة للنصيحة ، وهنا يبرز المنهج النبوي في ترتيب الأولويات والبدء بالأهم وتأجيل المهم (ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ) ثم قال ﷺ (فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ) وهذه النتيجة قد تتطلب وقتا حتى تتحقق على مستوى تلك الجماعة من أهل اليمن .. ويظهر من السياق أنه ليس من الحكمة الانتقال للخطوة اللاحقة في اللحظة ذاتها .. بل ربما يحسن التريث .. حتى إذا تحقق المراد على مستوى مرضي من الفئة المستهدفة جرى الانتقال بهم للخطوة التي تليها وهي (فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ حَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ)^(١).

. ومن ترتيب الأولويات ما يتعلق بترتيب عناصر النصيحة ، ومن ذلك :

(أ) مناسبة البدء أحيانا بالثناء على الجوانب الإيجابية من صفات المنصوح ، ثم موضوع النصيحة بأوجز العبارات ، ثم الختم بالهوية الإيجابية ، (نظرية الشطيرة) كأن ترى مبتلى بالتدخين فتقول : أعجبنى فيك حرصك على الصلاة وبرك بوالديك و... ولو عافاك الله من عادة التدخين المحرمة الضارة لاستكملت كثيرا من جوانب الخير، وأنت أهل لهذه الكمالات فأنت عالي الهممة المحب لله ورسوله ال.....، وأصل ذلك ما سلكه النبي ﷺ

(١) البخاري ، صحيح البخاري [مرجع سابق] كتاب : الزكاة ، باب : وجوب الزكاة [ك] ٤٢ / ٢ / ١ / ح

(١٣٩٥) [٦٣٥/١]

في نصيحته لعبدالله بن عمر رضي الله عنه حين قال (نِعَمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ ؛ فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا) (١).

(ب) وكذلك مناسبة تضمين النصيحة محاور تخاطب المنصوح بكافة مكوناته: عقله ووجدانه وحواسه ، كما فعل سيد الناصحين رضي الله عنه حين جاءه الشاب الذي يستأذنه في الزنا ، فعن أبي أمامة قال : إن فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! أئذن لي بالزنا . فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا مه مه ! فقال : أدنه . فدنا منه قريبا . قال : فجلس . قال أتجبه لأمك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم . قال أفتجبه لابنتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله ! جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم . قال أتجبه لأختك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم . قال أتجبه لعمتك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم . قال : فوضع يده عليه وقال : اللهم ! اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه . فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء) (٢).

وهنا يلحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم خاطب كافة مكونات الشاب الثلاثة : فخاطب عاطفة الشاب وغيرته (أتجبه لأمك.. لأختك.. ودعى له .. بما يبرهن على تمام المحبة والشفقة : .. اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه..) وخاطب عقل الشاب بمحاورته بالقياس العقلي المنطقي (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم .. لأخواتهم..) وخاطب حواسه (أدنه.. فوضع يده

(١) البخاري، صحيح البخاري [مرجع سابق] كتاب: الصلاة [١٥ك/١ب/٦ح / ١١٢١] (١/٥٠٩).

(٢) رواه الطبراني، المعجم الكبير [مرجع سابق] برقم (٥٤١٤)، (٤/٣٦٢)، وصححه الألباني

، السلسلة الصحيحة (٣٧٠) (١/٦٤٥)

عليه.. وفي رواية فمسح على صدره..) ونتج عن ذلك تغير سلوكي كامل في لحظات وجيزة (فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)

(ج) البدء بمخاطبة المكوّن الأكثر سيطرة على المنصوح حال أداء النصيحة، ولعل في قصة الشاب آفة الذكر أوضح شاهد، فقد جاء الشاب ولم يكن المسيطر الأقوى عليه العقل والشبهات ، بدليل أنه جاء يطلب الإذن بالزنا لتوثقه من حرمة ، إذا فالمسيطر الأكثر عليه كان الشهوة والعاطفة ، ولذا بدء النبي ﷺ بمخاطبة عاطفته (ادنه.. أتجبه لأملك..) وهو سؤال يثير العاطفة والغيرة ، ثم بعد ذلك يجيء دور مخاطبة المكوّن الآخر وهو العقل (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم) ولكون العاطفة تحتاج إلى جهد لاستئثارها والتأثير عليها ناسب التكرار لتعميق الشعور وإحضار الصور الذهنية المستقبحة ودمجها مع الفعل المراد التحذير منه ، حتى صار التفكير في الزنا ملازما لصورة الأم والأخت وال بنت والعممة والحالة وهن يتعرضن للإكراه على الزنا وكفى بهذه الصور منفرا عن هذا الفعل المشين... وبالتكرار تقترن هذه الصورة بتلك حتى تلازمها.. فتطفئ لذتها.. وتحيلها وحلا مستقدرا من القبائح التي تثير الغيرة والأنفة... وكلما تذكر الشهوة ولذتها ؛ قفزت تلك الصورة المستقبحة لمحارمة فكدرت عليه لذته المحرمة... فلا يكاد يقدر على فصلها.. وبهذا يتحقق المراد .

٤ . التوثق من اشتغال صياغة النصيحة على المحاور الأساسية المؤدية لغرض النصيحة ، ويمكن ذلك . كما يذكر خبراء التنمية البشرية وتوجيه السلوك . بالإجابة على أسئلة: لماذا؟ وماذا؟ وكيف؟ وماذا لو؟ (١) بمعنى أن تحفز المنصوح أولا ببيان السبب الذي يدفعه لاستماع النصيحة وما سيحنيه من الثمرات إن استجاب للنصيحة (لماذا؟)، ثم تفصل له الأدلة والبراهين التي تقنعه وتستميله بشأن موضوع النصيحة(ماذا؟) ، ثم وتوضح له وتطبق

(١) انظر: المهندس محمد عاشور، مذكرة التأسيس والنظريات العامة لتدريب المديرين [غير مطبوع] (ص ١١) .

امامه إن امكن الطرق العملية التطبيقية التي يسلكها وفق مقتضى النصيحة (كيف؟) ، وأخيرا تجعله هو الذي يحمل هم الدعوة والنصيحة فتسوق له الأسئلة وتطلب منه أن يقترح الطرق التي يستطيع هو القيام بها وأن يوجه المحيطين به ليقوموا بها لتحقيق مقتضى تلك النصيحة ممن يستطيع الوصول لهم وفق إمكاناته (ماذا لو؟) .

د. الإعداد والتخطيط للنصيحة المتعلق بوسائل وأساليب النصيحة:

ترتبط وسائل وأساليب إسداء النصيحة ارتباطا وثيقا بطبيعة المنصوح ومنزلته العرفية أو النسبية بالنسبة للناصح ، ونوع وطبيعة موجب النصيحة موضوعا وحكما وحجما وتكررا ،

١ . فمن جهة الوسائل: ينبغي للناصح . قبل إسداء النصيحة . أن يتأمل ويحسن الإعداد والتخطيط واختيار الوسيلة الأنسب، هل يخاطب المنصوح مشافهة؟ أو يكتب له رسالة موقّعة باسم الناصح؟ أو يجعلها موقّعة باسم مجهول؟ وهل الأنسب أن تكون رسالة ورقية؟ أو إلكترونية؟ على هاتفه المحمول؟ أو على بريده الإلكتروني وهل تكون موجهة له خاصة أو على شكل المجموعات البريدية والرسائل الجماعية التي لا يظهر منها أنها تستهدف شخصا بعينه أو غيرها؟ وهل يستعيز عن ذلك كله بإهدائه كتابا أو تسجيلا صوتيا أو مرثيا أو عرضا مشوقا يحقق المراد من مقتضى النصيحة؟

كما إن من جوانب الإعداد والتخطيط المتعلق بوسائل النصيحة تهيئة الظروف المكانية والزمانية وصناعة أو توظيف الأدوات والنماذج والظروف التي تزيد النصيحة تأثيرا وإقناعا وقبولاً .

٢ . ومن جهة الأساليب: ينبغي له أن يحسن التخطيط والإعداد للأسلوب الأمثل لإقناع المنصوح واستمالته ، هل يكتفي بالتلميح والإشارات البعيدة بحركة أو قول أو تمثيل ... أم يخاطبه بالحكمة والبرهان . بمعناها الخاص . ببيان الحق بدليله دون توجيه مباشر؟ وذلك

حين يرى أن المنصوح شخص مستجيب قابل ذكي ، أم يعمد إلى الترغيب والتحفيز إذا كان المنصوح قابلاً عنده نوع غفلة وتأخر ويتصف بالميل للمغامرة وعدم الاكتراث بالعواقب، أم يستعمل الترهيب والتخويف إذا كان كسابقه ولكنه يتصف بالميل للأمان والسلامة ، أم ينجح للجدال بالتي هي أحسن إذا كان معانداً جاحداً ، أم يجادله بغير الحسنى إذا أظهر الظلم والبغي وأساء الأدب؟^(١).

ومما يذكر في مقام الإعداد للنصيحة المتعلق بالأساليب:

(أ) إعداد الابتسامة والبشر في وجه المنصوح طيلة أداء النصيحة، منتقلاً بين ابتسامه المحب إلى ابتسامه المشفق ، وحتى ابتسامه المغضب ، قال كعب بن مالك رضي الله عنه حين تخلف عن غزوة تبوك (فَجِئْتُهُ . يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم . فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُعْضَبِ)^(٢) وقد نص الإمام ابن حزم على أهمية التبسم والبشاشة حال النصيحة إذ يقول (..ومن وعظ

(١) انظر: ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، [مرجع سابق] (١/١٥٣)، و د . فضل إلهي ، من صفات الداعية اللين والرفق [باكستان . إدارة ترجمان الإسلام . ط الثانية ١٤١٢هـ] (ص ٤٠) وقد أجاد علماء النفس المسلمون في التوظيف الدعوي لما يسمى ب(الدوافع أو الدافعية) و(الحوافز النفسية) وأهدافها من تحقيق اللذة أو تجنب الألم ، وأتھما يجتمعان في كل شخص مع شيء من الميل لتغليب أحدهما ونتيجة لذلك يتكون النمطان الاقتراحي والابتعادي للشخصية، انظر: دكتور محمد عثمان نجاتي ، القرآن وعلم النفس [القاهرة . مكتبة الشروق . ط العاشرة ٢٠٠٨م] (ص ١٦٩) ، و د . عبدالعزيز النغمشي ، علم النفس الدعوي [دار المسلم بالرياض . ط الأولى ١٤١٥هـ] (ص ١٠٩) ، والأستاذ حسن الجوني ، افهم نفسك وافهم الآخرين [دار وجوه . الرياض . ط الأولى ١٤٢٩هـ] (ص ٢٧٠٤) .

(٢) البخاري ، صحيح البخاري [مرجع سابق] ، كتاب : المغازي ، باب : حديث كعب بن مالك [ك٦٧ب٧٥ ح ٤١٥٦] [٤/١٦٠٣] .

ببشر وتبسم ولين ، وكأنه مخبر برأي ومخبر عن غير الموعوظ بما يستقبح من الموعوظ فذلك أبلغ وأنجع في الموعظة..(١).

(ب) البدء بمواضع الاتفاق ومحاولة إبرازها : فإن المنصوح حين يعرض له الناصح عددا من مواضع الاتفاق ويقرره عليها ويكون رده بالإيجاب ، يسهل عليه أن يسترسل في الإيجاب ، فيرد بالإيجاب والاستجابة لموضوع النصيحة ، ولك أن تتخيل حال المنصوح المشرك بالألوهية المقر بالربوبية مثل كفار قريش حين تخاطبه بقول الله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادَعُٓ وَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُٓ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْٓ وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْٓ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلَكُمْ لَّا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْٓ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (٢).

(١) ابن حزم الأندلسي، مداواة النفوس [بيروت _ اللجنة الدولية لترجمة الروائع _ ط ١٩٦١م] ،(ص٥٥) .

(٢) سورة الشورى، آية: ١٥ .

المبحث الخامس

أنواع الإعداد والتخطيط للنصيحة

يمكن تقسيم أنواع الإعداد والتخطيط للنصيحة وفقا لما يلي:

(أ) الإعداد اللحظي: ويكون من حيث مدة الإعداد لحظيا، وكذلك من حيث مدى النصيحة وختام موقف النصح قد لا يستغرق سوى لحظات، بمعنى أن يتيح الناصح لنفسه فرصة لحظات قبل إسداء النصيحة للمنصوح ليعد نصيحته من حيث الجوانب الأربع التي سبقت الإشارة إليها في المبحث الرابع، أو بعضها، ثم يدخل في موقف النصيحة اللحظي الموجز ، وقد يصلح هذا النوع لموجبات النصيحة العارضة الصادرة من منصوح مستجيب قابل ذكي لا يخالف الحق ولا يأباه، وهنا لا يتطلب المقام سوى التذكير أو قدرا محدودا من الوعظ والإقناع .

(ب) الإعداد قصير المدى: ويكون من حيث مدة الإعداد قصيرا قبل اللقاء بالمنصوح، ومن حيث مدى النصيحة قد يتطلب لقاء واحدا أو أكثر من لقاء ووسيلة وأسلوب، ويصلح غالبا لمن كان موجب النصيحة لديه باعثة الشهوات التي تتطلب قدرا من الوعظ والتذكير والتكرار لتعميق العاطفة، وربما تنويع الوسائل والأساليب.

(ج) الإعداد متوسط المدى: ويكون من حيث مدة الإعداد والتخطيط متوسطا بين الطول والقصر ، ومن حيث المدى يتعدى المعدل المعتاد إذ قد يتطلب تقسيم النصيحة أو التدرج بها على مدى لقاءات أكثر وبتوظيف وسائل وأساليب وظروفا أكثر ، وقد يناسب هذا النمط لمنصوح قد تسلت إليه بعض الشبهات إضافة للشهوات مما يتطلب إعدادا

خاصا للحجج العقلية والأدلة والبراهين ونحو ذلك ، وفتحا لمجال الحوار والجدل للتوثق من تخلص المنصوح من جميع شوائب الشبهة قدر الإمكان .

(د) الإعداد بعيد المدى : ويكون من حيث مدة الإعداد والقائمين به أكثر طويلا وروية ، وقد يتطلب استشارة بعض المختصين ، ومن حيث مداه يكون طويلا يستهدف التخطيط لنصيحة يتطلب قطف ثمارها بذل الجهد على مدى أيام أو أسابيع و شهور أو ربما سنوات ، وقد يصلح هذا النوع لحالات مخصوصة من المنصوحين الذين تتجاذبهم عوامل ومؤثرات عديدة ومتنوعة ، أو يكتنف اللقاء بهم بعض المعوقات ، وربما تتطلب نصيحتهم البدء أولاً بتحقيق الألفة الكاملة مع المنصوح وطمأنته إلى حسن النوايا وسلامة القصد من الناصح ، مروراً بطمأنته إلى كثرة مواطن الاتفاق بينه وبين الناصح ، وتمام حسن الظن به .. ونحو ذلك ممن الخطوات المتدرجة والمخطط لها بإتقان وفق طبيعة احتياج المنصوح .

كما إن هذا النمط من التخطيط والإعداد للنصيحة قد يناسب النصيحة الجماعية التي يكون المنصوحون فيها حشدا من البشر متنوعي المستويات والمشارب، وقد يكتنف النصيحة ظروفًا متنوعة ومتداخلة، ومن أمثلة ذلك أن يرى الناصح أهل بلدة أو ناحية من المسلمين قد تعلقوا بصخرة أو شجر أو قبر أو جن أو غيره يعتقدون فيها شيئاً من النفع أو الضر من دون الله، في بلد لا تحكم بشرع الله، وهم إلى ذلك في حال من الفقر والعوز والخوف والجهل والفرقة واختلال الأمن..... ونحو ذلك من الظروف المتداخلة . فهل يليق أن يبادر الناصح بنصيحته بمجرد رؤية هذا المشهد من مشاهد الانحراف العقدي فيأمرهم مثلا بتدمير وإزالة وقطع هذا المزار .. أم يزيلها بنفسه من بلدتهم .. أم أن الحكمة قد تقتضي التخطيط والإعداد لإزالتها من قلوبهم أولا ليتولوا هم إزالتها من أرضهم .. لا بد من

التروي والاستشارة والاستخارة .. والاستنارة بتجارب السابقين .. وما نجح منها وما أخفق هل من الحكمة البدء بمهاجمة الباطل .. أم قد تقتضي الحكمة التخطيط لنصيحة طويلة المدى يوضح فيها الحق مع تجاهل الباطل "مؤقتاً" لئلا يكون استعجال المواجهة سبيلاً إلى هزيمة الحق في مواجهة الباطل قبل استكمال إعداد القوة العلمية والإيمانية والمادية والسلطانية اللازمة لإزالة الباطل ، استجابة لأمر المولى جل وعلا: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(١).

(١) سورة (الأنفال/ ٦٠) .

الخاتمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد، فعمل مما سبق ذكره يمكن الخروج بعدد من النتائج، منها:

١ . مشروعية الإعداد والتخطيط للنصيحة قبل المبادرة بها، وأن هذا الإعداد من مقتضيات ما ضبط الله به عبادة النصيحة من وجوب كونها على بصيرة وبأساليب الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن لتحقيق ما أمر الله به من البلاغ المبين الموصل للغاية الربانية وهي هداية الخلق ورحمتهم، وليس مجرد إقامة الحجّة عليهم.

٢ . أن الإعداد والتخطيط للنصيحة كان شأن قدوات الدعاة من الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان بنص كتاب الله تعالى وصحيح السنة والآثار.

٣ . أن التخطيط والإعداد للنصيحة يشمل مجالات عدة منها ما يتعلق بالناصح والمنصوح وموضوع النصيحة وطريقتها.

٤ . أن التخطيط والإعداد للنصيحة أنواع بحسب طبيعة موقف النصح والمنصوح وموضوع النصيحة، إذ من التخطيط والإعداد ما يكون لحظياً، ومنه ما يكون قصير المدى أو متوسط أو بعيد المدى، ولكل حال ما يناسبها.

كما إن هذا الطرح قد يستوجب عددا من التوصيات منها:

١ . لفت انتباه الدعاة والمحتسبين إلى ضرورة التهيئة للنصيحة الدعوية والحسبية ، وأن يتيحوا لأنفسهم الفرصة ولو للحظات للإعداد والتخطيط لنصيحتهم الدعوية من حيث ترتيب مضامينها وحسن انتقاء شواهدا ووسيلتها وأسلوبها و.....

٢ . أن يتوجه الباحثون والمختصون إلى إعداد قوالب لبعض الخطط الدعوية المقترحة لعدد من مواقف النصيحة المختلفة لتكون بين يدي الدعاة والناصحين

٣ . إنشاء مراكز علمية وبحثية واستشارية تقدم الخطط المقترحة لما يرفع لها من مواقف النصح المتداخلة التي تحتاج إلى قدر من التخطيط متوسط وطويل المدى هذا وما كان من صواب فمن العليم الوهاب وحده ، وما كان من خطأ وزلل فمن نفسي والشيطان وأستغفر المولى جل وعلا من كل خطل أو زلل ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

مراجع البحث

أولا : القرآن الكريم

- ١ ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير [بيروت . المكتب الإسلامي . ط الرابعة ١٤٠٧]
- ٢ ابن تيمية ، مجموع الفتاوى [الرياض . عالم الكتب . ١٤١٢هـ] (٤/٤٢)
- ٣ ابن حجر ، فتح الباري [بيروت . دار الفكر . بتحقيق محب الدين الخطيب وتعليق الشيخ عبدالعزيز بن باز]
- ٤ ابن حزم الأندلسي ، مداواة النفوس [بيروت - اللجنة الدولية لترجمة الروائع - ١٩٦١م]
- ٥ ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، [تونس . الدار التونسية للنشر . ط ١٩٨٤م]
- ٦ ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة [بيروت . دار الفكر . ط ١٣٩٩هـ . بتحقيق عبدالسلام هارون]
- ٧ ابن قيم الجوزية ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة [بيروت . دار الكتب العلمية . ب ط]
- ٨ ابن منظور ، لسان العرب [بيوت . دار الفكر . ط الأولى ١٤١٠هـ]
- ٩ ابن هشام ، السيرة النبوية [بيروت . دار الجيل . ١٤١١هـ]
- ١٠ أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر [بيروت . المكتبة العلمية . ط ١٣٩٩هـ]
- ١١ أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، الزاهر في معاني كلمات الناس [بيروت - مؤسسة الرسالة . ط الأولى ١٤١٢هـ]
- ١٢ أبو سليمان الخطابي ، معالم السنن [حلب . المطبعة العلمية - ط الأولى ١٣٥١هـ]

- ١٣ أبو نعيم ، حلية الأولياء [بيروت . دار الكتاب العربي . الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥]
- ١٤ أحمد بن عجيبة ، البحر المديد [بيروت . دار الكتب العلمية . ط الثانية ١٤٢٣هـ]
- ١٥ الألباني ، صحيح الجامع الصغير وزيادته، [بيروت . المكتب الإسلامي - ط الثالثة ١٤٠٨هـ]
- ١٦ الألباني ، صحيح سنن النسائي [بيروت . المكتب الإسلامي . ط الأولى . ١٤٠٩هـ]
- ١٧ الإمام أحمد ، المسند [بيروت . مؤسسة الرسالة . ط الأولى ١٤٢١هـ . بتحقيق شعيب الأرنؤوط]
- ١٨ الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، [القاهرة . دار الشعب . ط الأولى ١٤٠٧هـ]
- ١٩ الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، [بيروت . دار ابن حزم . ط ١ | لأولى ١٤١٦هـ]
- ٢٠ الآمدي ، الإحكام في أصول الأحكام [بيروت . دار الكتاب العربي - ط الأولى . ١٤٠٤ هـ ، بتحقيق الشيخ عبدالرزاق عفيفي]
- ٢١ البيهقي ، السنن الكبرى [الهند . مجلس دائرة المعارف النظامية . ط الأولى ١٣٤٤هـ]
- ٢٢ الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر [- بيروت ، المكتبة العلمية . ١٣٩٩هـ]
- ٢٣ جميل أبو العينين ، أصول الإدارة من القرآن والسنة [بيروت . دار الهلال . الطبعة الأولى ٢٠٠٢م]
- ٢٤ حسن الجوني ، افهم نفسك وافهم الآخرين [دار وجوه . الرياض . ط الأولى ١٤٢٩هـ]
- ٢٥ عبدالعزيز النغمشي ، علم النفس الدعوي [دار المسلم بالرياض . ط الأولى ١٤١٥هـ]
- ٢٦ عطية سالم ، أصول الخطابة والإنشاء [مدينة رسول الله ﷺ مكتبة التراث . ط الأولى ١٤٠٨هـ]
- ٢٧ علي بن أبي بكر الهيثمي ، مجمع الزوائد [القاهرة / بيروت . دار الريان للتراث العربي / دار الكتاب العربي ط ١٤٠٧هـ]

- ٢٨ فضل إلهي ، من صفات الداعية اللين والرفق [باكستان . إدارة ترجمان الإسلام . ط الثانية ١٤١٢هـ]
- ٢٩ كامل المغربي ، أساسيات الإدارة ، [الأردن . دار الفكر . ط ١٩٩٥م]
- ٣٠ محمد الأمين الشنقيطي ، أضواء البيان [بيروت . دار الفكر للطباعة و النشر . ١٤١٥ هـ]
- ٣١ محمد البشير محمد عبدالمهدي ، دور الإدارة التربوية في تخطيط وتنظيم وتوجيه حلقات القرآن الكريم ، [ط الأولى . ١٤٢٩ هـ]
- ٣٢ محمد الشيباني ، الجامع الصغير وزيادته ، [بيروت . عالم الكتب . ط ١٤٠٦هـ]
- ٣٣ محمد بن أحمد القرطبي ، تفسير القرطبي [بيروت - دار احياء التراث العربي . ١٤٠٥ هـ]
- ٣٤ محمد بن صالح العثيمين ، زاد الداعية إلى الله [الرياض . الجمعية السعودية للدراسات الدعوية ط الأولى ١٤٣٠هـ]
- ٣٥ محمد عاشور ، مذكرة التأسيس والنظريات العامة لتدريب المدربين [غير مطبوع]
- ٣٦ محمد عثمان نجاتي ، القرآن وعلم النفس [القاهرة . مكتبة الشروق . ط العاشرة ٢٠٠٨م]
- ٣٧ المنذري ، الترغيب والترهيب [بيروت . دار الكتب العلمية . ط الأولى ،]
- ٣٨ النسائي ، سنن النسائي [حلب . مكتب المطبوعات الإسلامية - ط ١٤٠٦]
- ٣٩ النووي ، شرح صحيح مسلم [بيروت . دار إحياء التراث العربي - ط الثانية، ١٣٩٢]
- ٤٠ وهبة الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج [دمشق - دار الفكر المعاصر . الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ]

البحث رقم (٢)

وسائل الفكر التنصيري المعاصر، دراسة على أبرز التطبيقات
التنصيرية في الهواتف الذكية، وأبعاد مخاطرها

إعداد

د/ عبد الله بن علي المبارك

ملخص الدراسة

الهدف الرئيس للدراسة: تهدف الدراسة إلى بيان وسائل الفكر التنصيري المعاصر من خلال التعريف بأبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها.

منهج الدراسة: استخدم الباحث المنهجين: الوثائقي، والوصفي، وذلك لتحقيق أهداف الدراسة.

أبرز نتائج الدراسة: يعد التطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس" من أبرز التطبيقات التنصيرية على الهواتف الذكية، فقد بلغ عدد مرات تثبيت التطبيق على الهواتف الذكية أكثر من ١٠٠ مليون مرة من خلال متجر "جوجل بلاي"، كما يعد تطبيق "الكتاب المقدس للأطفال" من أبرز التطبيقات التي بذل فيها المنصرون جهوداً كبيرة للعمل على تنصير هذه الفئة المهمة في المجتمع، وهي فئة الأطفال، فقد بلغ عدد مرات التحميل لهذا التطبيق من متجر "جوجل بلاي" أكثر من ٥٠ مليوناً، ويعد تطبيق التطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم" من أبرز التطبيقات، وقد قام بتحميله أكثر من ١٠ ملايين مستخدم على متجر "جوجل بلاي"، ومن الأبعاد المهمة لمخاطر التطبيقات التنصيرية على الهواتف الذكية استهداف الأطفال في المقام الأول، وكذلك استغلال المنصرين للوسائط المتعددة في التطبيقات التنصيرية، وكذلك استغلال المنصرين للموارد المتنوعة في التوسع في نشر التطبيقات التنصيرية.

توصيات الدراسة: يوصي الباحث بالكتابة في الموضوعات التالية: مدى وعي الأسر المسلمة بمخاطر التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وذلك من خلال دراسة ميدانية، والكتابة في المصادر المعاصرة لتمويل العمل التنصيري، ومقارنتها بالماضي، ويوصي الباحث بمتابعة الأطفال من قبل أسرهم، وخصوصاً مراقبة استخدامهم تطبيقات الهواتف الذكية، ولذلك للحد من المهذدات الفكرية، وعلى رأسها التطبيقات التنصيرية، كما

يوصي الباحث بإنشاء مرصد علمي يعنى بالدراسات التنصيرية، وخصوصاً ذات الصلة بوسائل الفكر التنصيري المعاصر، ويوصي الباحث الجهات ذات العلاقة، وخصوصاً الجامعات بإقامة المؤتمرات في مجال وسائل الفكر التنصيري المعاصر، وخصوصاً استخدام التقنية في العمل التنصيري.

الكلمات المفتاحية: وسائل الفكر التنصيري المعاصر، وسائل التنصير، تقنيات

التنصير، التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية.

Abstract

Main Objective: the study aims to clarify and explain the methods of contemporary Missionary Thought by defining the highlighted Missionary applications on smartphones and showing their risk dimensions.

Methodology: the researcher used two approaches: documentary and descriptive, to achieve the objectives of the study.

The highlighted results of the study: The missionary application: "The Bible" is one of the most prominent missionary applications on smartphones. The number of the installed application on smartphones has reached more than ١٠٠ million times through "Google Play" store. In addition, the application of "Children's Bible" is one of the most prominent applications in which the missionaries did great efforts to evangelize this important category in society, namely: the children category, whereas the number of installing this application on "Google Play" store has reached more than 50 million times. The missionary application "Great Book" is one of the most prominent applications, as this application was downloaded by more than ١٠ million users on "Google Play" store. Some of the important dimensions of risks of the missionary applications on smartphones are targeting children in the first place, the missionaries exploiting the multimedia in the missionary

applications, and the missionaries using various resources to expand the dissemination of the missionary applications.

Study Recommendations: the researcher recommends writing on the following topics: the extent to which Muslim families are aware of the risks of the missionary applications on smartphones, through the field study, writing about the contemporary sources of financing missionary work and comparing them with the past. The researcher recommends that the children shall be monitored by their families, especially monitoring their use of the applications of smartphones, and therefore to reduce the thought threats, especially the missionary applications. The researcher also recommends establishing a scientific observatory concerned with missionary studies, especially those related to the methods of contemporary missionary thought. The researcher recommends the relevant authorities, especially universities, hold conferences in the field of the methods of contemporary missionary thought, especially using technology in missionary work.

Keywords: Methods of Contemporary Missionary Thought, Methods of Missionary, Technologies of Missionary, Missionary Applications on Smart Phones.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة، والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، أما بعد:

أولاً: أهمية الدراسة:

إن هذا العصر نشهد فيه تطوراً منقطع النظير في كثير من المجالات، وفي مقدمتها مجال الاتصالات اللاسلكية، وتحديدًا الهواتف الذكية، حيث كانت - تلك الهواتف - في بادئ نشأتها لا تعدوا عن كونها أجهزة بسيطة تقتصر على إجراء المكالمات، وتلقي الرسائل النصية فقط.

ولكن في الوقت الحالي غير الهاتف الذكي الطريقة التي يعيش بها الإنسان في العديد من مناحي الحياة، وتحول إلى جهاز متطور يمكن من خلاله إنجاز العديد من الوظائف، من اتصالات، وتسويق، وترفيه، وإعلام^(١)، مما يجعل له أهمية كبيرة.

وقد مرت الهواتف في بدايتها بمراحل، ففي العام: ١٩٨٢م ظهر الجيل الأول للاتصالات اللاسلكية، وكانت تستخدم في الاتصالات التليفونية، وكانت الهواتف آنذاك كبيرة الحجم باهظة الثمن، وتدعم المكالمات الصوتية فحسب، وفي التسعينيات الميلادية ظهر الجيل الثاني من الهواتف المحمول، وكان من أبرز ميزاته الرسائل القصيرة، ثم بعد ذلك جاء الجيل الثالث الذي يشكل نقلة نوعية في الهاتف المحمول الذي يتيح التواصل بطرق متقدمة، وبسرعات عالية، ويتيح نقل الصوت، والصورة، ومشاهدة البث التلفزيوني، إضافة إلى العديد من الخدمات الأخرى^(٢)، وقد واصلت التقنية تطورها، ونموها سنة بعد سنة.

ولذلك كان متوقعاً أن ينمو سوق الهواتف الذكية العالمي بنسبة: ١٢٪ في عام:

(١) انظر: الإعلام الجديد، المفاهيم، والوسائل، والتطبيقات، د. عباس مصطفى صادق، ص ٢٨٧.

(٢) انظر: الإعلام الجديد، الإعلام البديل، د. حسنين شفيق، ص ٢٦٤ - ٢٦٦.

٢٠٢١م، وذلك وفق تقرير لشركة (كاناليس) المختصة في أبحاث التكنولوجيا، والهواتف الذكية، حيث أوضح التقرير أنه من المتوقع أن تصل شحنات الهواتف الذكية العالمية إلى: ١،٤ مليار وحدة هذا العام^(١).

وفي دراسة تم إجراؤها على: أمريكا، وبريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، وإسبانيا، وذلك من قبل شركة "آي جي" المتخصصة في صنع الواجهات البرمجية للتطبيقات، أوضحت نتائجها أن: ٨٢٪ من مستخدمي التطبيقات في الهواتف الذكية لا يستطيعون الاستغناء عن التطبيقات ليوم واحد، وأوضحت الدراسة أن: ٩٣٪ ممن استطلع رأيهم في الدراسة في إسبانيا لا يستطيعون قضاء يوم واحد دون التطبيقات، فيما يرى النصف ممن شملتهم الدراسة في أمريكا أنهم لا يستطيعون البقاء أكثر من أربع ساعات دون تطبيقاتهم الأساسية، وأظهرت النتائج أن: ٥٣٪ في المائة ممن شملتهم الدراسة لا يستغنون عن استخدام تطبيقاتهم حتى أثناء قيادة مركباتهم^(٢)، مما يوضح الأهمية الكبيرة لهذه التطبيقات لدى المستخدمين.

ومن المعلوم أن التنصير ظاهرة متجددة، ومتطورة، ويكمن ذلك التطور في الأهداف، وتوسيع الوسائل، والعمل على استغلال الأساليب العصرية، بحسب البيئات التي يتوجه إليها التنصير^(٣)، كما أن الفكر التنصيري لم يغفل عن جهوده السابقة التي

(١) انظر: نمو سوق الهواتف الذكية العالمي بنسبة ١٢٪ خلال ٢٠٢١م، جريدة اليوم السابع.

<https://www.youm7.com>

(٢) انظر: ٨٢٪ من مستخدمي الهواتف الذكية لا يستغنون عن التطبيقات، جريدة الاقتصادية.

https://www.aleqt.com/٢٨/٠٢/٢٠١٣/article_٧٣٥٢٧٨.html

(٣) انظر: التنصير، مفهومه، وأهدافه، ووسائله، وسبل مواجهته، د. علي بن إبراهيم النملة، ص ٥.

يعتمد عليها، إلا أنها جاءت بثوب حديث يتسم بالتحديد، وخصوصاً في الوسائل^(١)، لذلك لم تعد الوسائل التقليدية للتصوير ذات فائدة كبيرة في تحقيق أهداف الفكر التنصيري المعاصر^(٢).

لذا يلاحظ حالياً أن وسائل الفكر التنصيري المعاصر في تطور سريع، ومستمر، وجاءت "التطبيقات التنصيرية" في الهواتف الذكية أحد أبرز صور ذلك التطور، ويعزى تركيز المنصرين على تلك التطبيقات نظراً لما تمتاز به من خصائص مهمة تجعلها في مقدمة الوسائل المعاصرة ذات التأثير العالي.

ومن المعلوم أن جهود المنصرين - في الترويج للنصرانية - مستمرة في كل زمان، ومكان، وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - في تفسير الآية: "ليس غرضهم يا محمد بما يقترحون من الآيات أن يؤمنوا، بل لو أتيتهم بكل ما يسألون لم يرضوا عنك، وإنما يرضيهم ترك ما أنت عليه من الإسلام، واتباعهم"^(٣).

لذا فمن الأهمية بمكان أن يتم تناول أبرز ما توصل إليه الفكر التنصيري المعاصر في وسائله، وذلك عن طريق الكشف عن أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية،

(١) انظر: التنصير في المراجع العربية، دراسة، ورصد وراقي للمطبوع، د. علي بن إبراهيم النملة، ص ٦٦.

(٢) انظر: النشاط التنصيري في منطقة الخليج، أهدافه، وأبعاده، وسبل مقاومته، إبراهيم بن مسعود المالكي، ص ٤٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد القرطبي، ٩٣/٢.

بالإضافة إلى إلقاء الضوء على ما تكتنفه تلك التطبيقات من مخاطر. وذلك لأن كشف وسائل الفكر التنصيري المعاصر - وخصوصاً التطبيقات التنصيرية - يعد من النصيحة الشرعية التي تواتت النصوص الشرعية في التأكيد عليها، فقد حكى الله تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِزْقِي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعَلِّمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢].

ويعد كذلك من التواصي بالحق، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر].

قال مقاتل بن سليمان -رحمة الله-: "(وتواصوا بالحق): يعني بتوحيد الله - عز وجل -، (وتواصوا بالصبر): يعني على أمر الله - عز وجل - فمن فعل هذين كان من الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، فليسوا من الخسران في شيء، ولكنهم في الجنان مخلدون^(١)".

بالإضافة لكون الكشف عن وسائل الفكر التنصيري المعاصر - وخصوصاً التطبيقات التنصيرية - ينطلق من أهمية، وفضل الدعوة إلى الدين الإسلامي، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وكذلك ينطلق من أهمية التحذير من كل الدعوات المضادة للدين الإسلامي، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥]، ومعنى الآية: "لا نريد ما دعوتكم إليه من اليهودية، والنصرانية^(٢)".

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي، ٤/٨٢٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ١/٤٤٨.

ومن خلال ما سبق عرضه جاءت فكرة هذه الدراسة، والتي جاءت تحت عنوان: "وسائل الفكر التنصيري المعاصر، دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وأبعاد مخاطرها"، سائلاً المولى الإعانة، والتوفيق.

ثانياً: مصطلحات الدراسة:

- ١- الهواتف الذكية: جمع هاتف ذكي، ويقصد بالهاتف الذكي: "الهاتف المحمول الذي يتضمن وظائف متقدمة أكثر من مجرد إجراء مكالمات هاتفية، وإرسال رسائل نصية (١)".
- ٢- تطبيقات الهواتف الذكية: التطبيقات جمع تطبيق، والتطبيق: هو برنامج مصمم لأداء، أو إجراء مجموعة من الوظائف من خلال الهاتف الذكي، ويعمل التطبيق على أجهزة الهواتف المحمولة التي تعمل بأنظمة التشغيل مثل: آي أو إس، ونظام: أندرويد (٢).
- ٣- التنصير: يقصد بالتنصير: "الدعوة إلى اعتناق النصرانية، أو إدخال غير النصارى في النصرانية (٣)".

ثالثاً: أسباب اختيار الدراسة:

- ١- التطور السريع للفكر التنصيري في العالم، وخصوصاً ما يتعلق بوسائل التقنية، والاتصالات، والتي يأتي في مقدمتها إنشاء تطبيقات تنصيرية للهواتف الذكية، مما يؤكد الحاجة لمتابعة هذا التطور، ورصده.
- ٢- ارتفاع مخاطر وسائل الفكر التنصيري المعاصر، والتي تأتي تطبيقات التنصيرية في

(١) تطبيقات الهواتف الذكية من قبل طالبات كلية علوم الحاسب، والمعلومات بجامعة الإمام محمد بن

سعود الإسلامية، دراسة وصفية، مسفرة بنت دخيل الخثعمي، ص ٧٨.

(٢) انظر: استخدام تطبيقات الهواتف الذكية في المكتبات العربية، دراسة تحليلية للنتائج الفكرية العربي،

د. سرفيناز أحمد حافظ، ص ١٢٧.

(٣) التنصير في المراجع العربية، دراسة، ورصد وراقي للمطبوع، د. علي بن إبراهيم النملة، ص ٢٧.

الهواتف الذكية أبرز صورته، وتعزى تلك المخاطر نظراً لكون المنصرين يركزون على فئة الأطفال، كما أنهم يعتمدون على جهات ذات دعم دائم تساعدهم في التوسع في أنشطتهم، بالإضافة لاعتمادهم في إنشاء التطبيقات على الوسائط المتعددة ذات الجاذبية العالية، مما يؤكد أهمية تكاتف الجهود في كشف تلك المخاطر.

٣- مساندة العاملين في حقل مواجهة التنصير، وذلك عن طريق الكشف عن أبرز وسائل الفكر التنصيري المعاصر، والذي يأتي في مقدمتها التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وذلك لوضع الخطط المدروسة للحد من مخاطر تلك التطبيقات.

٤- ملاحظة الباحث- عند قيامه بتدريس مقرر التنصير- قلة المراجع الحديثة للتنصير، وخصوصاً المرتبطة بوسائل الفكر التنصيري المعاصر، مما شجع الباحث على القيام بهذه الدراسة.

رابعاً: أهداف الدراسة:

تقوم الدراسة على هدف رئيس وهو: بيان وسائل الفكر التنصيري المعاصر من خلال التعريف بأبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها، ويتفرع عن هذا الهدف الأهداف التالية:

١. التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس"، وبيان خصائصه.
٢. التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال"، وبيان خصائصه.
٣. التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم"، وبيان خصائصه.
٤. إلقاء الضوء على مخاطر استهداف المنصرين للأطفال في التطبيقات التنصيرية.
٥. التعرف على مخاطر استغلال المنصرين للوسائط المتعددة في التطبيقات التنصيرية.
٦. بيان مخاطر استغلال المنصرين للموارد المتنوعة في التوسع في نشر التطبيقات التنصيرية.

خامساً: أسئلة الدراسة:

تقوم الدراسة على سؤال رئيس وهو: ما التعريف بأبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية والتي تعد أبرز وسائل الفكر التنصيري المعاصر؟، وما أبعاد مخاطرها؟، ويتفرع عن هذا السؤال ما يلي:

١. ما التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس"؟، وما خصائصه؟
٢. ما التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال"؟، وما خصائصه؟
٣. ما التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم"؟، وما خصائصه؟
٤. ما مخاطر استهداف المنصرين للأطفال في التطبيقات التنصيرية؟
٥. ما مخاطر استغلال المنصرين للوسائط المتعددة في التطبيقات التنصيرية؟
٦. ما مخاطر استغلال المنصرين للموارد المتنوعة في التوسع في نشر التطبيقات التنصيرية؟

سادساً: الدراسات السابقة:

إن الدراسات في مجال التنصير - بشكل عام - كثيرة، ولا يمكن حصرها، إلا أن الدراسات السابقة في مجال وسائل، وأساليب الفكر التنصيري المعاصر قليلة جداً، بالإضافة لقدمها، وتأسيساً على ما سبق لم يجد الباحث دراسة تناولت: وسائل الفكر التنصيري المعاصر، من خلال دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها.

وقد جاءت الدراسات السابقة متنوعة الأهداف، فمنها ما تهدف إلى التعرف على تحليل أبرز المواقع التنصيرية عبر شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)، ومنها ما تهدف إلى كشف أساليب المنصرين في الصد عن الإسلام في أفريقيا، وطرق مواجهتها، وذلك من خلال دراسة ميدانية على دولة كينيا في الفترة من عام: ١٤١١-١٤٢٠هـ، ومنها ما تهدف إلى التعرف على التنصير في وسائل الإعلام في إندونيسيا، ومنها ما تهدف إلى

تسليط الضوء على التنصير عبر الخدمات التفاعلية لشبكة المعلومات العالمية، من خلال دراسة عقدية، ومنها ما تهدف إلى تسليط الضوء على التنصير عبر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، ومنها ما تهدف لدراسة بعض المواقع التنصيرية العربية في الإنترنت، ومنها ما تهدف إلى الكشف عن وسائل التنصير، وكيفية مواجهتها، ومنها ما تهدف إلى إلقاء الضوء على القنوات الفضائية العربية التنصيرية.

وفيما يلي يستعرض الباحث الدراسات السابقة بشكل مفصل:

• أبرز المواقع التنصيرية عبر شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)، دراسة تحليلية، للباحثة: إنعام بنت محمد عقيل، وهذا الدراسة عبارة عن رسالة لمرحلة الماجستير، وقدمت في العام الجامعي: ١٤٢٤-١٤٢٥هـ، وذلك إلى شعبة العقيدة، بقسم الدراسات الإسلامية، بكلية التربية، بجامعة الملك سعود، بالمملكة العربية السعودية، وهدفت لما يلي:

١- الإسهام في كشف مخططات المنصرين عبر الإنترنت، وتحذير المسلمين منها.
٢- الوقوف على أهم الجهود التي تبذل في مواجهة التنصير عبر هذه الشبكة.
٣- دراسة منهجهم في عرض العقائد، وبث الشبهات، وأهدافهم، وأبرز القضايا التي يركزون عليها.

٤- معرفة المصادر التي يعتمدون عليها من خلال مواقعهم، وكتبهم.

٥- الرد على بعض الشبهات التي لم يسبق الرد عليها.

الموازنة بين الدراستين:

يلاحظ أن الدراسة السابقة تهدف إلى الكشف عن أبرز المواقع التنصيرية عبر شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)، من خلال دراسة تحليلية، بينما الدراسة المقدمة من الباحث فإنها تهدف لبيان وسائل الفكر التنصيري المعاصر، من خلال دراسة على أبرز التطبيقات

التنصيرية في الهوائف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها.

- أساليب المنصرين في الصد عن الإسلام في أفريقيا، وطرق مواجهتها، دراسة ميدانية على دولة كينيا في الفترة من عام: ١٤١١-١٤٢٠هـ، للباحث: نور الدين عوض بابكر، وهذه الدراسة عبارة عن رسالة لمرحلة الدكتوراه، وقدمت في العام الجامعي: ١٤٢٢-١٤٢٣هـ، وذلك إلى قسم الدعوة، والاحتساب، بكلية الدعوة، والإعلام، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالمملكة العربية السعودية، وجاءت أهدافها كما يلي:

١- الكشف عن أساليب النصارى التي يستخدمونها في الصد عن الإسلام، وإعاقة حركة انتشاره في كينيا، ومدى اهتمامهم بهذه الأساليب، وحجم انتشارها في المدن الكينية الكبيرة.

٢- البحث عن الأساليب، والوسائل، والطرق المناسبة لمواجهة النشاط التنصيري، ومدى الاهتمام به، وحجم انتشاره، رغبة في إفساح المجال للدعوة الإسلامية في المنطقة.

الموازنة بين الدراستين:

يلاحظ أن الدراسة السابقة تهدف إلى بيان أساليب المنصرين في الصد عن الإسلام في أفريقيا، وطرق مواجهتها، من خلال دراسة ميدانية على دولة كينيا في الفترة من عام: ١٤١١-١٤٢٠هـ، بينما الدراسة المقدمة من الباحث تهدف لبيان وسائل الفكر التنصيري المعاصر، من خلال دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في الهوائف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها.

- التنصير في وسائل الإعلام في إندونيسيا، للباحث: سوهيري إلياس نور الدين، وهذه الدراسة عبارة عن رسالة ماجستير قدمت في العام الجامعي: ١٤٠٤-

١٤٠٥ هـ، وذلك إلى قسم الإعلام، التابع للمعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالمملكة العربية السعودية، وتهدف الدراسة لما يلي:

- ١- التعرف على التنصير في إندونيسيا.
- ٢- التعرف على واقع الإعلام في إندونيسيا.
- ٣- بيان أثر التنصير على الإعلام.
- ٤- التعرف على موقف المسلمين من التنصير.

الموازنة بين الدراستين:

يلاحظ أن الدراسة السابقة تهدف إلى التعرف على واقع التنصير في وسائل الإعلام في إندونيسيا، بينما الدراسة المقدمة من الباحث تهدف لبيان وسائل الفكر التنصيري المعاصر، من خلال دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها.

● التنصير عبر الخدمات التفاعلية لشبكة المعلومات العالمية، دراسة عقدية، للباحث: محمد بن موسى المجمعمي، وهذه الدراسة عبارة عن رسالة ماجستير قدمت في العام الجامعي: ١٤٣٢ / ١٤٤٣ هـ، وذلك إلى قسم الدراسات الإسلامية، بكلية التربية، بجامعة الملك سعود، بالمملكة العربية السعودية، وتهدف الدراسة لما يلي:

١. بيان واقع العمل التنصيري على الشبكة العالمية باستخدام الخدمات التفاعلية.
٢. إيضاح كيفية استغلال المنصرين لكل وسيلة من هذه الوسائل التفاعلية.
٣. إيضاح أهم الشبه التي يثيرها المنصرون في هذه الخدمات، والطرق المستخدمة في ذلك.
٤. بيان، وتقييم الجهود التي يبذلها المسلمون في صد هذه الهجمات التنصيرية.

الموازنة بين الدراستين:

يلاحظ أن الدراسة السابقة تهدف إلى بيان واقع التنصير عبر الخدمات التفاعلية لشبكة المعلومات العالمية من خلال دراسة عقديّة، بينما الدراسة المقدمة من الباحث تهدف لبيان وسائل الفكر التنصيري المعاصر، من خلال دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها.

● التنصير عبر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) للباحث: د. علي بن سعيد عثمان، وهذه الدراسة عبارة عن بحث محكم منشور في مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، في العدد: ٢، للعام: ٢٠١٤م، وهذه المجلة تابعة للجامعة الإسلامية بغزة، وهدفت هذه الدراسة لما يلي^(١):

- ١- التعرف على مفهوم التنصير، وعوامله، وأهدافه، ووسائله.
- ٢- التعرف على كيفية استخدامات التنصير للشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، ووسائله.

الموازنة بين الدراستين:

يلاحظ أن الدراسة السابقة تهدف إلى وصف التنصير عبر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، بينما الدراسة المقدمة من الباحث تهدف لبيان وسائل الفكر التنصيري المعاصر، من خلال دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها.

● دراسة لبعض المواقع التنصيرية العربية في الإنترنت، دراسة وصفية، للباحث: د. خالد بن عبدالله القاسم، وهذه الدراسة عبارة عن بحث محكم منشور في حولية كلية أصول الدين، والدعوة، بالمنوفية، بجامعة الأزهر، بجمهورية مصر العربية، وذلك في العدد/٢٦، في سنة: ٢٠٠٧م، وتهدف الدراسة لما يلي:

(١) لم يورد أهدافاً للدراسة، وقام الباحث باستنتاج الأهداف من خلال تقسيمات الدراسة.

- ١- التعرف على الإنترنت، وطبيعتها، وإيجابيات الإنترنت في المواقع الدعوية.
- ٢- التعرف على سلبيات الإنترنت في المواقع الدعوية.
- ٣- بيان الجهود التنصيرية عموماً، وأهداف المنصرين، والجهود التنصيرية عبر الإنترنت.
- ٤- بيان كيفية تواصل المواقع التنصيرية مع جمهورها، ومدى توظيفها للوسائط المتعددة.
- ٥- التعرف على اللغات المستخدمة في المواقع التنصيرية.
- ٦- بيان أهداف المواقع التنصيرية، والموضوعات التي يناقشونها في تلك المواقع.
- ٧- بيان الأساليب المتبعة للمواقع التنصيرية لتحقيق أهدافها، ومعرفة مدى الإنصاف عند تلك المواقع.
- ٨- التعرف على الجمهور المستهدف للمواقع التنصيرية، ومدى تفاعل مجتمع الإنترنت معهم، ومعرفة كيفية تمويل المواقع التنصيرية.

الموازنة بين الدراستين:

يلاحظ أن الدراسة السابقة تهدف إلى دراسة بعض المواقع التنصيرية العربية في الإنترنت، دراسة وصفية، بينما الدراسة المقدمة من الباحث تهدف لبيان وسائل الفكر التنصيري المعاصر، من خلال دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها.

● وسائل التنصير، وكيفية مواجهتها، للباحثة عبير بنت محمد عاتي، وهذه الدراسة عبارة عن بحث تكميلي لمرحلة الماجستير، قدم في العام الجامعي: ١٤٣٠-١٤٣١هـ، وذلك إلى قسم الثقافة الإسلامية، بكلية الشريعة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالمملكة العربية السعودية، وهدفت الدراسة لما يلي:

- ١- اليقظة لنشاطات المنصرين، وتكثيف المراقبة عليهم بشتى الوسائل، وتبليغ العلماء، والمشايخ المختصين بكل ما يكشف في ذلك.
- ٢- توسيع نشاط الدعوة إلى الله تعالى في أوساط النصارى من المقيمين في بلاد الإسلام، وغيرهم.
- ٣- العمل على إحباط جهود النصارى.
- ٤- فضح أعمال المنصرين وكشف خططهم.

الموازنة بين الدراستين:

يلاحظ أن الدراسة السابقة تهدف إلى بيان وسائل التنصير، وكيفية مواجهتها، بينما الدراسة المقدمة من الباحث تهدف لبيان وسائل الفكر التنصيري المعاصر، من خلال دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها.

● القنوات الفضائية العربية التنصيرية، دراسة في ضوء العقيدة الإسلامية، للباحث: تركي بن خالد الظفيري، وهذه الدراسة عبارة عن بحث لمرحلة الماجستير، قدم في العام الجامعي: ١٤٢٦/١٤٢٧هـ، وذلك إلى قسم الثقافة الإسلامية، بكلية التربية، بجامعة الملك سعود، بالمملكة العربية السعودية، وجاءت أهدافها كما يلي:

- ١- التعرف بالقنوات الفضائية العربية التنصيرية، وفضح أهدافها، وبيان خطورتها.
- ٢- بيان وسائل المنصرين في القنوات الفضائية العربية التنصيرية.
- ٣- بيان سبل مواجهة القنوات العربية التنصيرية.

الموازنة بين الدراستين:

يلاحظ أن الدراسة السابقة تهدف إلى الكشف عن القنوات الفضائية العربية التنصيرية، في ضوء العقيدة الإسلامية، بينما الدراسة المقدمة من الباحث تهدف لبيان وسائل الفكر التنصيري المعاصر، من خلال دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في

الهواتف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها.

● الإعلام التصيري الموجه للطفل من خلال قناة (سات-٧) الفضائية، دراسة تحليلية، للباحثة: فضة بنت سالم العنزي، وهذه الدراسة عبارة عن رسالة لمرحلة الماجستير، وقدمت في العام الجامعي: ١٤٢٧هـ، وذلك إلى قسم الثقافة الإسلامية، بكلية التربية، بجامعة الملك سعود، بالمملكة العربية السعودية: وهدفت الدراسة بشكل عام إلى التعرف على محتوى عملية التصير تجاه الأطفال من خلال ما ييثر من برامج تصيرية عبر قناة (سات-٧)، ويتفرع عن هذا الهدف ما يلي:

١- اكتشاف الوسائل التي من خلالها تحاول قناة (سات-٧) نشر الدين النصراني.

٢- بيان العقائد النصرانية التي يحاول برنامج السنابل تثبيتها لدى الأطفال.

الموازنة بين الدراستين:

يلاحظ أن الدراسة السابقة تهدف إلى التعرف على محتوى عملية التصير تجاه الأطفال من خلال ما ييثر من برامج تصيرية عبر قناة (سات-٧)، بينما الدراسة المقدمة من الباحث تهدف لبيان وسائل الفكر التصيري المعاصر، من خلال دراسة على أبرز التطبيقات التصيرية في الهواتف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها.

سابعاً: منهج الدراسة:

١- استخدم الباحث في هذه الدراسة: "المنهج الوثائقي"، والذي يعرف بأنه: "وضع الأدلة المأخوذة من الوثائق، والمسجلات مع بعضها بطريقة منطقية، والاعتماد على هذه الأدلة في تكوين النتائج التي تؤسس حقائق جديدة، أو تقدم تعميمات سليمة عن الأحداث الماضية، أو الحاضرة، أو عن الدوافع، والصفات، والأفكار

الإنسانية^(١)."

٢- كما استخدم الباحث في هذه الدراسة: "المنهج الوصفي"، والذي يقوم على دراسة الواقع، ووصفه وصفاً دقيقاً من خلال عدة طرق، ومنها: التعبير الكيفي الذي يصف الظاهرة، ويوضح خصائصها^(٢).

وقام الباحث بتوظيف المنهجين من خلال التعريف بأبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان خصائصها، والتعرف على أبعاد مخاطر التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية.

ثامناً: تقسيمات الدراسة:

المقدمة، وفيها: أولاً: أهمية الدراسة، ثانياً: مصطلحات الدراسة، ثالثاً: أسباب اختيار الدراسة، رابعاً: أهداف الدراسة، خامساً: أسئلة الدراسة، سادساً: الدراسات السابقة، سابعاً: منهج الدراسة، ثامناً: تقسيمات الدراسة.

المبحث الأول: التعريف بأبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية،

وخصائصها، وفيه:

المطلب الأول: التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس"، وخصائصه.

المطلب الثاني: التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال"،

وخصائصه.

المطلب الثالث: التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم"، وخصائصه.

المبحث الثاني: أبعاد مخاطر التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وفيه:

(١) أصول البحث العلمي، ومناهجه، د. أحمد بدر، ص ٢٤٨.

(٢) انظر: البحث العلمي، مفهومه، وأدواته، وأساليبه، أ.د. ذوقان عبيدات، وآخرون، ص ١٨٠.

- المطلب الأول: مخاطر استهداف المنصرين للأطفال في التطبيقات التنصيرية.
- المطلب الثاني: مخاطر استغلال المنصرين للوسائط المتعددة في التطبيقات التنصيرية.
- المطلب الثالث: مخاطر استغلال المنصرين للموارد المتنوعة في التوسع في نشر التطبيقات التنصيرية:
- الخاتمة، وفيها: النتائج، والتوصيات.

المبحث الأول

التعريف بأبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وخصائصها

تمهيد:

لقد جاءت التطبيقات التنصيرية كأحد أبرز وسائل الفكر التنصيري المعاصر، ويلاحظ في فضاء تطبيقات الهواتف الذكية أنه توجد المغات من التطبيقات التنصيرية^(١)، لذا حرص الباحث على اختيار التطبيقات الأشد خطراً، والأكثر انتشاراً؛ وذلك استناداً على عدد مرات التحميل لتلك التطبيقات من قبل المستخدمين، ووجد الباحث - حين استكشاف التطبيقات التنصيرية - أن هنالك ٣ تطبيقات تنصيرية تعد الأبرز على الإطلاق، إذ تراوحت مرات التثبيت لتلك التطبيقات ما بين ٥ ملايين تثبيت، إلى ١٠٠ مليون تثبيت على الهواتف الذكية وحدها.

وسوف يقوم الباحث باستعراض تلك التطبيقات التنصيرية من خلال التعريف بكل تطبيق، وبيان خصائصه، وفق ثلاثة مطالب، حيث جاء المطلب الأول: تحت عنوان: التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس"، وخصائصه، والمطلب الثاني: جاء تحت عنوان: التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال" وخصائصه، والمطلب الثالث: جاء تحت عنوان التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم" وخصائصه.

(١) من الأمثلة على التطبيقات التنصيرية: تفسير الإنجيل للكنيسة القبطية، الكتاب المقدس الدراسي، الكتاب المقدس في عام، آية كل يوم من الكتاب المقدس، الكتاب المقدس بالشواهد، مركز دراسات الكتاب المقدس، الكتاب المقدس كاملاً، عالم الكتاب المقدس، تفسير الإنجيل للكنيسة القبطية، الكتاب المقدس المسموع، تأملات يومية من الكتاب المقدس، موسوعة الكتاب المقدس، الكتاب المقدس (العهد القديم)، آيات الكتاب المقدس، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، الإنجيل باللغة العربية، آية الكتاب المقدس اليومية.

المطلب الأول

التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس"، وخصائصه

التطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس": هو عبارة عن تطبيق إلكتروني، تنصيري، مختص بالكتاب المقدس، ويتم تثبيته على الهواتف الذكية من خلال منصات تحميل تطبيقات الهواتف الذكية^(١).

ويعد تطبيق: "الكتاب المقدس" أبرز التطبيقات التنصيرية على الهواتف الذكية، والذي بذل فيه المنصرون جهوداً كبيرة ومنقطعة النظير، لجذب الناس للدخول في النصرانية.

فقد بلغ عدد مرات تثبيت التطبيق على الهواتف الذكية أكثر من ١٠٠ مليون مرة من خلال متجر "جوجل بلاي" المختص بتحميل التطبيقات على نظام "أندرويد"^(٢). وفي الموقع الرسمي للتطبيق أوضح أن عدد النسخ المثبتة بشكل عام تتجاوز ٥٠٠ مليون نسخة، سواء على الأجهزة الذكية، أو اللوحية، وغيرها، كما تقدم هذه النسخة بشكل مجاني اعتماداً على الشركاء، وبشكل خالٍ من الإعلانات، وتدعم نظامي: "أي أو إس"، و: "أندرويد"، ويتيح موقع التطبيق عدداً رقمياً يوضح عدد مرات التحميل

(١) انظر: الموقع الرسمي للتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس".

<https://www.youversion.com/the-bible-app>

(٢) انظر: التطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس"، متجر جوجل بلاي.

<https://play.google.com/store/apps/details?id=com.sirma.mobile.bible.android>

للتطبيق^(١).

وأما بشأن خصائص التطبيق التنصيري "الكتاب المقدس" فإنه يمتلك العديد من الخصائص، التي عمل المنصرون على إيجادها، وتطويرها، وذلك لجعلها ذات جاذبية عالية، ويعرض الباحث فيما يلي ملخصاً لأبرز تلك الخصائص، وذلك في سياق ترويجهم لهذا التطبيق التنصيري^(٢):

١. استخدام التطبيق بشكل مجاني.
٢. إمكانية الاستماع الصوتي للكتاب المقدس.
٣. إمكانية إنشاء قوائم الصلوات النصرانية.
٤. احتوائه على أكثر من ٢٠٠٠ إصدار من ترجمات الكتاب المقدس.
٥. إمكانية تنزيل إصدارات محددة لاستخدامها بدون الحاجة للاتصال بشبكة الإنترنت.
٦. إتاحة تصميم الكتاب المقدس للمستخدم من خلال: تمييز النص، والعلامات المرجعية، والشارات، والملاحظات.
٧. المشاركة مع الأصدقاء، وإجراء محادثات معهم.
٨. استخدام بطاقات الصلاة لتتبع الصلوات.
٩. تنظيم قوائم الصلاة بسهولة.

(١) انظر: الموقع الرسمي للتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس".

<https://www.youversion.com/the-bible-app>

(٢) انظر: التطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس"، متجر جوجل بلاي.

<https://play.google.com/store/apps/details?id=com.sirma.mobile.bible.android>

١٠. إمكانية القيام بصلوات خاصة، أو مشاركتها مع الأصدقاء.
١١. إتاحة الاحتفال بطلبات الصلاة التي قام الأصدقاء بالاستجابة لها.
١٢. إمكانية تعديل الكتاب المقدس من خلال تكوين صور جذابة لأعداد الكتاب المقدس، وتمييز النصوص بألوان مخصصة، ووضع علامات مرجعية للتذكير، والبحث عن الأعداد المفضلة في الكتاب المقدس.
١٣. إمكانية إنشاء ملاحظات: شخصية، أو عامة يمكن مشاركتها مع الأصدقاء.
١٤. إمكانية مشاركة الأعداد مع الأصدقاء عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي، والبريد الإلكتروني، والرسائل النصية القصيرة.
١٥. إتاحة المزامنة السحابية من خلال حساب مجاني يمكن من خلاله الاطلاع على كل الملاحظات، والنصوص المميزة، والإشارات المرجعية، والخطط على أي جهاز مدعوم.
١٦. سهولة القراءة من خلال ضبط الإعدادات المرتبطة بالخطوط، والمسافات بين الكلمات، وحجم النص.
١٧. إتاحة تطبيق "الكتاب المقدس" بأكثر من ٦٥ لغة، من بينها اللغة العربية.
١٨. إتاحة عمل خطط للقراءة.

المطلب الثاني

التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال" وخصائصه

التطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال": هو عبارة عن تطبيق إلكتروني، تنصيري، مختص بنشر الكتاب المقدس، من خلال استهداف فئة الأطفال، ويتم تثبيت هذا التطبيق على الهواتف الذكية من خلال منصات تحميل تطبيقات الهواتف الذكية^(١). ويعد تطبيق "الكتاب المقدس للأطفال" من أبرز التطبيقات التي بذل فيها المنصرون جهوداً كبيرة، للعمل على تنصير هذه الفئة المهمة في المجتمع، وهي فئة الأطفال. فقد بلغ عدد مرات التحميل لهذا التطبيق من متجر "جوجل بلاي" أكثر من ٥٠ مليوناً، وأوضح مطور التطبيق التنصيري في الصفحة التعريفية- التي يروج فيها لهذا التطبيق التنصيري- أن هذا التطبيق يحوي قصص الكتاب المقدس، من خلال أكثر من ٤٠ مغامرة تفاعلية تساعد الأطفال على فهم القصة الكلية التي يحكيها الكتاب المقدس، كما يأتي تطبيق الكتاب المقدس بتصفح ملائم للأطفال، ويساعدهم على إبداع، واختيار أي قصة يريدونها، ثم يقوم بقراءتها عليهم بصوت مسموع بأسلوب سردي لطيف^(٢).

وبين مطور هذا التطبيق التنصيري- في سياق الترويج لهذا التطبيق التنصيري- أن كل قصة تحوي رسوماً متحركة مسلية، وتفاعلية تجذب الأطفال، بالإضافة لوجود قصص مختارة تحتوي على ألعاب، وأنشطة، ومسابقات، ومكاسب مصممة لتساعد الأطفال على

(١) انظر: الموقع الرسمي للتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال".

<https://www.youversion.com/the-bible-app-for-kids/>

(٢) انظر: التطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال، متجر جوجل بلاي.

<https://play.google.com/store/apps/details?id=com.bible.kids&hl=ar&gl=US>

التعلم، والفهم، والاحتفاظ بمفاهيم مهمة في الكتاب المقدس^(١).
وفي الموقع الرسمي للتطبيق التنصيري "الكتاب المقدس للأطفال" يظهر أنه يدعم
نظامي: "آي أو إس"، ونظام "آندرويد"، وهو متوفر بأكثر من ٦٠ لغة، وهو مثبت على
أكثر من ٩٠ مليون جهاز فريد في جميع أنحاء العالم^(٢).
وأما بشأن خصائص التطبيق التنصيري "الكتاب المقدس للأطفال": فقد جاء
التطبيق التنصيري "الكتاب المقدس للأطفال" بالعديد من الخصائص التي تركز في المقام
الأول على فئة الأطفال، ويعرض الباحث فيما يلي ملخصاً لتلك الخصائص، وذلك في
إطار ترويضهم لهذا التطبيق التنصيري^(٣):

- ١- يُتاح الكتاب المقدس من خلال كتب سمعية ذات رسوم متحركة.
- ٢- يحتوي على تطبيق قراءة للأطفال، وهو تطبيق يساعد الأطفال الصغار على تعلم
القصص الكتابية، وصقل مهارات القراءة لديهم.
- ٣- يحتوي على قصص مكتوبة للأطفال، ورسوماً متحركة تُفَعَّل باللمس.
- ٤- سهولة التصفح، ومناسبته للأطفال.
- ٥- يحتوي على رسوم توضيحية كتابية ملونة.

(١) انظر: التطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال، متجر جوجل بلاي.

<https://play.google.com/store/apps/details?id=com.bible.kids&hl=ar&gl=US>

(٢) انظر: الموقع الرسمي للتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال".

<https://www.youversion.com/the-bible-app-for-kids/>

(٣) انظر: التطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال، متجر جوجل بلاي.

<https://play.google.com/store/apps/details?id=com.bible.kids&hl=ar&gl=US>

- ٦- يحتوي على قصص كتابية للأطفال تتجاوز ٤٠ قصة مسلية، وتفاعلية.
- ٧- يحتوي ألعاباً مصممة لمساعدة الطفل على تذكر ما تعلمه.
- ٨- يحتوي تحديات ومسابقات كتابية تسمح للأطفال الحصول على جوائز.
- ٩- تتوفر بلغات عدة منها: العربية، والإنجليزية، والإندونيسية، والألمانية، والإسبانية، والفلبينية، والفرنسية، والإيطالية، والهولندية، والبولندية، والبرتغالية، والرومانية، والتركية، والروسية، والفيتنامية، والفارسية، والأوردية، والهندية، والتايلندية، والكورية، والصينية المبسطة، والصينية التقليدية، واليابانية.

المطلب الثالث

التعريف بالتطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم"^(١)، وخصائصه:

التطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم": هو عبارة عن تطبيق إلكتروني، تنصيري، مختص بنشر الكتاب المقدس، ويتم تثبيته على الهواتف الذكية من خلال منصات تحميل تطبيقات الهواتف الذكية^(٢).

ويعد هذا التطبيق التنصيري من بين التطبيقات المجانية التي تعمل على نظام: "آي أو إس"، ونظام "أندرويد"، وفي سياق ترويج مطور هذا التطبيق التنصيري للتشجيع على استخدامه ذكر أنه يُشكّل اختباراً ثرياً من ناحية وسائل الإعلام الأطفال حيث يُساعد- على- حد زعمه- على إحياء الكتاب المقدس بالنسبة إليهم بالفيديوهات، والصور، وذلك من خلال سلسلة الكتاب العظيم المصوّرة، بالإضافة إلى ألعابٍ تفاعليّة^(٣)، وهذا

(١) لاحظ الباحث اختلاف مسمى التطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم" بين متجر "أندرويد"، ومتجر "آب ستور"، ففي متجر: "أندرويد"، جاء مسمى التطبيق: "الكتاب العظيم"، وفي متجر "آب ستور" ذي النسخة العربية، جاء تحت مسمى: "كتابي للأطفال"، مع التطابق في الخصائص، والأيقونات، ومما يؤكد أنه تطبيق واحد، ومصدره واحد، مع اختلاف الاسم فقط، قام الباحث بالرجوع للموقع الرسمي للتطبيق، وجاء التطبيق تحت مسمى: "الكتاب العظيم"، وقد يعزى ذلك الاختلاف في تسمية التطبيق في متجر "آب ستور" إلى محاولة تمرير هذا التطبيق التنصيري بهذه التسمية التي يظن من ظاهرها سلامة هذا التطبيق.

(٢) انظر: التطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم"، متجر جوجل بلاي.

<https://play.google.com/store/apps/details?id=air.cbn.superbook.bible.app.android>

(٣) انظر: الموقع الرسمي للتطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم".

<https://ar.superbook.cbn.com/app>

التطبيق قام بتحميله أكثر من ١٠ ملايين مستخدم على متجر "جوجل بلاي"^(١). وأضح مطور هذا التطبيق التنصيري أن كل المحتوى هو جزء لا يتجزأ من الكتاب المقدس، لذا بإمكان الأطفال أن يتفاعلوا بسهولة معه في سياق الكتاب المقدس، ويتضمن هذا التطبيق أيضاً لمحات عن أشخاص، وأماكن، وأدوات من الكتاب المقدس، بالإضافة إلى تأمين أجوبة كتابية لأسئلة شائعة لدى الأطفال^(٢).

وفيما يتعلق بخصائص التطبيق التنصيري "الكتاب العظيم": فقد جاء التطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم" بالعديد من الخصائص ذات الجاذبية العالية، وذلك لضمان التأثير على أكبر عدد ممكن، وفي إطار ترويجهم لهذا التطبيق يورد الباحث أبرز خصائصه^(٣):

- ١- مجاني الثبيت.
- ٢- يتضمن فيديوهات، وصوراً متنوعة من الكتاب العظيم.
- ٣- يحوي ٢٦ حلقة مجانية من سلسلة الكتاب العظيم.
- ٤- يتيح محتوى الكتاب المقدس للأطفال التفاعل مع كل فصل من الكتاب المقدس بسهولة.

(١) انظر: التطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم"، متجر جوجل بلاي.

<https://play.google.com/store/apps/details?id=air.cbn.superbook.bible.app.android>

(٢) انظر: الموقع الرسمي للتطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم".

<https://ar.superbook.cbn.com/app>

(٣) انظر: التطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم"، متجر جوجل بلاي.

<https://play.google.com/store/apps/details?id=air.cbn.superbook.bible.app.android>

- ٥- يحتوي أجوبة كتابية لمئات من الأسئلة الشائعة بين الأطفال.
- ٦- يتضمن لمحات عامة عن أشخاص، وأماكن وجدت في الكتاب المقدس.
- ٧- يمكن البحث عن أجوبة كتابية لأسئلة مهمة للأطفال، مثل: أسئلة حول الحياة، ويسوع، والكتاب المقدس.
- ٨- يحوي ألعاباً شيقة مثل لعبة البحث عن الكلمات، ولعبة ملاء الفراغ، والعديد من الألعاب الأخرى.

ويضاف لخصائص هذا التطبيق التصيري ما يلي^(١):

- ٩- يدعم العديد من اللغات في مقدمتها: العربية، والإسبانية، والإنجليزية، والبرتغالية، والروسية، والرومانية، والصينية المبسطة، والفارسية، والفرنسية، والهندية.

(١) انظر: التطبيق التصيري: "كتابي للأطفال"، متجر: "آب ستور".

المبحث الثاني

أبعاد مخاطر التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية

تمهيد: بعدما استعرض الباحث- في المبحث الأول- التعريف بأبرز صور وسائل الفكر التنصيري المعاصر- والتي جاءت التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية أبرزها- وكذلك بيان خصائصها، وجد الباحث أنه من الأهمية بمكان رصد أبعاد مخاطر تلك التطبيقات، وذلك لإفادة العاملين في حقل مواجهة التنصير بتلك الأبعاد التي تشكل مرتكزات في التطبيقات التنصيرية.

فيلاحظ أن تلك التطبيقات تركز على استهداف للأطفال، وتقوم كذلك بالتركيز على الوسائط المتعددة، بالإضافة لقيامها باستغلال الموارد المتنوعة في تحقيق أهدافها، والتوسع فيها.

وسوف يكشف الباحث تلك المخاطر من خلال ثلاثة مطالب، حيث يتناول في المطلب الأول: مخاطر استهداف الأطفال في التطبيقات التنصيرية، وفي المطلب الثاني: يتناول مخاطر استغلال الوسائط المتعددة في التطبيقات التنصيرية، وفي المطلب الثالث: يستعرض مخاطر استغلال الموارد المتنوعة في التوسع في نشر التطبيقات التنصيرية.

المطلب الأول

مخاطر استهداف المنصرين للأطفال في التطبيقات التنصيرية

إن من الأبعاد المهمة لمخاطر التطبيقات التنصيرية على الهواتف الذكية استهداف الأطفال في المقام الأول، ويعزى ذلك الأمر لأهمية هذه المرحلة العمرية.

فتعد بداية الطفولة فترة تكوينية مهمة من حياة الإنسان، حيث يتم وضع البذور الأولى في مستقبل حياة الطفل، كما تمكن أهمية تلك المرحلة لأن ما يحدث فيها من نمو، وما يكتسبه الطفل من معلومات، ومهارات، وعادات، وسلوكيات يصعب تقويمها، أو تعديلها، ويعزى ذلك الأمر لكون الممارسة المستمرة، والمتكررة لسلوك ما تزيد من نسبة ثبات هذا السلوك، ورسوخه^(١)، وهذه النقاط السابقة تبين بوضوح مخاطر استهداف المنصرين للأطفال.

وحالياً فإن العديد من الدراسات السابقة تؤكد وجود عدة أضرار تصاحب استخدام الأطفال للهواتف الذكية، وقد تلجأ بعض الأمهات إلى ترك أطفالها لساعات طويلة أمام شاشة الهاتف الذكي؛ وذلك لتوفير متسع من الوقت للعمل، والاسترخاء بعيداً عن صخب الأطفال، إلا أن هذه الأمر له تبعات خطيرة تتمثل في ظهور العديد من الأضرار على المستويات التربوية، والاجتماعية، والصحية^(٢)، وكذلك العقدية.

ومع الفوائد الكثيرة التي وفرتها التقنيات الرقمية في العصر الحالي للأطفال وخاصة في مجالات التعليم صاحبها في ذات الوقت - وفي ظل الاستخدام غير الواعي - سلبيات

(١) انظر: علم نفس النمو، من الطفولة إلى المراهقة، د. هشام أحمد غراب، ١٢٩.

(٢) انظر: التأثيرات السلبية لاستخدام الهواتف الذكية على الأطفال من وجهة نظر الأمهات، أسماء

باسم، وإيمان عبدالرحمن، ص ٩.

ومخاطر عديدة^(١)، ويأتي في مقدمتها استغلال تلك التطبيقات في تنصير الأطفال. ولاحظ الباحث من خلال النظر في التطبيقات التنصيرية على الهواتف الذكية تركيزها على شقين مهمين للتأثير على الأطفال، فالشق الأول: يقوم على استغلال القصص في نشر التنصير، ويأتي الشق الثاني: عبر الترويج للتنصير عن طريق الألعاب الإلكترونية.

ويعزى تركيز المنصرين على القصص في نشر التنصير من خلال التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية نظراً لما تمتاز به القصص بشكل عام من خصائص جذابة. فتعد القصة من أحب الألوان للأطفال، ومن أقربها إلى أنفسهم، كما أنها تعد من طرق التوجيه، وتقوم بإمداد الطفل بالخبرات، وتنمي الفكر لديه، وتمده بالعديد من المعلومات، وتقوم بإثراء الخيال لديه، بالإضافة إلى التسلية، والترويح، والترفيه^(٢). بالإضافة لامتياز قصص الأطفال بقوة الرسوخ في الذاكرة مما يستدعي الوعي الشديد لما يتلقاه الطفل من قصص^(٣)، ويؤكد خطورة استغلال المنصرين للقصة في سبيل التأثير على الأطفال.

وأما ما يتعلق بتركيز المنصرين على الألعاب الإلكترونية لنشر النصرانية بين الأطفال؛ فيعزى ذلك الأمر لما تتمتع به الألعاب الإلكترونية من شعبية كبيرة لدى الكثير من الفئات، وفي مقدمتها فئة الأطفال.

(١) انظر: تربية الطفل المصري في العصر الرقمي بين تحديات الواقع، وطموحات المستقبل، أ.د. جمال علي الدهشان، ص ٩٨.

(٢) انظر: فاعلية استخدام قصص الأطفال كمصدر للتعبير الفني في تنمية مهارات التفكير الإبداعي لدى طفل ما قبل المدرسة، العنود بنت سعيد أبو الشامات، ص ٣٥-٣٨.

(٣) انظر: قصص الأطفال، أصولها الفنية، وروادها، د. محمد حسن عبدالله، ص ٦.

وفي الوقت الحالي تدر أسواق ألعاب الفيديو عائدات كبيرة سنوياً، حيث سيبلغ حجم سوقها العالمي خلال العالم ٢٠٢١م ما مقداره ١٥٤،٦ مليار دولار أمريكي، وتصدرت الصين سوق ألعاب الفيديو حيث بلغ حجم سوقها ٤٩،٣ مليار دولار، ومن المتوقع أن يرتفع إلى ٧١،٢ مليار دولار في ٢٠٢٥م، متقدمة بفارق كبير عن أمريكا التي احتلت المركز الثاني هذا العام حيث بلغ حجم سوقها ٣٠،٤ مليار دولار، ثم تلتها اليابان التي يتوقع بأن تحقق ١٨،٢ مليار دولار خلال ٢٠٢١م^(١).

إن الانتشار الواسع للألعاب الإلكترونية، وزيادة الساعات التي يقضيها الأطفال في اللعب أدى إلى استنفار المربين، وعلماء النفس، والاجتماع للبحث حول آثارها في مختلف المجالات، فلا يمكن التعامل مع اللعبة الإلكترونية كوسيلة تسلية بريئة، بل هي وسيلة إعلامية تتضمن العديد من الرسائل ذات الأهداف المحددة على مختلف أنواعها سواء الدينية، أو السياسية^(٢).

ويرى الباحث أن الأمر مختلف مع الألعاب الإلكترونية في التطبيقات التنصيرية من حيث درجة الخطورة، إذ هي الأشد خطورة على الإطلاق؛ وذلك لكونها تستهدف في المقام الأول أطفال المسلمين، بالإضافة لعدم التفاتها للكسب المادي؛ نظراً لتمويل تلك التطبيقات من قبل العديد من الجهات التنصيرية، وبالتالي فإن هذه الألعاب الإلكترونية متاحة للأطفال بشكل مجاني، ولا يتم طلب دفع الأموال مقارنة بالألعاب الأخرى، مما يؤدي إلى زيادة انتشارها بين هذه الشريحة المهمة.

(١) انظر: جريدة الاقتصادية، ١٥٤ مليار دولار حجم سوق ألعاب الفيديو في ٢٠٢١م ثلثها للصين.

https://www.aleqt.com/٢٥/٠٨/٢٠٢١/article_٢١٥٨٨١١.html

(٢) انظر: أثر الألعاب الإلكترونية على السلوكيات لدى الأطفال، دراسة وصفية تحليلية على عينة من

الأطفال بالجزائر، مرتم قويدر، ص ١٤، ١٥.

المطلب الثاني

مخاطر استغلال المنصرين للوسائط المتعددة

في التطبيقات التنصيرية

يبدل المنصرون قصارى جهدهم في سبيل التنصير، وذلك عن طريق استخدام أحدث الوسائل المعاصرة ذات الجاذبية العالية، مقارنة بالتنصير التقليدي الذي يعتمد على الكتب، أو المطويات، لذا جاءت التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية تحوي العديد من أنواع الوسائط المتعددة، والتي تضمن أكبر تأثير على المتلقين.

ومفهوم الوسائط المتعددة يقوم على استخدام الحاسب الآلي في الدمج بين النص، والتصاميم، والرسم، والصور، والفيديو، والصوت، وأي نوع آخر من الأشكال الاتصالية^(١)، وبطبيعة الحال فإن الهواتف الذكية تعد من صور الحاسب الآلي المصغرة.

ويلاحظ في التطبيقات التنصيرية حرصها على نشر النصرانية، وذلك من خلال استخدام أشكال مختلفة من الوسائط المتعددة، كاستخدام الصور، والفيديو، للترويج للكتاب المقدس، وكذلك استخدام الرسوم المتحركة، والصوت.

فعلى سبيل المثال يعزى تركيز المنصرين على استخدام الصورة في إيصال المحتوى التنصيري في التطبيقات التنصيرية، نظراً لما تمتاز به من خصائص مهمة.

فالصورة تستخدم كمصدر للحصول على المعلومات، والحقائق، كما أنها تقوم بالعمل على تكوين المفاهيم العقلية، ولا تقل الصورة في أهميتها التعليمية عن الوسائل التعليمية الأخرى^(٢).

والصورة لها مكانة كبيرة، وخصوصاً في المجال التعليمي فهي تعد من مصادر

(١) انظر: الإعلام الجديد، المفاهيم والوسائل والتطبيقات، د. عباس مصطفى صادق، ص ١٣٠.

(٢) انظر: استخدام الصور التعليمية في تنمية مهارة الكتابة، نور طائفة، ص ٩٠.

المعرفة، وتشكل لغة عالمية لها قدرة كبيرة على التعبير، ولهذا يتم استغلال الصورة في التعليم بصفتها وسيلة اتصالية فعالة، وقدرة على التأثير^(١).

كما تلعب الصورة حالياً دوراً شديداً الأهمية، أكثر من أي وقت مضى؛ لأن الإعلام الحالي هو إعلام وسائط متعددة، وتمتاز الصورة بقوة التأثير على الآخرين^(٢). ويعد هذا العصر الراهن بأنه عصر الصورة؛ لكونها أبرز الأدوات المعرفية، ولقدرتها على مخاطبة العديد من شرائح المجتمع، فهي لا تحتاج جهداً ذهنياً لفهمها، لذا أصبحت وسيلة اتصالية فعالة تقوم بترجمة ما يريد الانسان أن يوصله من أفكار^(٣)، مما يوضح سبب تركيز المنصرين عليها في الوقت الحالي، وخصوصاً في التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية.

(١) انظر: أهمية الصورة في العملية الاتصالية، دراسة تحليلية سيميولوجية على عينة من صور كتاب القراءة للسنة الأولى من الطور الابتدائي، كروشي إشراق، وعيشوش جوهر، ص أ.

(٢) انظر: الإعلام الجديد، المفاهيم والوسائل والتطبيقات، د. عباس مصطفى صادق، ص ٣٣٩.

(٣) انظر: أهمية الصورة في العملية الاتصالية، دراسة تحليلية سيميولوجية على عينة من صور كتاب القراءة للسنة الأولى من الطور الابتدائي، كروشي إشراق، وعيشوش جوهر، ص أ.

المطلب الثالث

مخاطر استغلال المنصرين للموارد المتنوعة

في التوسع في نشر التطبيقات التنصيرية

بطبيعة الحال فإن الفكر التنصيري لا يمكن أن ينهض دون موارد متنوعة تمكنه من تحقيق أهدافه، وتساعد في التوسع في نشاطاته التنصيرية، وخصوصاً في التطبيقات التنصيرية، وهذا البعد يوضح حجم الخطر المحدق، ولا تعني الموارد الاقتصار على الموارد المالية فحسب، بل يتعدى ذلك إلى الموارد البشرية، وغيرها.

ولذا فقد أشار المؤتمر التنصيري الذي عقد في سنة ١٩٨٧م إلى منهجية التخطيط الاستراتيجي للتنصير حيث جاءت الاستراتيجية ذات الرقم ١٧ تحت مسمى: "حشد الموارد"، وأضح المؤتمر أن أفضل الخطط المرسومة تكون عديمة الفائدة من دون توفر الموارد المناسبة، وقام بطرح عدد من الأسئلة التي تشمل تحديد القوى البشرية التي يمكن من خلالها تنفيذ الخطط، وتحديد الموارد المالية التي يحتاجها العمل التنصيري، ومن أين ستأتي، بالإضافة لتحديد التسهيلات، أو المعدات التي يحتاجها العمل التنصيري لتحقيق أهدافه، وأوضح أن الإجابة على هذه الأسئلة تمثل استثماراً عظيماً للوقت والطاقة^(١).

وفي إحصائية أعدها المنصر: د. ديفيد باريت، المختص بإحصائيات العمل التنصيري في عام ٢٠٠٣م تضمنت إحصائيات لسنة ١٩٧٠م، ومنتصف سنة ٢٠٠٠م، ومنتصف سنة ٢٠٠٣م، وتوقعاً مستقبلياً لسنة ٢٠٢٥م، والجدول التالي يوضح أبرز ما

(١) انظر: التنصير، خطة لغزو العالم الإسلامي، ترجمة كاملة لأعمال المؤتمر التبشيري المنعقد في

جاء فيها^(١):

توقعات لسنة ٢٠٢٥	منتصف م٢٠٠٣	منتصف م٢٠٠٠	سنة م١٩٧٠	أشكال الدعم للعمل التنصيري
٦٤٠٠٠	٤٤١٥٠	٤٤٠٠٠	٢٤٢٠٠	المنظمات التي ترسل المنصرين
٦٥٠٠٠٠٠٠٠	٥٤٢٥٥٠٠٠٠	٥٤١٠٤٤٠٠٠	٢٤٣٥٠٠٠٠٠	المنصرين المحليين المتفرغين
٥٥٠٠٠٠٠	٤٣٤٤٠٠٠	٤٢٠٠٠٠٠	٢٤٠٠٠٠٠	المنصرين المحليين المتفرغين الأجانب
٨٧٠ بليوناً	٣٢٠ بليوناً	٢٧٠ بليوناً	٧٠ بليوناً	التبرعات لأغراض الكنيسة
١٤٥ بليوناً	٤٠٠ مليوناً	٣٣٢ مليوناً	١٠٠٠	الحواسيب المستخدمة في التنصير
١٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٦٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٥٣٠٧٠٠٠٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠	عدد الأناجيل المطبوعة

ويتواصل الدعم المستمر للعمل التنصيري في عصر التقنية التي جاءت التطبيقات
التنصيرية أبرز صوره.

فقد أشار التطبيق التنصيري على الهواتف الذكية: -"الكتاب المقدس"-، في
الموقع الرسمي له بأن هنالك ٢٥ شريكاً داعماً له، وتتنوع تلك الشراكات ما بين شراكات
مع الجمعيات التنصيرية، وشركات مع جهات تكنولوجية مختصة بالتنصير الإلكتروني،
وشراكات مع دور لنشر الانجيل، وترجمته^(٢).

كما يركز المنصرون على الموارد البشرية التي يمكن من خلالها ترجمة الإنجيل إلى
العديد من اللغات الحية.

وذلك انطلاقاً من كون الترجمة من أبرز الوسائل التي يركز عليها المنصرون لتحقيق

(١) انظر: إحصائية التنصير للعام ٢٠٠٣م، مجلة الكوثر الكويتية، ص٣٤، نقلاً عن المجلة الدولية
لبحوث الإرساليات:

international bulletin of missionary research

(٢) انظر: الموقع الرسمي للتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس".

<https://www.youversion.com/bible-partners/>

أهدافهم، وخصوصاً ترجمة التراث الكنسي، وفي مقدمته ترجمة الإنجيل^(١)، وهذا ما يتم ملاحظته في التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية.

(١) انظر: التنصير في المراجع العربية، دراسة ورصد وراقي للمطبوع، د. علي بن إبراهيم النملة، ص ٩٦.

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة، والسلام على رسوله محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، أشكر الله تعالى على إنجاز هذه الدراسة العلمية التي جاءت تحت عنوان: "وسائل الفكر التنصيري المعاصر، دراسة على أبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان أبعاد مخاطرها"، حيث قام بالتعريف بأبرز التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وبيان خصائصها، واستعرض أبعاد مخاطر التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية.

كما أن الباحث لا يدّعي الكمال فيما قدم؛ نظراً لكونه جهد بشري يعتريه النقص، والقصور، ويرجو الباحث - من الله تعالى - أن يستفاد من هذه الدراسة، وتنتائجها، وتوصياتها في الانطلاق إلى أبحاث أخرى في هذا المجال المهم، والسريع التطور، وفيما يلي يعرض الباحث ما توصل إليه من نتائج، وتوصيات:

أولاً: النتائج:

١- يعد التطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس" من أبرز التطبيقات التنصيرية على الهواتف الذكية، والذي بذل فيه المنصرون جهوداً كبيرة ومنقطعة النظير، لجذب الناس للدخول في النصرانية، فقد بلغ عدد مرات تثبيت التطبيق على الهواتف الذكية أكثر من ١٠٠ مليون مرة من خلال متجر "جوجل بلاي"، وفي الموقع الرسمي للتطبيق أوضح أن عدد النسخ المثبتة بشكل عام تتجاوز ٥٠٠ مليون نسخة، سواء على الأجهزة الذكية، أو اللوحية، كما أن التطبيق التنصيري "الكتاب المقدس" يمتلك العديد من الخصائص، التي عمل المنصرون على إيجادها، وتطويرها، وذلك لجعلها ذات جاذبية عالية.

٢- يعد تطبيق "الكتاب المقدس للأطفال" من أبرز التطبيقات التي بذل فيها المنصرون جهوداً كبيرة، للعمل على تنصير هذه الفئة المهمة في المجتمع، وهي فئة الأطفال، فقد بلغ عدد مرات التحميل لهذا التطبيق من متجر "جوجل بلاي" أكثر من ٥٠ مليوناً،

كما جاء التطبيق التنصيري "الكتاب المقدس للأطفال" بالعديد من الخصائص التي تركز في المقام الأول على فئة الأطفال.

٣- يعد تطبيق التطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم" من أبرز التطبيقات وقد قام بتحميله أكثر من ١٠ ملايين مستخدم على متجر "جوجل بلاي" وفيما يتعلق بخصائص هذا التطبيق فقد جاء بالعديد من الخصائص ذات الجاذبية العالية، وذلك لضمان التأثير على أكبر عدد ممكن.

٤- إن من الأبعاد المهمة لمخاطر التطبيقات التنصيرية على الهواتف الذكية استهداف الأطفال في المقام الأول، ويعزى ذلك الأمر لأهمية هذه المرحلة العمرية، فتعد بداية الطفولة فترة تكوينية مهمة من حياة الإنسان، حيث يتم وضع البذور الأولى في مستقبل حياة الطفل، كما تمكن أهمية تلك المرحلة لأن ما يحدث فيها من نمو، وما يكتسبه الطفل من معلومات، ومهارات، وعادات، وسلوكيات يصعب تقويمها، أو تعديلها، وهذه النقاط السابقة تبين بوضوح مخاطر استهداف المنصرين للأطفال.

٥- إن من الأبعاد المهمة لمخاطر التطبيقات التنصيرية على الهواتف الذكية استغلال المنصرين للوسائط المتعددة في التطبيقات التنصيرية، حيث يبذل المنصرون قصارى جهدهم في سبيل التنصير، وذلك عن طريق استخدام أحدث الوسائل المعاصرة ذات الجاذبية العالية لذا جاءت التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية تحوي العديد من أنواع الوسائط المتعددة، والتي تضمن أكبر تأثير على المتلقين.

٦- إن من الأبعاد المهمة لمخاطر التطبيقات التنصيرية على الهواتف الذكية استغلال المنصرين للموارد المتنوعة في التوسع في نشر التطبيقات التنصيرية وتساوده تلك الموارد في التوسع في نشاطاته التنصيرية، وخصوصاً في التطبيقات التنصيرية، وهذا البعد يوضح حجم

الخطر المحدق، ولا تعني الموارد الاقتصار على الموارد المالية فحسب، بل يتعدى ذلك إلى الموارد البشرية، وغيرها.

ثانياً: التوصيات:

- يوصي الباحث بالكتابة في الموضوعات التالية:
 - ١- مدى وعي الأسر المسلمة بمخاطر التطبيقات التنصيرية في الهواتف الذكية، وذلك من خلال دراسة ميدانية.
 - ٢- المصادر المعاصرة لتمويل العمل التنصيري، ومقارنتها بالماضي.
- يوصي الباحث الجهات المعنية بالتواصل مع الشركات ذات الصلة بتطبيقات الهواتف الذكية مثل شركة: أبل، وجوجل، وذلك لوضع قيود على المحتوى التنصيري، وذلك انطلاقاً من حق التدين الذي يضمن للمسلم حماية دينه من أي مؤثرات خارجية.
- يوصي الباحث ببذل المزيد من الجهود في نشر الدين الإسلامي باللغات الحية، مع الاستفادة من التقنيات المعاصرة، وعلى رأسها تطبيقات الهواتف الذكية.
- يوصي الباحث بمتابعة الأطفال من قِبَل أسرهم، وخصوصاً مراقبة استخدامهم تطبيقات الهواتف الذكية، ولذلك للحد من المهددات الفكرية، وعلى رأسها التطبيقات التنصيرية.
- يوصي الباحث بإنشاء مرصد علمي يعنى بالدراسات التنصيرية، وخصوصاً ذات الصلة بوسائل الفكر التنصيري المعاصر.
- يوصي الباحث الجهات ذات العلاقة، وخصوصاً الجامعات بإقامة المؤتمرات في مجال وسائل الفكر التنصيري المعاصر، وخصوصاً استخدام التقنية في العمل التنصيري، ومن الأهمية أن تتناول تلك المؤتمرات- في محاورها- عدة أمور من أهمها: رصد الوسائل المعاصرة للفكر التنصيري، وتطورها، وكيفية تمويلها، وقياس أثرها على المجتمعات

المسلمة، والتعرف على مدى وعي الأسرة المسلمة بتلك الوسائل.

مراجع الدراسة:

○ القرآن الكريم.

- أبرز المواقع التنصيرية عبر شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)، دراسة تحليلية، إنعام بنت محمد عقيل، رسالة لمرحلة الماجستير، العام الجامعي: ١٤٢٤-١٤٢٥هـ، شعبة العقيدة، قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.
- أثر الألعاب الإلكترونية على السلوكيات لدى الأطفال، دراسة وصفية تحليلية على عينة من الأطفال بالجزائر، مريم قويدر، رسالة ماجستير، ٢٠١١م، قسم علوم الإعلام، والاتصال، كلية العلوم السياسية، والإعلام، جامعة الجزائر، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.
- إحصائية التنصير للعام ٢٠٠٣م، مجلة الكوثر الكويتية التابعة لجمعية العون المباشر، العدد/٤٢، أبريل ٢٠٠٣م، مطابع القبس التجارية، الكويت.
- أساليب المنصرين في الصد عن الإسلام في أفريقيا، وطرق مواجهتها، دراسة ميدانية على دولة كينيا في الفترة من عام: ١٤١١-١٤٢٠هـ، نور الدين عوض بابكر، رسالة لمرحلة الدكتوراه، العام الجامعي: ١٤٢٢-١٤٢٣هـ، قسم الدعوة، والاحتساب، كلية الدعوة، والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.
- استخدام الصور التعليمية في تنمية مهارة الكتابة، نور طائفة، رسالة ماجستير، ٢٠٠٩م، قسم تعليم اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، جامعة مولانا، جمهورية إندونيسيا.
- استخدام تطبيقات الهواتف الذكية في المكتبات العربية، دراسة تحليلية للنتائج الفكرية العربي، د. سرفيناز أحمد حافظ، العدد: ٢٣، ٢٠١٩م، مجلة بحوث في علم

- المكتبات، والمعلومات، جامعة القاهرة، كلية الآداب، جمهورية مصر العربية.
- أصول البحث العلمي، ومناهجه، أحمد بدر، ط/٩، ١٩٩٦م، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
- الإعلام التنصيري الموجه للطفل من خلال قناة (سات-٧) الفضائية، دراسة تحليلية، فضة بنت سالم العنزي، رسالة ماجستير، العام الجامعي ١٤٢٧هـ، قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.
- الإعلام الجديد، الإعلام البديل، حسنين شفيق، ط/بدون، ٢٠١٠م، دار فكر، وفن للطباعة، والنشر، والتوزيع، جمهورية مصر العربية.
- الإعلام الجديد، المفاهيم والوسائل والتطبيقات، د. عباس مصطفى صادق، ط/١، ٢٠٠٨م، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، المملكة الأردنية الهاشمية.
- أهمية الصورة في العملية الاتصالية، دراسة تحليلية سيميولوجية على عينة من صور كتاب القراءة للسنة الأولى من الطور الابتدائي، كروشي إشراق، رسالة ماجستير، ٢٠١٧م، قسم علوم الإعلام، والاتصال، كلية العلوم الإنسانية، والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.
- البحث العلمي، مفهومه، وأدواته، وأساليبه، أ.د. ذوقان عبيدات، وآخرون، ط١٧، ٢٠١٥م، دار الفكر، عمّان، المملكة الأردنية الهاشمية.
- التأثيرات السلبية لاستخدام الهواتف الذكية على الأطفال من وجهة نظر الأمهات، أسماء باسم، وإيمان عبد الرحمن، بحث مقدم استكمالاً لمساق البحث الإعلامي، ٢٠١٧م، قسم الصحافة المكتوبة والإلكترونية، كلية الإعلام، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
- تربية الطفل المصري في العصر الرقمي بين تحديات الواقع، وطموحات المستقبل، جمال

علي الدهشان، ٢٠١٨م، المؤتمر الدولي الأول لكلية رياض الأطفال، كلية رياض الأطفال، جامعة أسيوط، جمهورية مصر العربية.

- تطبيقات الهواتف الذكية من قبل طالبات كلية علوم الحاسب والمعلومات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مسفرة بنت دخيل الحثعمي، دراسة وصفية، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد: ٩، العدد: ١، ٢٠١٦م، عمّان، المملكة الأردنية الهاشمية.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط/٢، ١٤٢٠هـ، دار طيبة للنشر، والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي، ط/١، ١٤٢٣هـ، دار إحياء التراث، بيروت، الجمهورية اللبنانية.
- التنصير عبر الخدمات التفاعلية لشبكة المعلومات العالمية دراسة عقدية، محمد بن موسى المحممي، ١٤٣٢/١٤٣٣هـ، رسالة ماجستير، قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- التنصير عبر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، علي بن سعيد عثمان، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، العدد: ٢، المجلد: ٢٢، ٢٠١٤م، الجامعة الإسلامية، غزة.
- التنصير في المراجع العربية، دراسة ورصد وراقي للمطبوع، علي بن إبراهيم النملة، ط/٢، ١٤٢٤هـ، من منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- التنصير في وسائل الإعلام في إندونيسيا، للباحث: سوهيري إلياس نور الدين، رسالة ماجستير، ١٤٠٤-١٤٠٥هـ، قسم الإعلام، المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- التنصير، خطة لغزو العالم الإسلامي، ترجمة كاملة لأعمال المؤتمر التبشيري المنعقد في ١٩٧٨م، ط/بدون، ١٩٧٨م، دار مارك للنشر، الولايات المتحدة الأمريكية.
- التنصير، مفهومه، وأهدافه، ووسائله، وسبل مواجهته، علي بن إبراهيم النملة، ط/بدون، ١٤١٣هـ، دار الصحوة للنشر، والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد القرطبي، ط/٢، ١٣٨٤هـ، دار الكتب المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
- دراسة لبعض المواقع التنصيرية العربية في الإنترنت، دراسة وصفية، خالد بن عبدالله القاسم، العدد/٢٦، ٢٠٠٧م، حولية كلية أصول الدين، والدعوة بالمنوفية، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.
- علم نفس النمو، من الطفولة إلى المراهقة، د. هشام أحمد غراب، ط/١، ٢٠١٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، الجمهورية اللبنانية.
- فاعلية استخدام قصص الأطفال كمصدر للتعبير الفني في تنمية مهارات التفكير الإبداعي لدى طفل ما قبل المدرسة، العنود بنت سعيد أبو الشامات، ١٤٢٨هـ، رسالة ماجستير، قسم المناهج، وطرق التدريس، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
- قصص الأطفال، أصولها الفنية، وروادها، محمد حسن عبدالله، ط/بدون، تاريخ النشر/بدون، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
- القنوات الفضائية العربية التنصيرية، دراسة في ضوء العقيدة الإسلامية، تركي بن خالد الظفيري، رسالة ماجستير، ١٤٢٦/١٤٢٧هـ، قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- النشاط التنصيري في منطقة الخليج، أهدافه، وأبعاده، وسبل مقاومته، إبراهيم بن

- مسعود المالكي، رسالة دكتوراه، العام الجامعي: ١٤٢٩هـ، قسم العقيدة، كلية الدعوة، وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
- وسائل التنصير، وكيفية مواجهتها، عبير بنت محمد عاتي، بحث تكميلي لمرحلة الماجستير، العام الجامعي: ١٤٣٠-١٤٣١هـ، قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

الموقع الإلكتروني^(١):

- ١٥٤ مليار دولار حجم سوق ألعاب الفيديو في ٢٠٢١م ثلثها للصين، جريدة الاقتصادية:

https://www.aleqt.com/٢٥/٠٨/٢٠٢١/article_٢١٥٨٨١١.html

- ٨٢٪ من مستخدمي الهواتف الذكية لا يستغنون عن التطبيقات، جريدة الاقتصادية:

https://www.aleqt.com/٢٨/٠٢/٢٠١٣/article_٧٣٥٢٧٨.html

- التطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم"، متجر جوجل بلاي:

<https://play.google.com/store/apps/details?id=air.cbn.superbook.bible.app.android>

- التطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال، متجر جوجل بلاي:

<https://play.google.com/store/apps/details?id=com.bible.kids&hl=ar&gl=US>

- التطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس"، متجر جوجل بلاي:

<https://play.google.com/store/apps/details?id=com.sirma.mobile.bible.android>

- التطبيق التنصيري: "كتابي للأطفال"، متجر: "آب ستور":

<https://apps.apple.com/ae/app/superbook-kids->

(١) قام الباحث بالتأكد من عمل جميع الروابط الإلكترونية، وكانت آخر مرة في: ١٤٤٤/٥/٩هـ.

[bible/id٦٠٦٣٧٨٠٣٠?l=ar](https://ar.superbook.cbn.com/app)

الموقع الرسمي للتطبيق التنصيري: "الكتاب العظيم":

<https://ar.superbook.cbn.com/app>

الموقع الرسمي للتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس للأطفال":

<https://www.youversion.com/the-bible-app-for-kids/>

الموقع الرسمي للتطبيق التنصيري: "الكتاب المقدس":

<https://www.youversion.com/the-bible-app>

نمو سوق الهواتف الذكية العالمي بنسبة ١٢٪ خلال ٢٠٢١م، جريدة اليوم

[السابع: https://www.youm7.com](https://www.youm7.com)

البحث رقم (٣)

توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله تعالى

د. عبير بنت خالد الشلهوب

الأستاذ المشارك في قسم الدعوة

المعهد العالي للدعوة والاحتساب

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المملكة العربية السعودية

مستخلص البحث

يهدف البحث للتعرف على مفهوم ونماذج توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية، وأنواعها، وإيضاح إيجابياتها وسلبياتها، وقد تم توظيف المنهج الاستقرائي الناقص، وقد بين البحث أن نماذج توظيف الدردشة التفاعلية مع المدعو المسلم كثيرة منها: التذكير بمواعيد الصلاة، ونشر الأذكار والأدعية، والاستماع للقرآن الكريم وتفسير الآيات مع ترجمة القرآن لأكثر من لغة، واستجني الجهات الدعوية بإذن الله الكثير من الثمرات والفوائد منها: الوصول الأكبر شريحة من المدعوين حول العالم إن تم تصميم وبرمجة روبوتات الدردشة التفاعلية بشكل مناسب، وتوصي الباحثة بأن تقوم الجهات الدعوية بتوظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في مواقعها الإلكترونية وحسابات وسائل التواصل الرسمية التابعة لها.

الكلمات المفتاحية: (روبوتات الدردشة-الذكاء الاصطناعي-الدعوة إلى الله).

Research Abstract: The research aims to identify the concept and types of interactive chatbots, highlight the examples for employing interactive chatbots in calling upon Allah, and explain the pros and cons of the same. Incomplete induction approach was utilized. The Research shows that the examples for employing interactive chatbots with the so-called “Muslim” are many, including: reminding of Prayer times. If interactive chatbots are designed and programmed properly, the Dawa entities will reap great benefits. The Researcher recommends that the Dawa entities employ interactive chatbots on their websites and official social media accounts.

Keywords: (chatbots – artificial intelligence – calling upon Allah)

المقدمة

قام النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الله تعالى مستخدماً كافة الوسائل المباحة والمتاحة في عصره عليه الصلاة والسلام، فلما أراد أن يرسل ملوك الروم لدعوتهم إلى الإسلام قيل له: أن الروم لا يقرؤون إلا كتاباً محتوماً، فاتخذ خاتماً من فضة، فقد جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم قيل له: إنهم لن يقرءوا كتابك إذا لم يكن محتوماً، فاتخذ خاتماً من فضة، ونقشه: كمحمد رسول الله، فكأنما أنظر إلى بياضه في يده"^(١)، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فينبغي على كل داع إلى الله أن يبذل الجهد في استخدام كافة الوسائل المباحة والمتاحة في عصره؛ لإيصال الدعوة للناس كافة، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله (ت: ١٤٢١هـ): (والوسائل ليس لها حد شرعي، فكل ما أدى إلى المقصود فهو مقصود ما لم يكن منهياً عنه بعينه، فإن كان منهياً عنه بعينه فلا نقره... وليس من اللازم أن ينص الشرع على كل وسيلة بعينها يقول: هذه جائزة؛ لأن الوسائل لا حصر لها، ولا حد لها، فكل ما كان وسيلة لخير فهو خير)^(٢)، وفي عصرنا الحالي برزت تقنيات الذكاء الاصطناعي^(٣) في شتى المجالات المختلفة، وتم توظيفها في خدمة عدد من التخصصات،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب اتخاذ الخاتم ليختم به الشيء، أو ليكتب به إلى أهل الكتاب وغيرهم، (١٥٧/٧)، رقم ٥٨٧٥؛ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب في اتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتماً لما أراد أن يكتب إلى العجم، (١٦٥٧/٣) رقم ٢٠٩٢.

(٢) لقاء الباب المفتوح سلسلة لقاءات بين الشيخ محمد بن صالح العثيمين وطلابه، الطيار، (٤٩/١٥).

(٣) جزء من علوم الحاسب يهدف إلى تصميم أنظمة ذكية تعطي نفس الخصائص التي نعرفها بالذكاء في السلوك الإنساني) مقدمة في الذكاء الاصطناعي، القاضي، ص ١٦.

والدعاة إلى الله هم أولى الناس بتوظيفها في العصر الحالي؛ للإسهام بإيصال الدعوة لكافة شرائح المدعوين، فتناول هذا البحث أحد تقنيات الذكاء الاصطناعي، حيث سلّط الضوء على توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية^(١) في الدعوة إلى الله.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

أ- من حيث ذاته لتعلقه بأحد تقنيات الذكاء الاصطناعي الذي برز استخدامه مؤخراً في شتى المجالات، واختصرت تطبيقاته الكثير من الجهد والوقت لتحقيق الأهداف المرجوة منها، والدعاة إلى الله هم أولى الناس بالإفادة من تلك التقنيات؛ لسعيهم لوصول الدعوة إلى شتى أنحاء العالم.

ب- من حيث زمنه لتعلقه بواقع العالم المعاصر وما يشهده من انتشار جائحة كورونا (كوفيد-١٩)، ثم ظهور المتحورات ومنها: (أوميكرون)^(٢)، مما يستلزم الأخذ بجميع الاحتياطات الاحترازية، وتقليل التواصل المباشر مع الآخرين ما أمكن، وهذا يقتضي أن يستفيد الدعاة إلى الله من بعض تقنيات الذكاء الاصطناعي، مثل: روبوتات الدردشة التفاعلية؛ لإيصال الدعوة إلى الله للمدعوين دون الحاجة للقاء المباشر بهم.

ج- ارتباط توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي ببعض برامج رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، حيث يتضمن برنامج التحول الوطني تطوير الأنظمة الحكومية، وتحسين الخدمات المقدمة للمواطنين، والتوسع في التحول الرقمي والحلول التقنية، ومن أهداف برنامج التحول

(١) سيتم شرح مفهوم الدردشة التفاعلية في تمهيد هذا البحث.

(٢) انظر: الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية، كورونا | وحدة تنسيق الدعم-ACU |

(sy.org)، بتاريخ ٦/٥/١٤٤٤هـ.

الوطني تسهيل ممارسة الأعمال، وبالتالي فإنّ توظيفها في الدعوة إلى الله من قبل المؤسسات والجهات الدعوية سيسهم بإذن الله في تحقيق الهدف^(١).

أهداف البحث:

الهدف الرئيس: إبراز نماذج توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله تعالى.

- ١- التعرف على مفهوم روبوتات الدردشة التفاعلية وأنواعها.
- ٢- تسليط الضوء على نماذج توظيف الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله.
- ٣- إيضاح إيجابيات وسلبيات توظيف الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله.

تساؤلات البحث:

- ١- ما المقصود بروبوتات الدردشة التفاعلية؟ وما أنواعها؟
- ٢- ما نماذج توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية مع المدعو المسلم؟ وغير المسلم؟
- ٣- ما إيجابيات وسلبيات توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله؟

الدراسات السابقة:

١- **توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في خدمة السنة، أفلح كاشور،** رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم علوم الحديث، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، عام ١٤٣٦هـ، حيث تناول البحث ما يتعلق بعلم مصطلح الحديث، وسلط الضوء على أقسام الحديث من حيث القبول والرد، وتناول شروط قبول الحديث، وكذلك أهم أسباب اختلاف مناهج العلماء في نقد الحديث، وبيّن مشكلة الطرق التقليدية في

(١) انظر: الموقع الرسمي لرؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، برنامج التحول الوطني - رؤية السعودية

٢٠٣٠ (vision٢٠٣٠.gov.sa)، بتاريخ ٥/٦/١٤٤٤هـ.

نقد الحديث، وسلط الضوء على حل المشكلة باستخدام تقنيات الحاسوب الحديثة، وأخيراً أفرد فصلاً كاملاً لبيان كيفية توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي لخدمة السنة النبوية، وقد توصل البحث لعدد من النتائج منها: أنّ توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي يقدم الكثير من الحلول في مجال الدراسات الإسلامية وتحقيق التراث الإسلامي، وكذلك دقة النتائج إلى حد كبير لاستيعاب كل المصادر والمراجع مما يزيد في نسبة الصواب ودقة الأحكام المتعلقة بالتصحيح والتضعيف، وقد جاء من ضمن توصيات البحث أن تتبنى جامعة المدينة العالمية مشروع جمع السنة بالتنسيق مع هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية وغيرها من المؤسسات الإسلامية.

يظهر الفرق جلياً بين البحث السابق والحالي، فالسابق سلط الضوء بشكل عام على الحديث ونقده ومعظم المسائل المتعلقة بهذا العلم مع تطرقها للطرق التقليدية في نقد الحديث، ثم بين أوجه الإفادة من تقنيات الذكاء الاصطناعي في خدمة السنة ولم يتطرق لروبوتات الدردشة التفاعلية، بينما البحث الحالي سلط الضوء على روبوتات الدردشة التفاعلية من حيث مفهومها، وأنواعها، وآلية توظيفها مع المدعويين، وأبرز إيجابياتها وسلبياتها.

٢- توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في الدعوة إلى الله، ابتسام بنت عبد الله الحربي، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في قسم الدعوة، المعهد العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٣٩هـ - ١٤٤٠هـ، تم تقسيم البحث لأربعة فصول، الفصل الأول: تاريخ الذكاء الاصطناعي وخصائصه، والثاني: نماذج تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الدعوة إلى الله، والثالث: ميادين توظيف تقنيات الذكاء

الاصطناعي في الدعوة إلى الله، والرابع: إيجابيات وسلبيات توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في الدعوة إلى الله.

يكمن الفرق بين البحث السابق والحالي في كون السابق تناول تقنيات الذكاء الاصطناعي بشكل عام، وتم تناول الدردشة التفاعلية (الشات بوت)^(١) في ثمانية أسطر بينما سلطَ البحث الحالي الضوء بشكل موسع على روبوتات الدردشة التفاعلية من حيث مفهومها، وأنواعها، وآلية توظيفها مع المدعويين، وأبرز إيجابياتها وسلبياتها.

منهج البحث: المنهج الاستقرائي الناقص^(٢)، حيث قامت الباحثة بتتبع واستقراء بعض ما كُتب عن روبوتات الدردشة التفاعلية، وكيفية توظيفها في الدعوة إلى الله.

تقسيمات البحث: المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وتساؤلاته، ومنهجه، والدراسات السابقة.

التمهيد: مفهوم روبوتات الدردشة التفاعلية وأنواعها.

المبحث الأول: نماذج توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله.

المبحث الثاني: إيجابيات وسلبيات توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

(١) سيتم شرح مفهوم الدردشة التفاعلية في تمهيد هذا البحث.

(٢) وهو ما يقوم على الاكتفاء ببعض جزئيات المسألة، وإجراء الدراسة عليها بالتتابع لما يعرض لها... وذلك لإصدار أحكام عامة تشمل جميع جزئيات المسألة التي لم تدخل تحت الدراسة. انظر: البحث العلمي حقيقته، ومصادره، ومادته ومنهجه وكتابته، وطباعته ومناقشته، الربيع، (١/١٧٩). يختلف مفهوم المنهج الاستقرائي في العلوم الإنسانية نوعاً ما عنه في العلوم الطبيعية، حيث يقصد به غالباً في العلوم الإنسانية التتبع، والجمع.

التمهيد

مفهوم روبوتات الدردشة التفاعلية وأنواعها

أولاً: مفهوم روبوتات الدردشة التفاعلية

مفهوم روبوت لغةً: كلمة غير عربية مترجمة ^(١)، ويقصد بها: الإنسان الآلي، فأبي جهاز تحركه آلة داخلية ويُقلد حركات الإنسان، ويكون مبرمجاً على القيام بأعمال معقدة ^(٢) يسمى روبوتاً.

اصطلاحاً: آلة تتم برمجتها إلكترونياً؛ للقيام بأعمال محددة بحيث تستشعر المؤثرات من حولها، وتستجيب لها بقدر من الذكاء، وروبوت المحادثة هو أحد تطبيقات الذكاء الاصطناعي يستخدم معالجة اللغة الطبيعية للتحدث مع مستخدم بشري سواء بالصوت أو عبر الرسائل النصية، ويتم استخدامه في عدة مجالات ^(٣).

(١) أصل كلمة روبوت من الثقافة التشيكية، حيث اشتقت الكلمة من روبوتا التي جاء ذكرها في مسرحية للكاتب رسوموفي يونيفرزالني روبروتي (Roboti Univerzální Rossumovi) وترمز إلى العمل الجبري أو القسري... وأداء المهام بشكل متتابع وبشكل إلزامي، ومخترع الكلمة الأصلي هو يوسف شابك، أخ للكاتب التشيكي كارل شابك. انظر: هندسة المنهج واستشراف مستقبل الابتكار التكنولوجي في العصر الرقمي، الشامي، (ص١٧٦-١٧٧). كان أول استخدام لكلمة روبوت باللغة الإنجليزية عام ١٩٢٣م في لندن في عرض افتتاح لعبة مسرحية، ثم صاغ إسحاق إسيموف أحد خريجي جامعة كولومبيا مصطلح الروبوتات عام ١٩٤٥م، انظر: الذكاء الاصطناعي ثورة في تقنيات العصر، موسى، حبيب، (ص٣٨).

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عبد الحميد عمر، (١/١٣٠).

(٣) انظر: الموقع الرسمي لمعجم المصطلحات التقنية، مبادرة ثينك تك (Think Tech) للاقتصاد الرقمي، بإشراف من وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات، المملكة العربية السعودية، على الرابط <https://techtionary.thinktech.sa/>، (كلمة روبوت)، بتاريخ ١/٥/١٤٤٤هـ.

مفهوم الدردشة لغةً: مشتقة من الفعل دردش، (يُدرش، دَرَدَشَةٌ، فهو مُدَرِّش... دردش القومُ: تحدّثوا حديثاً خفياً في أمور شتى)^(١).

اصطلاحاً: نوع من الاتصال الرقمي يحدث عبر شبكة الإنترنت بين شخصين أو أكثر... ويمكن إجراء ذلك الاتصال بشكل كتابي أو صوتي أو مرئي، مع إمكانية تبادل المستندات^(٢).

مفهوم التفاعلية لغةً: (تفاعل يتفاعل، تفاعلاً، فهو متفاعل، تفاعل الشَّيْئان: أثر كلُّ منهما في الآخر... تفاعل مع الحدث: تأثر به، أثاره الحدث فدفعه إلى تصرفٍ ما...)^(٣).

اصطلاحاً: اتصال متبادل بين مستخدم بشري وبين أحد تقنيات الذكاء الاصطناعي^(٤).

التعريف الإجرائي: أحد تقنيات الذكاء الاصطناعي الذي تتم برمجته من قبل مالك بشري؛ ليقوم بالتواصل أو الرد على الأسئلة الموجهة له بطريقة تحاكي التواصل أو الرد البشري.

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، عبد الحميد عمر، (٧٣٦/١).

(٢) انظر: دراسات وبحوث في الإعلام والصحافة، بريق الربيعي، (ص٢٨).

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، عبد الحميد عمر، (١٧٢٥/٣).

(٤) انظر: الذكاء الاصطناعي ثورة في تقنيات العصر، موسى، حبيب، (ص٦٤).

ثانياً: أنواع روبوتات الدردشة التفاعلية

تختلف أنواع روبوتات الدردشة تبعاً لاختلاف الهدف من تصميمها، ومعظم تلك الروبوتات تندرج ضمن أحد هذه الأنواع^(١):

١-روبوتات (Chatting bot): يقوم هذا النوع على المحادثة باستخدام الذكاء الصناعي، بحيث يقوم المستخدم بطرح الأسئلة المكتوبة، ليقوم الروبوت بالإجابة بحسب بنك الأسئلة الذي تم إدراجه فيه من قبل المصمم، وإن لم يجد الإجابة يتم تحويل المستخدم لشخص بشري.

٢- روبوت (Crawler): ويسمى كذلك بالعنكبوت أو الزاحف، ويعتمد على البحث عن اهتمامات المستخدم في المواقع الإلكترونية ثم يقدم نتائجاً معتمدة على تلك الاهتمامات، ويتم استخدامه من قبل محركات البحث للحصول على بيانات من المواقع الأخرى، وقد تم دعمه من قبل شركات متعددة من أشهرها: شركة جوجل^(٢)، ويعد روبوت مساعد التسوق الشخصي (ebay chatbots)^(٣)، نموذجاً لهذا النوع من الروبوتات.

٣-روبوت (Transactional): نموذج تفاعلي للاتصال بين طرفين، أحدهما بشري، والآخر روبوت ويكون معتمداً على قاعدة بيانات يقوم بالرد من خلالها، أو واجهة لبرمجة التطبيقات.

(١) انظر: المرجع السابق، (ص٣٨-٤١).

(٢) انظر: المرجع السابق ، (ص٣٩).

(٣) انظر: الموقع الرسمي لأي بوتس على الرابط، <https://www.ebayinc.com> بتاريخ

١٤٤٤/٥/٦هـ.

٤-روبوتات (Informational bots): حيث تتم برمجتها لتقوم بإرسال رسائل معينة كل فترة زمنية محددة لكل مشترك.

٥-روبوت (Menu based): يعتمد على اختيارات معينة من قائمة محددة حيث يقوم المستخدم بالاختيار بينها^(١).

(١) انظر: الموقع الرسمي لتجمع مشرفي المعلوماتية العرب، بإشراف: د. عدنان مصطفى البار، على الرابط [تجمع مشرفي المعلوماتية العرب](#) بتاريخ ١٤٤٤/٥/٦هـ.

المبحث الأول

نماذج توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله

المطلب الأول

نماذج توظيف الدردشة التفاعلية مع المدعو المسلم

قامت الباحثة بالاطلاع على عدد من نماذج الدردشة التفاعلية الدعوية الموجودة عبر تطبيق "التيليجرام"^(١)، وكل تلك النماذج لا تتبع لجهة دعوية رسمية، فهي اجتهادات فردية لبعض الأشخاص بل إنّ بعضها لا يعرف من مالكة والقائم ببرمجته! ولذلك لم تضع الباحثة روابط تلك النماذج حتى لا تعد تركية لها، خاصة مع عدم القدرة على تحليل بنك الأسئلة الذي تم برمجته في الدردشة ومدى موافقة الإجابات المرسله لمنهج أهل السنة والجماعة، فتم الاكتفاء بذكر فكرة وجودها؛ حتى تستفيد الجهات الدعوية من توظيفها، وموضوعاتها كالتالي:

أولاً: التذكير بمواقيت الصلاة:

يقوم روبوت الدردشة التفاعلية بعد برمجته بإعلام المشتركين بمواقيت الصلاة في أهم مدن المملكة العربية السعودية مثل: مكة المكرمة أو المدينة النبوية أو مدينة الرياض، فيتم إرسال رسالة لكل مشترك عند دخول وقت كل صلاة بشكل يومي، وتنبع أهمية

(١) تيليجرام أو تلغرام (بالإنجليزية: Telegram) هو تطبيق للتراسل الفوري، حرّ ومجاوٍ ومفتوح المصدر جزئياً ومتعدد المنصات ويتركز على الناحية الأمنية. مستخدمو تيليجرام يمكنهم تبادل الرسائل بإمكانية تشفير عالية بما في ذلك الصور والفيديوهات والوثائق حيث يدعم كافة الملفات). الموقع الرسمي لتطبيق التيليجرام، <https://web.telegram.org/z/> ، بتاريخ ١٤٤٤/٥/٥ هـ. ليس بالضرورة أن ترتبط روبوتات الدردشة التفاعلية بتطبيق التيليجرام؛ لكنه التطبيق الأكثر تفعيلاً لها في المملكة العربية السعودية.

التذكير بمواقيت الصلاة من ارتباطها بأوكد الأعمال البدنية فرضية، وأحبها إلى الله عزوجل^(١)، فقد جاء عن أبي عمرو الشيباني، يقول: حدثنا صاحب - هذه الدار وأشار إلى دار - عبد الله، قال: ((سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها»، قال: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين» قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قال: حدثني بهنّ، ولو استزدته لزادني))^(٢)، قال ابن بطّال - رحمه الله - (ت: ٤٧٤هـ): (في حديث عبد الله أنّ الصلاة لوقتها أحب إلى الله من كل عمل، وذلك يدل أنّ تركها أبغض الأعمال إلى الله بعد الشرك... وفيه: أنّ البدار إلى الصلاة في أول أوقاتها، أفضل من التراخي فيها؛ لأنّه إنما شرط فيها أن تكون أحب الأعمال إلى الله إذا أقيمت لوقتها المستحب الفاضل)^(٣)، فيمكن للجهات الدعوية أن تفعل على صفحتها الرسمية الأوقات المحدّثة للصلوات، ويمكنها كذلك أن تطرح خدمة الدردشة التفاعلية لمن يرغب بالاشتراك بحيث يقوم الروبوت التفاعلي بتذكير المدعوين المشتركين بأوقات الصلاة في مدّهم.

ثانياً: نشر الأذكار والأدعية:

يقوم روبوت الدردشة التفاعلية بعد برمجته بعرض خيارات رقمية للمشاركين بحيث يمثل الضغط على أحد الأرقام ذكراً محدداً أو مجموعة أذكار، مثل: أذكار الصباح وأذكار المساء، وكذلك يتضمن خيارات لمجموعة من الأدعية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم أو

(١) انظر: رسالة في مواقيت الصلاة، العثيمين، (ص ٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، رقم الحديث ٥٢٧، (١/١١٢)؛ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم الحديث ١٣٩، (١/٩٠).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطّال، (٢/١٥٦).

السنة النبوية، ويمكن للمشاركين أن يحددوا وقتاً ثابتاً يقوم من خلاله الروبوت بشكل يومي بإرسال الذكر أو الدعاء فيه، وتنبع أهمية نشر الأذكار والأدعية الصحيحة من أهمية الذكر فقد ذكر ابن القيم-رحمه الله- (ت: ٧٥١هـ) أكثر من مائة فائدة لذكر الله تعالى يجنيها الذكر، ومن أعظمها ذكر الله تعالى لمن ذكره^(١) حيث قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾^(٢)، قال السعدي-رحمه الله- (ت: ١٣٧٦هـ): (فأمر تعالى بذكره ووعد عليه أفضل جزاء، وهو ذكره لمن ذكره...)^(٣). تقوم روبوتات الدردشة التفاعلية بمهمة تذكير المدعوين بالأذكار والأدعية خاصة مع انشغال البعض بأعمالهم اليومية؛ لذا فإنّ من المناسب أن تستفيد الجهات الدعوية من مثل تلك الروبوتات؛ لنشر كل ما يفيد المدعو ويعينه على الذكر.

ثالثاً: الاستماع للقرآن الكريم وتفسير الآيات مع ترجمة القرآن لأكثر من لغة:

يتضمن روبوت الدردشة بعد برمجته قائمة أوامر تحتوي على المصحف كاملاً، أو تحديد بعض الآيات، مع خيارات القراءة أو الاستماع، وكذلك خيارات لتفسير القرآن الكريم من أمهات كتب التفسير، وإمكانية الترجمة لأكثر من لغة، ولا يخفى على مسلم أهمية وفضل قراءة القرآن الكريم فقد أمرنا بذلك سيد الدعاة عليه الصلاة والسلام حيث جاء عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه...»^(٤)، فإذا (كان يوم القيامة

(١) انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم، (١/٤٢).

(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص٧٤).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، رقم الحديث ٢٥٢، (١/٥٥٣).

جعل الله عز وجل ثواب هذا القرآن شيئاً قائماً بنفسه يأتي يوم القيامة شافعاً لأصحابه، يشفع لهم عند الله سبحانه وتعالى، فإنّ القرآن إذا تلاه الإنسان محتسباً فيه الأجر عند الله فله بكل حرف عشر حسنات يشفع لهم عند الله سبحانه وتعالى^(١)، فهذا الأجر العظيم يمكن أن يتضاعف ويمتد لأزمنة طويلة بإذن الله إن قامت الجهات الدعوية بتفعيل روبوتات الدردشة التفاعلية المصممة لخدمة القرآن الكريم ونشر تفسيره بين المدعويين على اختلاف جنسياتهم وعقائدهم، فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً...»^(٢).

رابعاً: تخريج الأحاديث النبوية وشروحيها:

يصمم روبوت الدردشة التفاعلية لتخريج الأحاديث النبوية، وإضافة شروحيها المعتمدة، وهذا الأمر يربط المدعويين بالمصدر الثاني من مصادر التشريع، ويسهم في منع انتشار الأحاديث الضعيفة أو الموضوعية، لذلك يجدر بالجهات الدعوية أن يُفعلوا مثل هذه الروبوتات عبر مواقعهم الرسمية.

خامساً: نشر أحكام الحج والعمرة والإجابة عما يتعلق بهما من استفسارات:

يقوم روبوت الحج والعمرة بالرد على جميع الاستفسارات المتعلقة بأحكام الحج والعمرة، ويقوم أيضاً بالربط بين حملات الحج والحجاج التابعين لها، مما يرفع من جودة الخدمات المقدمة للحجاج أو المعتمرين، ويسهم في تحقيق أهداف رؤية المملكة العربية

(١) شرح رياض الصالحين، العثيمين، (٤/٦٣٧).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، رقم الحديث: ١٦، (٤/٢٠٦٠).

السعودية ٢٠٣٠ حيث يهدف برنامج خدمة ضيوف الرحمن لتوفير أفضل الخدمات لقاصدي الحرمين الشريفين^(١).

سادساً: دليل الداعية إلى الله:

صُمم روبوت الدردشة للمساعدة في إعداد الدعاة إلى الله حيث يزود المشتركين بكل ما يتعلق بأركان الدعوة إلى الله ومبادئها، وبعض التطبيقات التي تساعد على ترجمة اللغات، وأرقام مفاتيح الاتصال ببلدان العالم، وقنوات فيها عدد من المواد النافعة الصوتية والمرئية، فيتم عرض عدد من الاختيارات ليضغط المشترك على الموضوع الذي يرغب بعرضه والإفادة منه. وأهمية مثل هذا الروبوت نابعة من أهمية وفضل إعداد الداعي إلى الله الذي لا أحد أحسن من قوله إن قرن دعوته بعمل صالح حيث قال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢)، قال الإمام الطبري -رحمه الله- (ت: ٣١٠هـ): (ومن أحسن أيها الناس قولاً ممن قال ربنا الله ثم استقام على الإيمان به، والانتهاه إلى أمره ونهيه، ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به)^(٣).

(١) انظر: الموقع الرسمي لبرنامج خدمة ضيوف الرحمن، على الرابط

<https://www.vision2030.gov.sa/ar/v2030/vrps/darp/> ، بتاريخ ٦/٥/١٤٤٤هـ.

(٢) سورة فصلت، الآية ٣٣.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٢٠/٤٢٩).

المطلب الثاني

نماذج توظيف الدردشة التفاعلية مع المدعو غير المسلم

أولاً: الإعجاز العلمي:

يتضمن الروبوت المتعلق بموسوعة الإعجاز العلمي أقساماً متعددة تظهر للمشارك على هيئة قائمة منسدلة يختار منها ما يرغب بالاطلاع عليه، فبعضها متعلق بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم، والبعض الآخر تناول الإعجاز في السنة النبوية، ومثل هذه الموضوعات تشد انتباه المدعو غير المسلم خاصةً إن كان من العلماء في تخصصه، لكن ينبغي التنبيه على ضرورة الحذر عند نشر الأبحاث العلمية التي تربط بين النظريات العلمية وبين القرآن الكريم أو السنة النبوية، والحرص على دقة الانتقاء، فقد يكون الضرر أكبر من النفع إن ثبت لاحقاً بطلان النظرية أو عدم صحتها والتي تم ربطها مع بعض الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية؛ لذلك لا بد من النقل عن المراكز الموثوقة، ويمكن الاستفادة من مركز دراسات الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية^(١).

ثانياً: البطاقات الدعوية:

يحتوي هذا الروبوت على مجموعة كبيرة من البطاقات الدعوية بعدد من اللغات الجاهزة للنشر في وسائل التواصل الاجتماعي، وتشتمل على قائمة منسدلة يمكن للمشارك الاختيار بين أقسامها، فالضغط على أحد الأقسام ينشر آية مع ترجمة تفسيرها، والبعض حديثاً مع ترجمة شرحه، والبعض الآخر محاسن الإسلام المختلفة خاصة ما يتعلق منها بأحكام الأسرة وبر الوالدين التي تفتقدها المجتمعات غير المسلمة. ويمكن أن تستفيد

(١) الموقع الرسمي للمركز على الرابط

<https://units.imamu.edu.sa/colleges/iqssis/Pages/default.aspx> ، بتاريخ ١٤٤٤/٥/٦هـ.

الجهات الدعوية من روبوتات الدردشة التفاعلية في نشر وتوزيع البطاقات المعدة سابقاً فمثل هذه الوسيلة مناسبة للمدعو الذي يرغب بمعلومة سريعة، ولا يميل للقراءة المفصلة.

ثالثاً: استطلاعات الآراء:

لم تجد الباحثة فيما اطلعت عليه من روبوتات للدردشة التفاعلية روبوتاً مختصاً باستطلاع آراء غير المسلمين، والتعرّف على المعوقات التي تمنعهم من الدخول في الإسلام، لذا يجدر بالجهات الدعوية أن يفعلوا مثل هذا النوع من روبوتات الدردشة لما لها من قيمة وأهمية، فالمدعو غير المسلم يجيب خلالها بأريحية، ويدلي برأيه الحقيقي.

تجدر الإشارة لإمكانية إفادة الجهات الدعوية من منصات^(١) متعددة لتصميم روبوتات الدردشة التفاعلية بشكل ميسر مع دعم تلك المنصات للغة العربية، منها:

١- منصة سمات بوت (SmatBot)^(٢): حيث يمكن من خلالها تصميم روبوت دردشة تفاعلي متخصص بشكل ميسر ثم ربطه بالموقع الإلكتروني أو بأحد تطبيقات التواصل الاجتماعي المتنوعة.

٢- منصة شات فيول (Chatfuel)^(١): حيث يمكن من خلالها كذلك تصميم روبوت بشكل ميسر دون حاجة لكتابة أكواد برمجية، ويتم ربطه بصفحة فيسبوك ماسنجر^(٢)، ويتطلب وجود حساب في تطبيق الفيسبوك^(٣) لاستخدامه.

(١) المنصة هي: بوابة إلكترونية تُعنى بتقديم الخدمات التفاعلية التي تختلف وفق طبيعة ونشاط هذه المنصة إلى جانب المعلومات التي يتم تقديمها من خلالها، وتختلف عن الموقع الإلكتروني في كونها تابعة دائماً لمؤسسة عامة أو خاصة. انظر: سياسة المنصات الرقمية الوطنية، وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات، المملكة العربية السعودية، مسودة ٢٠١، ص ٥.

(٢) انظر: الموقع الرسمي لمنصة سمات بوت على الرابط SmatBot | الذكاء الاصطناعي

Chatbot لجميع احتياجات عملك، بتاريخ ٦/٥/١٤٤٤ هـ.

المبحث الثاني

إيجابيات وسلبيات توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله

المطلب الأول

إيجابيات توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله تعالى

- ستجني الجهات الدعوية بإذن الله الكثير من الثمرات والفوائد إن تم تصميم وبرمجة روبوتات الدردشة التفاعلية بشكل مناسب، ولعل من أهم تلك الثمرات^(٤) ما يلي:
- ١- الوصول لأكبر شريحة من المدعوين حول العالم، فيمكن لأي شخص أن يرسل روبوتات الدردشة، ويستفيد من المحتوى الذي تمت برمجته فيها.
 - ٢- إمكانية توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية والإفادة منها من غير المتخصصين بالتقنية، فقد تمت الإشارة سابقاً لبعض المنصات التي يمكن من خلالها برمجة روبوتات الدردشة التفاعلية دون الحاجة لوجود مختص بالتقنية.

-
- (١) انظر: الموقع الرسمي لمنصة شات فيول على الرابط: Chatfuel: حل التطبيق chatbot الرائدة في العالم لفيسبوك رسول وإنستاجرام، بتاريخ ١٤٤٤/٥/٦هـ.
 - (٢) انظر: فاعلية روبوتات الدردشة التفاعلية لإكساب المفاهيم الرياضية واستبقائها لدى تلاميذ الصف الأول إعدادي، الفار، شاهين، (ص ٥٦٢).
 - (٣) تطبيق الفيسبوك (Facebook) تطبيق مجاني من أشهر وأقدم تطبيقات التواصل الاجتماعي في العالم، يتيح للمستخدمين تكوين صداقات وتبادل الملفات في عالم افتراضي، ويتيح إنشاء مجموعات تعليمية، وهو في تجدد مستمر، انظر: أثر خصائص موقع التواصل الاجتماعي "الفيسبوك" في تحسين مهارات الأكاديميين في مؤسسات التعليم العالي الفلسطيني بغزة، ماجد نبيل، (ص ٧).
 - (٤) انظر: النشرة التعريفية للشات بوت، إصدار: شركة التحول الرقمي أكس تند شريك اجتماعي لرؤية المملكة العربية السعودية، (ص ٨-١٠).

٣- ترشيد الإنفاق المادي من جهتين، الجهة الأولى: كون بعض المنصات التي يمكن من خلالها تصميم روبوتات الدردشة التفاعلية مجانية، والجهة الثانية: يمكن لتلك الروبوتات بعد برمجتها أن تؤدي مهام طاقم عمل متخصص بالرد على إجابات المدعويين خاصة المكرور منها.

٤- حفظ أوقات القائمين بالدعوة إلى الله، ومساعدتهم على تركيز جهودهم وأولوياتهم في الدعوة إلى الله، بحيث يتولى روبوت الدردشة الإجابة على مدار اليوم على أسئلة المدعويين، ويزودهم بما يحتاجونه من ردود عبر تطبيقات التواصل الاجتماعي.

٥- إمكانية استخدام روبوتات الدردشة التفاعلية في جميع أيام العام؛ لتوافرها المستمر وعدم تعرضها لمرض أو تعب^(١).

٦- نشر العلم الشرعي بين المدعويين، حيث يمكن برمجة روبوتات الدردشة لتزويد المشتركين بالكتب والمنشورات النافعة، قال الشيخ ابن باز -رحمه الله- (ت: ١٤٢٠هـ): (ويجب أن تحرص على نشر العلم بكل نشاط وقوة، وألا يكون أهل الباطل أنشط في باطلهم، وأن تحرص على نفع المسلمين في دينهم ودنياهم...)^(٢).

٧- مزاحمة أهل الباطل في وسائلهم، قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- عند حديثه عن الإنترنت: (زاحم أهل الباطل حتى يتبين الحق)^(٣).

٨- تفادي الأخطاء البشرية التي قد تصدر أثناء الحوار وجهاً لوجه مع المدعو المخالف فينقلب الحوار إلى جدال بسبب التسرع أو عدم انتقاء الألفاظ المناسبة.

(١) انظر: توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في الدعوة إلى الله، الحري، (ص ١٠٨).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، ابن باز، (٦/٦٦).

(٣) الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، تفسير سورة الشورى، الشريط رقم ١١،

على الرابط، موقع الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، بتاريخ ٥/٥/١٤٤٤هـ.

المطلب الثاني

سليات توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله تعالى

لتوظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله بعض السليات منها ما يلي:

١- ضرورة ارتباط روبوتات الدردشة التفاعلية بشبكة الإنترنت عند استخدامها مما يعيق عملها عند انقطاع الاتصال بشبكة الإنترنت أو تعطلها.

٢- لا يمكنها سدّ مكان الداعي إلى الله في الجوانب المعنوية، فليس لديها إحساس بالمدعويين ولن تتمكن من إظهار التعاطف معهم، فمثل تلك الأمور المعنوية لا يمكن برمجتها^(١).

٣- لا يمكن لروبوتات الدردشة التفاعلية تقدير مصلحة المدعويين واحتياجاتهم والتعامل معها بحكمة، فهي لا تميز بين الصحيح والأصح، والمهم والأهم، فكل أمر يختاره المدعو سيعرض له، أمّا الداعي إلى الله فيتعامل غالباً بحكمة، ويقوم بمراعاة أحوال المدعويين أثناء إجابته لاستفساراتهم^(٢).

(١) انظر: توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في الدعوة إلى الله، الحربي، (ص ١١١).

(٢) انظر: المرجع السابق، (ص ١١٣).

الخاتمة

أحمد الله تعالى أن يسّر إتمام هذا البحث الذي تناول توظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في الدعوة إلى الله، وأسأل الله أن يجعله عملاً صالحاً مقبولاً إنّه سميع مجيب الدعوات، وقد ظهرت بعض النتائج من أبرزها ما يلي:

١- بيّن البحث أنّ روبوتات الدردشة التفاعلية هي: أحد تقنيات الذكاء الاصطناعي الذي تتم برمجته من قبل مالك بشري؛ ليقوم بالتواصل أو الرد على الأسئلة الموجهة له بطريقة تحاكي التواصل أو الرد البشري.

٢- أظهر البحث أنّ لروبوتات الدردشة التفاعلية أنواعاً متعددة منها: الروبوتات القائمة على المحادثة باستخدام الذكاء الاصطناعي، بحيث يقوم المستخدم بطرح الأسئلة المكتوبة، ليقوم الروبوت بالإجابة بحسب بنك الأسئلة الذي تم إدراجه فيه من قبل المصمم، وإن لم يجد الإجابة يتم تحويل المستخدم لشخص بشري.

٣- بيّن البحث إمكانية إفادة الجهات الدعوية من منصات متعددة لتصميم روبوتات الدردشة التفاعلية بشكل ميسر مع دعم تلك المنصات للغة العربية، منها: منصة سمات بوت، ومنصة شات فيول.

٤- أظهر البحث أنّ الجهات الدعوية ستجني بإذن الله الكثير من الثمرات والفوائد إن تم تصميم وبرمجة روبوتات الدردشة التفاعلية بشكل مناسب، ولعل من أهم تلك الثمرات: الوصول لأكبر شريحة من المدعوين حول العالم.

التوصيات:

أ- للجهات الدعوية:

- ١- أن تقوم الجهات الدعوية بتوظيف روبوتات الدردشة التفاعلية في مواقعها الإلكترونية وحسابات وسائل التواصل الرسمية التابعة لها.
- ٢- عقد دورات تدريبية للقائمين بالدعوة إلى الله لتدريبهم على استخدام بعض تقنيات الذكاء الاصطناعي وآلية توظيفها في الدعوة إلى الله.
- ٣- أن تسعى المؤسسات الدعوية لرفع فرص تطوعية عبر منصة تطوع الرسمية لإتاحة الفرصة للراغبين بالتطوع ممن لديهم خبرة تقنية.

ب- للقائمين بالدعوة إلى الله:

- أن يحرص القائمون بالدعوة إلى الله على تطوير مهاراتهم التقنية بشكل مستمر.

ج- للمدعوين:

- أن يحرص كل من لديه خبرة تقنية من المدعوين على التعاون مع المؤسسات الدعوية.

د- لطلاب الدراسات العليا:

- ١- أوصي طلاب الدراسات العليا بتسليط الضوء على الوسائل التقنية الحديثة وآلية توظيفها في الدعوة إلى الله.
- ٢- القيام بعمل بحوث استشرافية لتوظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في المؤسسات الدعوية.

هذا وصلی الله علی نبینا محمد وعلی آله وصحبه أجمعین

المصادر والمراجع

- أثر خصائص موقع التواصل الاجتماعي "الفيسبوك" في تحسين مهارات الأكاديميين في مؤسسات التعليم العالي الفلسطيني بغزة. نبيل، ماجد. رسالة ماجستير، فلسطين: كلية التجارة، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٨م.
- البحث العلمي حقيقته، ومصادره، ومادته ومناهجه وكتابته، وطباعته ومناقشته. الربيعه، د.عبدالعزیز بن عبدالرحمن. ط٣: الرياض، د.ن، ١٤٢٤هـ.
- توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في الدعوة إلى الله. الحربي، ابتسام بنت عبدالله، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير، السعودية: المعهد العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٣٩-١٤٤٠هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويح، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن. الطبري، محمد بن جرير. تحقيق: د.عبدالله التركي، ط١، المدينة المنورة: دار هجر للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ.
- دراسات وبحوث في الإعلام والصحافة. الربيعي، بريق. ط١، الأردن: دار أمجد للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م.

- الذكاء الاصطناعي ثورة في تقنيات العصر. د. عبدالله موسى، د. أحمد حبيب. ط ١، القاهرة: المجموعة العربية للتدريب، ٢٠١٩م.

- رسالة في مواقيت الصلاة. العثيمين، الشيخ: محمد بن صالح. ط ١، الرياض: مدار الوطن، ١٤٣٣هـ.

- سياسة المنصات الرقمية الوطنية، وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات، المملكة العربية السعودية، مسودة ٢٠١.

- شرح رياض الصالحين. العثيمين، الشيخ: محمد بن صالح، ط ١، الرياض: دار الوطن للنشر، ١٤٢٦هـ.

- شرح صحيح البخاري لابن بطّال. ابن بطّال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط ٢، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ.

- فاعلية روبوتات الدردشة التفاعلية لإكساب المفاهيم الرياضية واستبقائها لدى تلاميذ الصف الأول إعدادي. الفار، أ.د إبراهيم عبد الوكيل، د.ياسمين محمد شاهين. مجلة تكنولوجيا التربية-دراسات وبحوث: الجمعية العربية لتكنولوجيا التربية، مصر. عدد يناير، ٢٠١٩م، ٥٤١-٥٧١.

- لقاء الباب المفتوح سلسلة لقاءات بين الشيخ محمد بن صالح العثيمين وطلابه. الطيار، أ.د عبدالله. ط ١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٥هـ.

-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٢هـ.

-مجموع فتاوى ومقالات متنوعة. ابن باز، الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله. تحقيق: محمد بن سعد الشويعر، ط١، الرياض: دار القاسم، ١٤٢٠هـ.

-معجم اللغة العربية المعاصرة. عمر، د. أحمد مختار عبد الحميد. ط١، مصر: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ.

- مقدمة في الذكاء الاصطناعي. القاضي، زياد. ط١، عمان: مكتبة المجتمع العربي، ١٤٣١هـ.

-النشرة التعريفية للشات بوت، إصدار: شركة التحول الرقمي اكس تند شريك اجتماعي لرؤية المملكة العربية السعودية، الرياض، ٢٠١٩م.

- هندسة المنهج واستشراف مستقبل الابتكار التكنولوجي في العصر الرقمي. الشامي، د.غادة بنت شاكر. ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٤١هـ.

-الوابل الصيب من الكلم الطيب. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. تحقيق: سيد إبراهيم، ط٣، القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٩م.

المواقع الإلكترونية:

-الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، تفسير سورة الشورى، الشريط رقم ١١، على الرابط، [موقع الشيخ ابن عثيمين رحمه الله](http://www.sy.org)، بتاريخ ٦/٥/١٤٤٤هـ.

-الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية، كورونا | وحدة تنسيق الدعم-ACU | [sy.org](http://www.sy.org)، بتاريخ ٦/٥/١٤٤٤هـ.

- الموقع الرسمي لرؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، برنامج التحول الوطني - رؤية السعودية ٢٠٣٠ (vision٢٠٣٠.gov.sa)، بتاريخ ١٤٤٤/٥/٧هـ.

-الموقع الرسمي لمنصة شات فيول على الرابط: Chatfuel حل التطبيق chatbot

الرائدة في العالم لفيسبوك رسول وإينستاجرام، بتاريخ ١٤٤٤/٥/٦هـ.

-الموقع الرسمي لمركز الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، على الرابط
<https://units.imamu.edu.sa/colleges/iqssis/Pages/default.as>

px ، بتاريخ ١٤٤٤/٥/٤هـ.

-الموقع الرسمي لمنصة سمات بوت على الرابط SmatBot | الذكاء الاصطناعي

Chatbot لجميع احتياجات عميلك، بتاريخ ١٤٤٤/٥/٦هـ.

- الموقع الرسمي لمعجم المصطلحات التقنية، مبادرة Think Tech (Think Tech) للاقتصاد الرقمي، بإشراف من وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات، المملكة العربية السعودية، على الرابط <https://techtionary.thinktech.sa/>، بتاريخ ١٤٤٤/٥/١هـ.

-الموقع الرسمي لآي بوتس على الرابط، <https://www.ebayinc.com/> بتاريخ ١٤٤٤/٥/٥هـ.

-الموقع الرسمي لتجمع مشرفي المعلوماتية العرب، بإشراف: د. عدنان مصطفى البار، على الرابط [تجمع مشرفي المعلوماتية العرب](https://www.ebayinc.com/) بتاريخ ١٤٤٤/٥/٥هـ.

البحث رقم (٤)

علماء الشريعة

وأثرهم الثقافي على الفرد والمجتمع

إعداد

د. محمد بن سرار اليامي

أستاذ مشارك

كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة نجران

المملكة العربية السعودية

المُلخَص

مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ مَعْرِفَةَ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَالْعِلْمَ بِهَا مِنَ الْأُمُورِ الضَّرُورِيَّةِ الَّتِي لَا يَسَعُ الْمُسْلِمُونَ جَهْلَهَا؛ حَتَّى تَمَكِّنَهُمْ مِنْ أَدَاءِ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَلَى عِلْمٍ وَهَدًى وَبَصِيرَةٍ، وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ مَعْرِفَةِ أَحْكَامِ الدِّينِ وَالْعِنَايَةِ بِهِ؛ مِمَّا جَعَلَ لِعُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ مَكَانَةً عَالِيَةً لَا تَطَاوُلُهَا مَكَانَةٌ، وَأَثَارًا مُتَنَوِّعَةً عَلَى الْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ كَكُلِّ، وَمِنْ هَذِهِ الْأَثَارِ الْأَثَرُ الثَّقَافِيِّ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ. وَهَذَا مَا يَتَنَاوَلُهُ مَوْضُوعُ هَذَا الْبَحْثِ، الَّذِي هُوَ بَعْنَوَانٍ: "عُلَمَاءُ الشَّرِيعَةِ وَأَثَرُهُمُ الثَّقَافِيِّ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ". وَقَدْ اشْتَمَلَ هَذَا الْبَحْثُ عَلَى مَقْدَمَةٍ وَفِيهَا: أَهْمِيَّةُ الْبَحْثِ وَأَسْبَابُ اخْتِيَارِهِ وَأَسْئَلَتُهُ وَأَهَمُّ الدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ الَّتِي تَنَاوَلَتُهُ، وَتَمْهِيدٌ وَفِيهِ التَّعْرِيفُ بِمَفْرَدَاتِ عُنْوَانِ الْبَحْثِ، وَثَلَاثَةٌ مَبَاحِثَ، تَنَاوَلُ الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ مَكَانَةَ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ وَحَقُوقَهُمْ وَمَهَامَهُمْ فِي ضَوْءِ الْإِسْلَامِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ ثَلَاثَةِ مَطَالِبَ، ثُمَّ تَنَاوَلُ الْمَبْحَثُ الثَّانِي تَعْلِيمَ النَّاسِ الشَّرِيعَةَ؛ حُكْمَهُ وَالْحِكْمَةَ مِنْهُ وَشُرُوطَهُ، وَذَلِكَ فِي ثَلَاثَةِ مَطَالِبَ، ثُمَّ تَنَاوَلُ الْمَبْحَثُ الثَّلَاثُ أَثَرَ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ الثَّقَافِيِّ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ، وَذَلِكَ فِي مَطَالِبَيْنِ. وَاخْتُتِمَ الْبَحْثُ بِخَاتِمَةٍ اشْتَمَلَتْ عَلَى أَهَمِّ النَّتَائِجِ وَالتَّوَصِيَّاتِ.

الكلمات الافتتاحية: الأثر - الثقافة - العلماء - الشريعة - الفرد - المجتمع.

Abstract

There is no doubt that knowledge of the provisions of Islamic Shariah is a necessity that no Muslim can ignore. Indeed, such knowledge is indispensable for a Muslim to be able to knowledgeable and insightfully perform the religious rituals imposed thereupon by almighty Allah. It is for that specific reason that whoever acquires such knowledge assumes a lofty status that those who didn't seek this type of knowledge can't aspire to reach. Attaining such knowledge, however, will not only have a beneficial impact upon the individual but also upon the community at large. The impact of such knowledge is mainly cultural, and its reach extends beyond the mere individual to involve society as a whole. It is this unique impact that prompted this researcher to choose this topic as a subject for this research paper, entitled "Shariah scholars and their cultural impact of upon the individual and upon society".

This research paper consists of an introduction, containing the significance of this research, the reasons for choosing this topic as a research subject, the research problems, and the previous studies which addressed the same topic, a preface, which contains an overview of the research title vocabulary, and three chapters of which the first chapter addresses the lofty status, rights, and duties of shariah scholars under the Islamic faith over three themes, the second chapter addresses how to educate the people on Islamic shariah, the provisions and the rationale thereof as well as the conditions therefor over three themes, while the third chapter addresses the cultural impact of scholars upon the individual and the community over two themes. The conclusion of the research contains the key results and recommendations.

Key words: Impact-Culture- Scholars-Shariah-The Individual-The Community

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين وحنة الله على الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فإن العلم بأحكام الله الشرعية أمر ضروري على كل مسلم ومسلمة في كل ما لا يسعها جهله، ليتمكن المسلم من أداء فرائض ربه على هدى وبصيرة. ولا يمكن للمسلم أن يفهم دينه ويعمل به، إلا إذا عرف أحكامه، وأولاه اهتمامه وعنايته، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال أهل العلم الذين تحصلوا من العلم والمعرفة والضبط ما يؤهلهم للقيام بدور التربية والتعليم والوعظ، ونحو ذلك.

ولعلماء الشريعة في الإسلام منزلة رفيعة ومكانة مرموقة لا يمكن إنكارها، وكذا لعلماء الشريعة حقوق وعليهم واجبات، وأيضًا في الوقت ذاته يقع على عاتقهم مهام ومسؤوليات تجاه هذه الأمة وتجاه أفرادها.

وآثار علماء الشريعة على الفرد والمجتمع كثيرة ومتنوعة، ويأتي في مقدمتها الأثر الثقافي، وفي هذا البحث - إن شاء الله - أتناول بشيء من التفصيل والإسهاب موضوع علماء الشريعة وأثرهم الثقافي على الفرد والمجتمع، فأسأل الله أن ينفع به ويجعله في ميزان الحسنات يوم القيامة. والحمد لله رب العالمين.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

أما أهمية البحث وأسباب اختياره فيظهر من خلال النقاط التالية:

- ١- أهمية إبراز مكانة علماء الشريعة.
- ٢- بيان حقوق علماء الشريعة ومهامهم في ضوء الإسلام.
- ٣- حكم تعليم الناس الشريعة، والحكمة منه وشروطه.

٤- بيان الأثر الثقافي على الفرد والمجتمع.

أسئلة البحث:

- ١- ما مكانة علماء الشريعة في الإسلام؟
- ٢- حقوق علماء الشريعة، ومهامهم، ومسؤولياتهم في الإسلام؟
- ٣- ما حكم تعليم الناس الشريعة؟
- ٤- ما الحكمة من تعليم الناس الشريعة وما شروط ذلك؟
- ٥- ما الأثر الثقافي لعلماء الشريعة على الفرد والمجتمع؟

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: كتاب أثر العلماء في توعية المجتمعات الإسلامية، تأليف:

عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، أستاذ الدراسات العليا بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة القصيم، ويقع الكتاب في ٣٧ صفحة، ويختلف عن دراستي في أن دراستي تناولت الأثر الثقافي للعلماء على الفرد والمجتمع، وهي الفكرة الرئيسة التي لم يتناولها المؤلف في كتابه.

الدراسة الثانية: كتاب أثر العلماء في مشروع النهضة، تأليف: د. يحيى بن

إبراهيم اليحيى، ويقع الكتاب في ٨٩ صفحة، وقد تناول فيه المؤلف قضية العناية بأمر العلماء والرجوع إليهم في العلم والتعليم وفي السياسة والحكم لتحقيق مشروع النهضة الإسلامية، ولكن تختلف دراستي عن الكتاب في أن دراستي تناولت الأثر الثقافي لعلماء الشريعة على الفرد والمجتمع، وهو الأمر الذي لم يُطرق في الكتاب المذكور.

خطة البحث:

- المقدمة، وفيها أهمية البحث وأسباب اختياره، أسئلة البحث، الدراسات السابقة، خطة البحث، منهج البحث، إجراءات البحث.
- التمهيد وفيه التعريف بمفردات عنوان البحث.
- المبحث الأول: مكانة علماء الشريعة وحقوقهم ومهامهم في ضوء الإسلام، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مكانة علماء الشريعة في الإسلام.

المطلب الثاني: حقوق علماء الشريعة.

المطلب الثالث: مهام علماء الشريعة ومسؤولياتهم.

المبحث الثاني: تعليم الناس الشريعة؛ حكمه والحكمة منه وشروطه، وفيه ثلاثة

مطالب:

المطلب الأول: حكم تعليم الناس الشريعة.

المطلب الثاني: الحكمة من تعليم الناس الشريعة.

المطلب الثالث: شروط تعليم الناس الشريعة عند أهل الاختصاص.

- المبحث الثالث: أثر علماء الشريعة الثقافي على الفرد والمجتمع، وفيه

مطلبان:

المطلب الأول: أثر علماء الشريعة الثقافي على الفرد.

المطلب الثاني: أثر علماء الشريعة الثقافي على المجتمع.

- الخاتمة:

وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

- الفهارس:

وتشتمل على فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

منهج البحث:

اتبعت في دراستي المنهج التحليلي، والاستقرائي، وذلك بطريقة تأصيلية من خلال دراسة موضوعات البحث ومسائله على ما جاء بشأنها من نصوص شرعية في الكتاب والسنة، وعلى فهم علماء الأمة وسلفها لهذه النصوص.

إجراءات البحث:

جاءت إجراءات البحث على النحو الآتي:

- ١- إثبات الآيات القرآنية برسم المصحف العثماني، وعزو الآيات الكريمة إلى سورها وذكر أرقامها وذلك بجانب الآية.
 - ٢- تخريج الأحاديث من مظانها المعتمدة، ونقل حكم العلماء المتخصصين إن أمكن، باذلاً الجهد في التحقق من ذلك إلا ما كان في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بتخريجه بذكر المرجع ورقم الحديث.
 - ٣- الرجوع إلى المصادر الأصيلة فيما يخص موضوع البحث، ونسبة الأقوال إلى أصحابها، وترتيبها حسب التسلسل التاريخي قدر الوسع.
 - ٤- تذييل البحث بفهرس المراجع والمصادر، وفهرس الموضوعات.
- وختاماً أسأل الله ﷻ أن يوفقني ويسددني ويلهمني الرشاد والصواب.
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد

وفيه التعريف بمفردات عنوان البحث

أولاً: التعريف بالأثر لغة واصطلاحاً:

أ- تعريف أثر لغة:

الأثر: العلامة، وجاء في مقاييس اللغة: "الهُمَزَةُ وَالشَّاءُ وَالرَّاءُ، لَهُ ثَلَاثَةُ أَصُولٍ: تَقْدِيمُ الشَّيْءِ، وَذِكْرُ الشَّيْءِ، وَرَسْمُ الشَّيْءِ الْبَاقِي"^(١).

والأثر: بقية ما ترى من كل شيء، وأثر السيف: ضربه^(٢).

ب- تعريف أثر اصطلاحاً:

لم أقف على تعريف اصطلاحى للأثر بالمعنى المراد في هذا البحث، فعالباً ما يُطلق مصطلح الأثر، ويراد به ما نُقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم، كما هو مشهور في كتب الاصطلاح، والمعنى الاصطلاحى للأثر لا يخرج عن المعنى اللغوي، بل إن المعنى اللغوي أكثر شمولاً، ومن أحد معاني الأثر التي هي مجال هذا البحث أنه: النتيجة وما يترتب على الشيء.

ثانياً: التعريف بالثقافة لغة واصطلاحاً:

أ- تعريف الثقافة لغة:

يرجع اشتقاق كلمة ثقافة من "ثقف"، الشاء والقاف والفاء، وهو إقامة دَرء

(١) مقاييس اللغة (١/ ٥٣).

(٢) انظر: العين (٨/ ٢٣٦، ٢٣٧)، المعجم الوسيط (١/ ٥).

الشيء^(١)، وتستعمل في معان كثيرة منها:

١- الحِذْق، والخفة، والفطنة، والفهم، يقال: ثقف فلان ثقفاً وثقفاً وثقافة: صار حاذقاً خفيفاً فطناً فهماً^(٢).

٢- ومعنى الظفر والإدراك، وسرعة الأخذ والتعلم، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثَقَّفَهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ [الأنفال: ٥٧]: أي: إن تظفر بهم في الحرب، ونحو طلبناه وثقفتناه في مكان كذا؛ أي: أدركناه، ونحو ثقفت العلم أو الصناعة في أقصى مدة: إذا أسرعت أخذه^(٣).

ب- تعريف الثقافة في الاصطلاح:

عُرفت الثقافة في الاصطلاح بأنها: "ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية، تشكل أمة أو ما في معناها، بهويتها الحضارية، في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء"^(٤).

ثالثاً: تعريف الأثر الثقافي مركباً:

يمكن تعريف الأثر الثقافي على أنه النتيجة الملموسة لتأثير شيء ما على هوية وتصورات وقيم جماعة بشرية أو أمة من الأمم.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣٩٥/١)، ودرء الشيء: ميله، قال الفيروز آبادي في

القاموس (١٤/١): الدرء: الميل والعوج في القناة ونحوها.

(٢) انظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي (١٢٥/٣)، تاج العروس للزبيدي (٥١/٦).

(٣) انظر: أساس البلاغة للزمخشري (ص ٤٦).

(٤) المسألة الثقافية في الوطن العربي، د. محمد عابد الجابري (ص ٢١٣).

رابعاً: التعريف بالعلماء لغة واصطلاحاً:

أ- تعريف العلماء لغة:

العلماء: جمع عالم، والعالم: اسم فاعل من عَلِمَ يَعْلَمُ عَلِماً، نقيض جَهْلٍ^(١).

ب- تعريف العالم اصطلاحاً:

تعددت تعريفات العالم عند المختصين، ف قيل: "العالم: اسم وضع لذوي العلوم من الملائكة والتقلين أي الجن والإنس"^(٢).

وأبرز ما قيل في تعريفه أنه: "من دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام، الذين خصوا باستنباط الأحكام، وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام"^(٣).

خامساً: تعريف الشريعة لغة واصطلاحاً:

أ- تعريف الشريعة لغة:

الشَّرِيعَةُ: مَشْرَعَةُ الْمَاءِ، وهو موردُ الشَّارِبَةِ. وقد شَرَعَ لَهُمْ يَشْرَعُ شَرْعاً، أي سن^(٤).

ب- تعريف الشريعة اصطلاحاً:

الشَّرِيعَةُ وَالشَّرَائِعُ: "كل ما شرعه الله من العقائد والأعمال"^(٥).

(١) ينظر: العين (٢/ ١٥٢)، تهذيب اللغة (٢/ ٢٥٣)، مقاييس اللغة (٤/ ١٠٩).

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (٢/ ١١٥٧).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٨).

(٤) ينظر: العين (١/ ٢٥٣)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٣/ ١٢٣٦)، مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٢).

(٥) مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٠٦).

سادساً: تعريف علماء الشريعة مركباً:

لم يستخدم العلماء -ولاسيما الأصوليون- مصطلح "عالم الشريعة" بالمعنى المتعارف عليه في القرون المتأخرة، ولكن اشتهرت في القرون المتقدمة مصطلحات أخرى كالفقيه والمفتي والمجتهد، وما شابه ذلك، وقد ذهب كثير من الأصوليين إلى أنه لا فرق بين "المجتهد" و"المفتي"، وأن "المجتهد" هو "المفتي"^(١).

يقول الشوكاني: "وَأَمَّا الْمُفْتِي فَهُوَ الْمُجْتَهِدُ ... ومثله قول من قال: إن المفتي الفقيه"^(٢).

وقد عُرف عالم الشريعة بتعاريف، منها:

تعريف ابن السبكي عن والده، قال: "هو من هذه العلوم ملكة له وأحاط بمعظم قواعد الشرع ومارسها بحيث اكتسب قوة يفهم بها مقصود الشارع"^(٣).

وقيل هو: "الذي يبذل وسعه لاكتساب حكم شرعي ظني عملي من أدلته التفصيلية"^(٤).

وهذه التعاريف السابقة هي -عند التأمل- تنطبق على الفقيه، فلا يدخل فيها المحدث أو المفسر وغيرهما ممن لا يشملهم تعريف الفقيه، وأقرب ما وقفت عليه في تعريف عالم الشريعة بشكل شمولي أنه: "البالغ العاقل، ذو ملكة يدرك بها المعلوم"^(٥)، وهذا هو

(١) أدب المفتي والمستفتي (ص: ٢٧)

(٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (٢/ ٢٤٠)

(٣) الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع (٣/ ٨٣).

(٤) المعتصر من شرح مختصر الأصول من علم الأصول (ص: ٢٤١)

(٥) الأصل الجامع (٣/ ٨٢).

التعريف المختار في هذا البحث؛ حيث إنه تعريف موجز، ولا يختص بالفقيه فقط، بل يشمل الفقيه وغيره.

سابعاً: التعريف الإجرائي لعنوان البحث:

بناءً على ما سبق يمكن تعريف عنوان البحث إجرائياً على أنه: "النتيجة الملموسة لأثر علماء الشريعة على هوية وتصورات وقيم الفرد والمجتمع".

ثامناً: الفرق بين علماء الشريعة وبين المفكرين والخطباء والوعاظ:

قد يختلط على بعض الناس التفريق بين العلماء وبين من قد يشتهر فيهم في الظاهر، كالمفكرين أو الخطباء أو الوعاظ أو من على شاكلتهم. ولا يعني هذا التفريق الحط من قدر المفكرين أو الخطباء أو الوعاظ، بل لكل هؤلاء الاحترام والتقدير، ومنزلتهم بين الناس مرموقة، وأثرهم في الأمة لا يمكن إنكاره، ولكن منزلة العلماء لا يداينها منزلة؛ لما يحملونه في صدورهم من علم، ولما منَّ الله جَلَّ وَعَزَّ به عليهم من قرائح علمية يتمكنون بها من القيام بدور عظيم، وهو بيان حكم الله تعالى في المسائل التي قد تشبهه على الناس، فيزيلون الغمامة، ويرفعون الجهالة، ويُعَبِّدُونَ الناس لله رب العالمين.

وللتفريق بين العالم والمفكر تجد أن:

المفكر: هو مصطلح جديد على الثقافة الإسلامية، بل هو جديد على الثقافة العالمية أيضاً، فلم يكن هذا المصطلح من المصطلحات المستخدمة في القرون المتقدمة، ثم شاع استخدامه مؤخراً ليعبر عن طائفة من المجتمع تقوم بالتأمل والتفكير في ظروف وأحوال المجتمع، وتُعَمِّلُ العقل في الأمور والعلوم لتصل إلى نتيجة أو حل أو قرار^(١).

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ١٧٣٣).

وقد عُرِّفَ المفكر بأنه: "من يعمل العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول"^(١). والمفكر يعرف شيئاً عن كل شيء، يعني أنه يعرف أساسيات ومبادئ أغلب العلوم، وربما ليس على دراية بأدق تفاصيل العلوم. وهذه المقومات لا تؤهله لأن يكون متخصصاً في فن بعينه، بحيث يطلق عليه عالم، فالعالم هو الذي أحاط بكل جزئيات وتفاصيل العلم الذي يحمله، كعالم الشريعة، أو الفلك، ونحو ذلك.

والمفكر عادة ما يميل إلى الاهتمام بما يخدم المجتمع من أمور عامة، كالسياسة والاجتماع والاقتصاد وما شابه ذلك، ولذلك ينسب عادة للفن الذي يخدم المجتمع من خلاله، فيقال: المفكر السياسي، المفكر الاجتماعي، المفكر الاقتصادي.. إلخ.

وقد شاع مؤخراً استخدام مصطلح "مفكر إسلامي"، وهو مصطلح حديث رده بعض العلماء، وقبله بعضهم، قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - عن مصطلح "فكر إسلامي" و"مفكر إسلامي": "كلمة "فكر إسلامي" من الألفاظ التي يحذر منها، إذ مقتضاها أننا جعلنا الإسلام عبارة عن أفكار قابلة للأخذ والرد، وهذا خطر عظيم أدخله علينا أعداء الإسلام من حيث لا نشعر. أما "مفكر إسلامي" فلا أعلم فيه بأساً لأنه وصف للرجل المسلم والرجل المسلم، يكون مفكراً"^(٢).

وأما التفريق بين العالم والواعظ، فالواعظ هو الذي يقوم بوظيفة الوعظ، والوَعْظُ: هو "النُصْحُ والتذكيرُ بالعواقب"^(٣).

والواعظ هو الذي ينصح الناس ويذكرهم بالعواقب ويرغبهم في الآخرة ويهديهم في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته.

(١) المرجع السابق (٣ / ١٧٣٤).

(٢) فتاوى أركان الإسلام (ص: ٢٠٠).

(٣) الصحاح تاج اللغة (٣ / ١١٨١).

والوعظ هو أحد أساليب الدعوة إلى الله **جَلَّ وَ عَزَّ**، وهو جزء من مهمة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

قال الله تعالى لنيه: ﴿ **أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۗ وَحَدِّثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [النحل: ١٢٥].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: « كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السامة علينا»^(١).

ولم يعد مصطلح الواعظ مستخدمًا في هذه الأيام، فقد أطلق عليه اليوم اسم الداعية، وتغير المسميات لا ينفي جوهر الوظيفة، فالداعية هو الذي يعظ الناس ويذكرهم بالآخرة، وعادة ما يكون للواعظ أو الداعية أسلوبًا جذابًا يؤثر به على الناس؛ ليرقق قلوبهم، وهذه المقومات التي يحملها الواعظ أو الداعية لا تؤهله للقيام بدور العالم الشرعي، فالعالم الشرعي - كما تقدم - هو الذي أحاط بمعظم قواعد الشرع ومارسها بحيث اكتسب قوة يفهم بها مقصود الشارع ليبين للناس أحكام الله **جَلَّ وَ عَزَّ**.

وأما التفريق بين العالم الشرعي والخطيب، تجد أنه لا يختلف دور الخطيب كثيرًا عن دور الواعظ أو الداعية، فالخطيب هو الذي يقوم بدور الوعظ والدعوة إلى الله **جَلَّ وَ عَزَّ**، ولكن يتميز عن غيره بكونه مفوه الكلام، منمق الأسلوب، مزخرف العبارات.

وقد ورد عن الصحابة -رضوان الله عليهم- التفريق بين العالم والخطيب، فقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "إنكم في زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه، وكثير معطوه قليل

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٨)، ومسلم برقم (٢٨٢١).

سؤاله، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة، وإن من البيان سحرا، وإن من بعدكم زمانا كثير
خطبائه قليل علمائه، كثير سؤاله قليل معطوه"^(١).

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ٢٩٣)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

المبحث الأول

مكانة علماء الشريعة

وحقوقهم ومهامهم في ضوء الإسلام

المطلب الأول: مكانة علماء الشريعة.

للعلماء في الشريعة الإسلامية مكانة عظيمة، ومنزلة رفيعة، فطاعتهم قُرنت بطاعة الله جَلَّ وَ عَزَّ وطاعة رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعطاء بن السائب أنهم فسروا ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾ بأنهم: "أهل العلم"^(١).

وقال الله جَلَّ وَ عَزَّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

وهذا ثناء عظيم من الله جَلَّ وَ عَزَّ على العلماء ومكانتهم؛ لكونهم يخشونه حق خشيته فهم العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم التقدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى - كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر^(٢).

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

(١) تفسير الطبري (٨ / ٥٠٠).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٦ / ٥٤٤).

وقد استنبط الإمام ابن القيم رحمه الله من هذه الآية فضل العلماء وشرف منزلتهم فقال: "وفي ضمن هذه الشهادة الإلهية الثناء على أهل العلم الشاهدين بها وتعديليهم، فإنه سبحانه قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، واستشهد بهم جل وعلا على أجل مشهود به، وجعلهم حجة على من أنكر هذه الشهادة، كما يحتاج بالبينة على من أنكر الحق، فالحجة قامت بالرسول على الخلق، وهؤلاء نواب الرسل وخلفاؤهم في إقامة حجج الله على العباد"^(١)، وقال الإمام القرطبي رحمه الله: "في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه، واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء"^(٢).

وقال جَلَّ وَعَزَّ: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وفي الآية أن "الله تعالى يرفع أهل العلم والإيمان درجات بحسب ما خصهم الله به، من العلم والإيمان"^(٣).

والأدلة من السنة في بيان مكانة العلماء وشرف منزلتهم كثيرة، منها:

١- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فضل العالم على العابد

كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء هم ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم

(١) مدارج السالكين (٣ / ٤٣٩).

(٢) تفسير القرطبي (٤ / ٤١).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٨٤٦).

يورثوا دينارا ولا درهما ولكنهم ورثوا العلم، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر»^(١).

٢- عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»^(٢).

٣- عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أذناكم»، ثم قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت - يُصلُّون على معلِّم الناس الخير»^(٣).
وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: "العلماء هم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء؛ بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجتُ الناس إليهم أعظمُ من حاجتهم إلى الطعام والشراب"^(٤).

وقد حثت الشريعة الإسلامية على وجوب توقير علماء الشريعة؛ لما لهم من منزلة رفيعة، ومكانة عظيمة، وقد ورد في وجوب توقيرهم، والحث على تبجيلهم الكثير من النصوص الشرعية، منها:

١- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من إجلال الله إكرامَ ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرامَ ذي السلطان

(١) أخرجه أبو داود برقم (٣٦٤١)، والترمذي برقم (٢٦٨٢)، وابن ماجه برقم (٢٢٣)، وأحمد برقم

(٢١٧١٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٣٦٤١).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧١)، ومسلم برقم (١٠٣٧).

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢٦٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٦٨٥).

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٨).

المقسط»^(١)، وإن كان ذلك في حامل القرآن، فما بالك بحامل القرآن، وحامل العلم!!

فتوقير العلم والعلماء هو من إجلال الله تعالى وتعظيم شريعته، وامتنال أمره.

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»^(٢).

فالأمة التي لا تقدر علماءها ولا تجعلهم في أسمى وأعلى مكانة؛ هي أمة لديها خلل في تفكيرها، وتراجع في قيمها ومبادئها وأخلاقها.

قال أبو جعفر الطحاوي في عقيدته المشهورة: "وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين، أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذكَرون إلا بالجميل، ومن ذكَّروهم بسوءٍ، فهو على غير السبيل"^(٣).

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٣٥٧)، وأبو داود برقم (٤٨٤٣)، وحسنه الألباني في

صحيح أبي داود برقم (٤٨٤٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

(٣) العقيدة الطحاوية (ص: ٨٢).

المطلب الثاني

حقوق علماء الشريعة

أما حقوق علماء الشريعة على الأمة فكثيرة، وقد تقدم إيراد بعضها في مطلب سابق، وأزيد عليها ما يلي:

١- التوقير والاحترام:

وهذا كان ديدن السلف الصالح رحمهم الله، فقد كانوا يعرفون قيمة وقدر العالم، وكانوا يعطونه من التقدير والاحترام ما يستحقه، فقد ورد أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أخذ بركاب ناقة زيد بن ثابت رضي الله عنه وقال: "هكذا أمرنا أن نفعل لعلمائنا وكبرائنا"^(١).

وقال صالح بن أحمد بن حنبل: "مشى أبي مع بغلة الشافعي، فبعث إليه يحيى بن معين، فقال له: يا أبا عبد الله، أما رضيت إلا أن تمشي مع بغلته؟ فقال: يا أبا زكريا لو مشيت من الجانب الآخر كان أنفع لك"^(٢).

٢- عدم الوقعية فيهم، والتنقص من قدرهم:

قال أبو حاتم الرازي رحمه الله: "علامة أهل البدع الوقعية في أهل الأثر"^(٣). فقد اشتهر بين السلف الصالح رحمهم الله أن الوقعية في أهل العلم، والتنقص من قدرهم هو علامة على الابتداع وانحراف السلوك.

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥١٤).

(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٤٠٦).

(٣) العلو للعلي الغفاري (ص: ١٩٠).

٣- عدم الاستخفاف بهم:

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله: "حق على العاقل أن لا يستخف بثلاثة: العلماء والسلطين والإخوان، فإن من استخف بالعلماء ذهب آخرته، ومن استخف بالسلطان ذهب دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهب مروءته"^(١).

٤- الإقرار والاعتراف لهم بالفضل والجميل:

فإن هذا الإقرار هو من باب الوفاء للعالم بحقه، وبغيره لن يُعطى العالم شيئاً من حقوقه؛ لأنّ هذا الإقرار يستلزم عند كل العقلاء قدرًا من التقدير والتقدير بحسب ذلك التقدّم والتميّز؛ ولأنّ عدم الإقرار به لن يدع للعالم عند الجاحد لتقدّمه وتميّزه أيّ داعٍ للتقدير والتقدير.

٥- الدعاء لهم:

لقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وقد كان الفضلاء من أهل العلم يدعون للعلماء، قال الميموني: "سمعت أحمد بن حنبل يقول: ستة أدعو لهم سحرًا، أحدهم الشافعي"^(٢).

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: "قلت لأبي: يا أبة أي رجل كان الشافعي فيني سمعتك تكثر من الدعاء له؟ فقال لي: يا بني كان الشافعي كالشمس للدين، وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف، أو منهما عوض"^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٥١).

(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٤٠٦).

(٣) المرجع السابق (٢/ ٤٠٦).

المطلب الثالث

مهام علماء الشريعة ومسؤولياتهم

وكما أن لعلماء الشريعة حقوق على هذه الأمة، فكذلك عليهم مهام ومسؤوليات، منها:

أولاً: التفاعل مع المجتمع بالتربية، والتعليم، والكتابة والتأليف.

فالواجب على العلماء أن يبلغوا رسالة الله تعالى، بكافة الوسائل التي يمكنهم استخدامها في ذلك لقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرِّسُولُ بِلَيْغٍ مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فنشر رسالة الله ﷺ تقتضي من العالم أن يجاهد بلسان وقلمه في سبيل نشر العلم الشرعي بين جميع طبقات المجتمع.

ثانياً: أن يكونوا قدوة صالحة للمجتمع.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

وقد حذر النبي ﷺ من خطورة القدوة السيئة، فقال عليه السلام: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر قال كنت أمركم بالمعروف ولا آتية وأنهاكم عن المنكر وآتية»^(١).

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٧)، ومسلم برقم (٢٩٨٩).

ثالثًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لقول الله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقوله ﷺ: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»^(١).

ومن لوازم ذلك: التصدي للمبتدعين، والفساق، والمنحرفين، والمغالين والجافين، وأصحاب الشبهات والشهوات؛ فهذا من أوجب الواجبات وأهم المسؤوليات التي تقع على عاتقهم، فهم حائط الصد الذي يقف حارساً للشريعة، مدافعاً عنها، وبإذلاً الجهد في بيانها وإبرازها.

رابعًا: عدم كتمان العلم عن الناس:

لقوله ﷺ: «مَنْ سئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أَلْجَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»^(٢). وكان الصحابة يخافون من كتم أي علم أخذوه عن الرسول ﷺ، فقد حدّث معاذ بن جبل رضي الله عنه أنس بن مالك "أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرّحل، قال: «يا معاذ بن جبل»، قال: "لبيك يا رسول الله وسعديك"، قال: «يا معاذ»، قال: "لبيك يا رسول الله وسعديك"، ثلاثاً، قال: «ما من أحدٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، صدقاً

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٤).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٣٦٥٨)، والترمذي برقم (٢٦٤٩)، وابن ماجه برقم (٢٦٤)، وأحمد برقم

(٧٥٧١)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٦٤٩).

من قلبه إلا حرّمه الله على النار»، قال: "يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟" قال: «إِذَا يَتَكَلَّوْا»، وأخبر بها معاذ عند موته تأثُّماً^(١).

خامساً: الصدع بكلمة الحق:

وهذا من أبرز مسؤوليات العالم تجاه أمته، فإنه قد تقع بالأمة فتن وشبهات، لا يستطيع الجاهل فيها أن يميز بين الحق والباطل، فيجب على أهل العلم قول الحق ولو أغضب غيرهم، فلا ينظرون إلى رد غيرهم، بل ينظرون إلى ربهم الذي سيحاسبهم على قولهم.

وقول كلمة الحق له ضوابط ومعايير، فالأمر ليس على عواهنه، ومن أبرز تلك الضوابط:

- ١- أن تكون كلمة الحق مبنية على دلائل علمية وشرعية ثابتة.
- ٢- أن يصاحب قول كلمة الحق الموعظة الحسنة والحكمة البليغة؛ لقول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].
- ٣- إن تطلب المقام المجادلة لإثبات كلمة الحق، فلا بد أن يكون الجدل مع المخالف بالتي هي أحسن؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَدِّدْ لَهُم بِآيَاتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].
- ٤- اختيار الزمان والمكان الملائم لقول كلمة الحق.
- ٥- التفصيل في مقام النطق بكلمة الحق، فإن كان المقام مما يخاطب به جموع الناس، فتكون النصيحة على العموم، فلا توجه لشخص بعينه، أو أفراد بعينهم، بل تكون النصيحة بالعموم لقول النبي ﷺ: «ما بال أقوام...»^(٢).

(١) أخرجه البخاري برقم (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣)، ومسلم برقم (١٤٠١).

أما إن كانت النصيحة لذي سلطان فلا بد أن تراعى الضوابط التي وضعها العلماء في ذلك الشأن؛ فتكون المناصحة بالرفق واللين والأسلوب الحسن، وألا تكون علانية، فقد روى ابن أبي عاصم في السنة عن عياض بن غنم أن رسول الله ﷺ قال: «من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا بيده علانية ولكن يأخذ بيده فيخلوا به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه»^(١).

قال الإمام النووي: "وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتبنيهم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم وتآلف قلوب الناس لطاعتهم، قال الخطابي -: ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم وأن يدعى لهم بالصلاح ... انتهى"^(٢).

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة برقم (١٠٩٦)، وقد صحح إسناده الألباني في ظلال الجنة (٢ / ٥٢١).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢ / ٣٨).

المبحث الثاني

تعليم الناس الشريعة

حكمه والحكمة منه وشروطه

المطلب الأول: حكم تعليم الناس الشريعة.

إن تعليم الناس شريعة رب العباد هو من أوجب الواجبات، وأكد المهام المناطة بالعلماء، "فيقول تعالى: -منبها لعباده المؤمنين على ما ينبغي لهم- ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً﴾ أي: جميعا لقتال عدوهم، فإنه يحصل عليهم المشقة بذلك، وتفوت به كثير من المصالح الأخرى، ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ﴾ أي: من البلدان، والقبائل، والأفخاذ ﴿طَائِفَةٌ﴾ تحصل بها الكفاية والمقصود لكان أولى.

ثم نبه على أن في إقامة المقيمين منهم وعدم خروجهم مصالح لو خرجوا لفاتتهم، فقال: ﴿لِيَنْفَعَهُمْ﴾ أي: القاعدون ﴿فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢]، أي: ليتعلموا العلم الشرعي، ويعلموا معانيه، ويفقهوا أسرارها، وليعلموا غيرهم، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم.

ففي هذا فضيلة العلم، وخصوصا الفقه في الدين، وأنه أهم الأمور، وأن من تعلم علما، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم، من بركته وأجره، الذي ينمي له.

وأما اقتصار العالم على نفسه، وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وترك تعليم الجهال ما لا يعلمون، فأبي منفعه حصلت للمسلمين منه؟ وأي نتيجة نتجت من علمه؟ وغايته أن يموت، فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان، لمن آتاه الله علما ومنحه فهما^(١).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٥٥).

ويجب على العلماء أن يقوموا بتطبيق أحكام الله تعالى على مصالح العباد في كل زمان ومكان على مقدار علمهم في المساجد والمعابد والمنتديات العامة، وفي المحافل عند سnoch الفرصة.

فإذا هم فعلوا ذلك كثر في الأمة الخير، وندر فيها وقوع الشر، وائتلفت قلوب أهليها، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر، وسعدوا في دنياهم وآخرتهم^(١).

(١) ينظر: تفسير المراغي (٤/٢٣).

المطلب الثاني

الحكمة من تعليم الناس الشريعة

تبرز الحكمة العظيمة من تعليم الناس الشريعة من قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فعبادة الله ﷻ وامتثال أمره، وأداء الفرائض، ولزوم الطاعات، واجتناب النواهي والموبقات هو الغاية العظمى التي من أجلها خلق الله ﷻ الإنسان والجن، ولا يتم ذلك على الوجه الأكمل والطريق الأمثل إلا من خلال تعليم الناس شرائع الدين المختلفة.

وتعليم الناس الشريعة يكون بتعلم أصولها وفروعها، ومن أخص ذلك؛ تعلم الفقه في دين الله تعالى، ليكون الإنسان على بصيرة من دينه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "الفقه في الدين: فهم معاني الأمر والنهي، ليستبصر الإنسان في دينه، ألا ترى قوله تعالى: ﴿لِيَتَفَقَّهُوْا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]."

فقرن الإنذار بالفقه؛ فدل على أن الفقه ما وزع عن محرم، أو دعا إلى واجب، وخوف النفوس مواقعه، المحظورة^(١). وقال النووي رحمه الله تعالى: " والتفقه في الدين، والحث عليه ... قائد إلى تقوى الله تعالى"^(٢).

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ١٧١).

(٢) شرح النووي على مسلم (٧/ ١٢٨).

المطلب الثالث

شروط تعليم الناس الشريعة عند أهل الاختصاص

أما الشروط التي وضعها المختصون للعالم الذي يتصدى لتعليم الناس الشريعة، فقد تباينت فيها آراؤهم، فمنهم من جعلها شرطين، ومنهم من جعلها أربع، وعند التأمل نجد أنها تدور في فلك واحد ولكن بعبارات مختلفة.

فقد ذهب الآمدي إلى أنهما شرطان، فقال:

"الشرط الأول: أن يعلم وجود الرب تعالى وما يجب له من الصفات، ويستحقه من الكمالات، وأنه ... حي، عالم، قادر، مريد، متكلم، حتى يتصور منه التكليف، وأن يكون مصدقا بالرسول وما جاء به من الشرع المنقول بما ظهر على يده من المعجزات والآيات الباهرات، ليكون فيما يسنده إليه من الأقوال والأحكام محققا.

الشرط الثاني: أن يكون عالما عارفا بمدارك الأحكام الشرعية، وأقسامها، وطرق إثباتها، ووجوه دلالاتها على مدلولاتها، واختلاف مراتبها، والشروط المعتمدة فيها على ما بينها، وأن يعرف جهات ترجيحها عند تعارضها، وكيفية استثمار الأحكام منها، قادرا على تحريرها وتقديرها والانفصال عن الاعتراضات الواردة عليها.

وإنما يتم ذلك بأن يكون عارفا بالرواة وطرق الجرح والتعديل والصحيح والسقيم، لا كأحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وأن يكون عارفا بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ في النصوص الإحكامية، عالما باللغة والنحو"^(١).

وذهب الشاطبي إلى أنهما أربع، فقال:

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٤/ ١٦٢، ١٦٣).

"قال بعض العقلاء لا يسمى العالم بعلم ما عالماً بذلك العلم على الإطلاق، حتى تتوفر فيه أربعة شروط أحدها أن يكون قد أحاط علماً بأصول ذلك العلم على الكمال. والثاني: أن تكون له قدرة على العبارة عن ذلك العلم. والثالث: أن يكون عارفاً بما يلزم عنه. والرابع: أن تكون له قدرة على دفع الإشكالات الواردة على ذلك العلم"^(١).

وقد زاد الشاطبي شرطاً خامساً في كتابه الاعتصام، وهو شهادة العلماء له بالعلم وجواز التعليم، فقال: "والعالم إذا لم يشهد له العلماء، فهو في الحكم باق على الأصل من عدم العلم، حتى يشهد فيه غيره، ويعلم من نفسه ما شهد له به، وإلا فهو على يقين من عدم العلم، أو على شك، فاختيار الإقدام على هاتين الحالتين على الإحجام لا يكون إلا باتباع الهوى؛ إذا كان ينبغي له أن يستفتي في نفسه غيره، ولم يفعل وكان من حقه ألا يقدم إلا أن يقدمه غيره، ولم يفعل"^(٢).

وقد أفاد الإمام ابن القيم رحمه الله شرطاً طيباً وهو اليقين الذي يدفع الشبهات، فقال: "إن العالم الراسخ في العلم لو وردت عليه من الشبه بعدد أمواج البحر، ما أزلت يقينه، ولا قدحت فيه شكاً؛ لأنه قد رسخ في العلم، فلا تستفز الشبهات، بل إذا وردت عليه، ردها حرس العلم وجيشه مغلولة مغلوبة"^(٣).

وبناءً على ما تقدم، يمكن إجمال ما ذكره العلماء في شروط العالم أنها سبعة شروط: أولاً: أن يكون مسلماً بالعمى عاقلاً. ثانياً: أن يكون عالماً بأغلب أحكام الكتاب والسنة.

(١) الإفادات والإنشادات (ص: ١٠٧).

(٢) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٧٣٨).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٠).

ثالثاً: أن يكون على علم بمسائل التوحيد، وما يجب لله تعالى.
رابعاً: أن يكون عالماً بلسان العرب ومسائل الأصول وغير ذلك من مهمات العلم
كالإجماع والناسخ والمنسوخ.. إلخ.
خامساً: أن تكون له قدرة على دفع الإشكالات الواردة على ذلك العلم.
سادساً: أن يشهد له العلماء بالعلم وجواز التعليم.
سابعاً: أن يكون لديه اليقين الذي يدفع الشبهات.

المبحث الثالث

أثر علماء الشريعة الثقافي على الفرد والمجتمع

المطلب الأول: أثر علماء الشريعة الثقافي على الفرد.

أولاً: الأثر الفكري:

١- تصحيح العبادة:

لما كانت العبادات وكيفية أدائها توقيفية، يُرجع في بيانها إلى الشَّارِع الحكيم، احتاج الناس إلى الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الَّذِينَ يَتْلَقُونَ عَنْ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ أَمْرَهُ ونواهيهِ عن طريق الوحي؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٦﴾ [سورة النحل] أي: "ولقد بعثنا أيُّهَا النَّاسُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ سَلَفَتْ قَبْلَكُمْ رَسُولًا، كَمَا بَعَثْنَا فِيكُمْ، بِأَنَّ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَفْرِدُوا لَهُ الطَّاعَةَ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ"^(١)، والعلماء هم المبلغون عن الله جَلَّ وَعَزَّ وعن رسله، فتصحيح العبادة يعد من أبرز آثار العالم على تلميذه، فالعالم يقوم على تصحيح العبادة لطالب العلم من خلال تعليمه صفة الصلاة، والحج والصيام، ومقدار الزكاة وكيفية إخراجها... إلخ وهذه مزية عظيمة وأثر جليل للعالم الشرعي على طالب العلم.

٢- تقديم التربية السليمة:

لاشك أن الإنسان يحتاج إلى التربية السليمة، والتي تعتبر رئيسة وهامة في تحسين حياته،

(١) تفسير الطبري (١٧/ ١٨٨).

والارتقاء بها، ونهضته هو ومجتمعه على حدّ سواء، والتربية السليمة تعني إكساب الفرد كافيّة أنماط التفكير الإيجابية، والمرجعيات الحسنة المتوارثة سواء الدينية أم الاجتماعية، والتي يجب عليه استعمالها من أجل التصرف في كافّة المواقف التي تواجهه، والتربية عنصر هامّ جدّاً وفعال، سواء على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي، فإن صلح الفرد صلح المجتمع، إذ إنّ المجتمع عبارة عن مجموعة من الأفراد الذين يرتبطون فيما بينهم بعلاقات مختلفة وهامة.

ومن هنا يبرز أثر علماء الشريعة على طالب العلم، فإن العالم يقدم لتلميذه التربية السليمة التي تُقوّم سلوكه، وتهدب أخلاقه، وتحمله على جميل الأفعال، والاتصاف بأفضل السجيا والخصال.

٣- تقديم البناء العلمي للأفراد:

يقع على عاتق العالم مهمّة خلق بيئة جيّدة لطالب العلم، حيث يؤثّر بذلك على طلابه ومستوى الاستيعاب والتحصيل، بالإضافة إلى انعكاس تصرّفاته على سلوك طالب العلم.

وعالم الشريعة يعد بمثابة المزود والناقل الأول للمعرفة، وهو الذي يضمن عمليّة تلقّي المعلومات المختلفة بالشكل الصحيح، وذلك بالاستعانة بالكثير من المصادر والوسائل التي تؤدي بدورها إلى تمكين طالب العلم من استيعاب العلم ونقله لغيره لاحقاً.

وهنا يظهر الأثر الثقافي لعالم الشريعة على طالب العلم؛ فالعالم يقوم بدوره كمعلم، فينشر العلم بين الطلاب، ويشرح غرائبه، ويحل غوامضه، ويبين عجائبه، فيدلل لطالب العلم صعاب المسائل، ودقائقها، مما قد يشكل على طالب العلم، فيستفيد الطالب علمًا غزيرًا ينفعه في دنياه وآخرته.

٤- القدوة الحسنة والسمت الطيب:

يُمثّل عالم الشريعة في نظر طلابه قدوةً ونموذجاً يُحتذى به، حيث يقضي طلاب العلم جزءاً كبيراً من يومهم مع المعلّم، فيتأثرون بسلوكياته إلى حدّ كبير، سواء كانت إيجابية أم سلبية، إذ لا يقتصر دوره على التدريس فقط، بل يشمل التربية الأخلاقية أيضاً، وتقديم المعونة والاهتمام للطلاب.

وهنا يظهر الأثر الثقافي لعالم الشريعة على طالب العلم؛ فيتحلّى الطالب بالسمت الحسن، والمظهر الطيب والسلوك الوسطي الصحيح، والتؤدّة، والترفع عن مسالك أهل الكبر الغرور.

أما أثر العالم على غير الأفراد غير المتخصصين، فيكون بما يلي:

١- تقديم الفتوى والنصيحة:

والفتوى من الأمور الخطيرة التي لها منزلة عظيمة في الدين؛ فالمفتي خليفة النبي ﷺ في أداء وظيفة البيان، والمفتي مَوْفَعٌ عن الله تعالى؛ ونظراً لخطورة الفتوى، فإن الأفراد يلجئون للعالم لاستفتائه في أمور دينهم ودنياهم، فيقوم العالم بوظيفته في ذلك الشأن.

٢- تقديم القدوة الحسنة:

وتعني القدوة هنا أن يكون عالم الشريعة مثلاً يحتذى به في أفعاله وأقواله وسمته وهديه وجميع تصرفاته، وقد نبّه القرآن الكريم على قضية القدوة الحسنة في مسائل التربية، فقال جلّ وعزّ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [المتحنة: ٤]، وقد كان النبي ﷺ -ولا يزال- قدوةً للمسلمين جميعاً، والقدوة الحسنة التي يحققها عالم الشريعة بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام بكلّ ما يحمله من مبادئ وقيم تدعو إلى الخير وتحت على الفضيلة.

ولأثر القدوة في عملية التربية، وخاصة في مجال الاتجاهات والقيم، كان الرسول ﷺ هو قدوة المسلمين، وقد استطاع بفضل تلك القدوة أن يحمل معاصريه قيم الإسلام وتعاليمه وأحكامه، لا بالأقوال فقط، وإنما بالسلوك الواقعي الحي، وقد حرصوا على تتبع صفاته وحركاته، ورصدها والعمل بها، وما ذلك إلا حرصاً منهم على تمثل أفعاله ﷺ، لقد كان المثل الأعلى لهم، قد تمثلت في الرسول ﷺ صفات جليلة جعلت منه قدوة بالفعل^(١). والقدوة الحسنة التي يمثلها عالم الشريعة هي المثال الواقعي للسلوك الخلقى الأمثل، وهذا المثال الواقعي قد يكون مثلاً حسيّاً مشاهدّاً ملموساً يقتدي به، وقد يكون مثلاً حاضراً في الذهن بأخباره، وسيره، وصورة مرتسمة في النفس بأقواله وأفعاله.

فالعلماء بأخلاقهم وسلوكياتهم يمثلون القدوة الحسنة للفرد المسلم، وما ينتج عن العالم من أخلاق وسلوكيات سواء كانت علمية أو عملية تنعكس بشكل مباشر على شخصية الفرد المسلم؛ فصلاح الفرد من صلاح العالم؛ لأن عيون الناس معقودة على العالم، فالحسن عندهم ما يصنعه العالم، والقبيح ما يتركه ويتجنبه. وهنا يظهر الأثر الثقافي لعالم الشريعة؛ من خلال اكتساب الأفراد السلوكيات الحميدة، والمبادئ والقيم التي تدعو إلى الخير وتحث على الفضيلة.

٣- الصبر على أذاهم:

لا يخلو زمان أو مكان من أفراد يطلقون ألسنتهم بالسب والتجريح في العلماء وأهل الفضل، فيأتي دور العالم في التوجيه والبيان وتقديم النصح للأفراد، ودعوتهم باللين ووعظهم بالموعظة الحسنة التي تنفعهم في الدنيا والآخرة، ومجادلة المخالف منهم بالتي هي أحسن، وإذا لم يجد هذا الأمر، جاء الأمر بالصبر على أذاهم وتحمل ما يصدر عنهم من ضرر أو مكروه.

(١) ينظر: نضرة النعيم (١/١٤٣).

المطلب الثاني

أثر علماء الشريعة الثقافي على المجتمع.

إن الأثر الثقافي للعلماء في المجتمع الإسلامي هو أثر لا يمكن إنكاره، ويمكن إيراد أبرز الآثار على النحو التالي:

أولاً: لم شمل المسلمين وجمع كلمتهم على إمامهم صاحب البيعة الشرعية:

وهذا من أبرز الآثار التي يتركها العالم في مجتمعه وأمته، فإن العالم العامل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، يقوم بواجبه الذي أمره به نبيه ﷺ، وهو النصح لأئمة المسلمين، وعامتهم، والنصح لأئمة المسلمين بينه الإمام النووي بقوله: "وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبئهم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم وتألف قلوب الناس لطاعتهم، قال الخطابي رحمه الله: ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم وأن يدعى لهم بالصلاح... انتهى"^(١).

وقول الإمام الخطابي الذي أورده النووي يدل على أثر العالم في مجتمعه، ومدى توفيقه بين عوام المسلمين الذي يمثلون المجتمع الإسلامي بكافة أطيافه وألوانه وبين سلطان المسلمين، فصلاة المسلمين وجهادهم وأداء صدقاتهم للحاكم المسلم هو من باب لم الشمل وجمع الكلمة بين الحاكم والمحكوم.

(١) شرح النووي على مسلم (٢ / ٣٨).

ثانيًا: تعبيد الناس لله رب العالمين:

وهذا من الآثار العظيمة للعلماء، فالعالم هو الذي يسخر علمه في سبيل دعوة الناس إلى دين الله جَلَّ وَ عَزَّ، فبهم يأمن الناس من الضلال والجهل، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رءوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»^(١).

ثالثًا: تعميق الود والإخاء في المجتمع الإسلامي:

فحولهم تلتف الأمة؛ لما لرأيهم من مكانة رفيعة، ومنزلة عالية؛ حيث إنهم يقومون بواجب إحياء التضامن الإسلامي، وتقوية أواصر الإخوة الإسلامية في المجتمع الإسلامي، عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

إن أثر العلماء ومكانتهم على المجتمع الإسلامي هو أثر لا يمكن إنكاره، فهم الذين يعمقون الود والإخاء في المجتمع الإسلامي، وحولهم تلتف الأمة؛ لما لرأيهم من مكانة رفيعة، ومنزلة عالية.

رابعًا: تقديم الفتوى والنصح للمجتمع في دينه:

لما كان العلماء ورثة الأنبياء، وهم الذين بسببهم يهتدي الناس للحق والنور، تكرر الوعيد مشددًا على المفتين أن لا يحرفوا العلم الذي ورثوه، وأن لا يكتموه، وأن يتقوا الله في الناس، وأن يجتهدوا في إرشادهم ودلائتهم للحق، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ [البقرة: ١٧٤]. وهذه الآية وإن كانت خاصة في علماء بني إسرائيل، إلا أن العبرة بعموم اللفظ، وهو يشمل كل من كتم ما شرعه الله أو حرّفه وزوّره، فإن أعظم ما يجب حفظه وبيانه وحمايته هو دين الله وكتابه الخاتم الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ، والذي لن يقبل الله من أحدٍ ديناً سواه.

ولما كان حفظ الدين أهمّ مقاصد الشريعة، فلا يمكن أن تترك الشريعة هذا المقصد عرضةً للضياع أو التحريف، ففي ضياعه ضياع للمقاصد الأخرى، وخراب لنظام الحياة بأسره. ولا بد أن يقيم الله أناساً تقوم بهم الحجة خلفاً عن الرسل، وهم كثيرون والله الحمد، فينفون عن الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. ولقد كان علماء الأمة وأئمتها على هذا القدر من المسؤولية والتقوى لله تعالى عبر العصور والأزمنة، حتى حفظ الله تعالى بهم دينه، فوصل إلينا خالصاً من كل شائبة.

خامساً: سحب اليأس والقنوط من نفوس المجتمع:

فمن أثر العلماء في المجتمع أنهم يعملون على تعميق وزرع الآمال في نفوس الأجيال بتجاوز هذه الحال التي آل إليها المجتمع من الفرقة والتشتت، والوهن والتردي.

سادساً: إزالة المعوقات الفكرية والثقافية التي تقف حجرة عثرة في سبيل تحقيق مجتمع متماسك، على أساس الدين والعقيدة الصحيحة:

فإن المجتمع الإسلامي يواجه دائماً وأبداً هجمات شرسة تريد أن تنال من دينه وعقيدته، وتريد أن تخلخل إيمان المجتمع، وتهمز ثقته بربه وبوعده لهذه الأمة بالنصر والغلبة مهما كثر الخبث، وتفشت الأمراض في هذه الأمة، فيأتي هنا دور العلماء في بث روح

الطمأنينة في نفوس الناس، ونشر روح التفاؤل بنصر الله جَلَّ وَ عَزَّ لعباده المخلصين الصادقين، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾ [غافر: ٥١]. وكذا مواجه الانحرافات الفكرية التي تصيب المجتمع من آن لآخر، فيقوم العلماء بدورهم بالتصدي باللين تارة والشدة تارة أخرى للمشككين والمنحرفين الذين يشككون الناس في دينهم وعقيدتهم.

سابعاً: تذليل التحديات التي يواجهها المجتمع:

يتعرض المجتمع لتحديات كثيرة في مسيرة الحياة سواء كان ذلك من داخل المجتمع نفسه، أو من خارجه، فأما التحديات من داخل المجتمع فتتجسم في التفرق والتشتت وضياع القيم وغياب الهوية الصحيحة، وأما التحديات التي من خارج المجتمع فتتمثل في المحاولات المستمرة والمستميتة في الطعن في ثوابت المجتمع، والتقليل من شأنه، وغرس قيم اليأس والإحباط بين أفراد، ولذلك احتاج المجتمع إلى من يواجه به التحديات الداخلية والخارجية، وذلك من خلال ترسيخ العقائد الصحيحة، والعمل على سيادة الدين، ونشر مبادئه، وكذا العمل على تفعيل الطاقة الكامنة في نفوس الأفراد نحو العمل والإنتاج والوعي والتفاعل، وبذلك تتجدد ثقة المسلمين بمهمتهم القيادية الكبرى، وتتلاشى عوامل الانهزام الفكري والنفسي، وتزول أعراض الشعور بالنقص، وشيوع الضعف والخور، والإخلاق إلى الراحة والاستكانة إلى المتاع العاجل والتعلق بالأهواء والشهوات، وبالتالي يعود المجتمع إلى قيادة الركب الحضاري النير الذي فتح العقول والقلوب، ورفع لواء الكرامة والعدالة والحرية، وبسط راية العلم والمعرفة والسلام في أرجاء المعمورة.

الخاتمة

وفي خاتمة هذا البحث، أشير إلى أبرز النتائج والتوصيات:

النتائج:

- ١- العلم بأحكام الله الشرعية هو أمر ضروري على كل مسلم ومسلمة في كل ما لا يسعهما جهله.
- ٢- حثت الشريعة الإسلامية على وجوب توقيف علماء الشريعة؛ لما لهم من منزلة رفيعة، ومكانة عظيمة، فهم الموقعون عن الله جَلَّ وَعَزَّ وعن رسوله ﷺ.
- ٣- احترام علماء الإسلام وتوقيفهم دليل على صحة إيمان الأمة وسلامة إسلامها.
- ٤- إن تعليم الناس شريعة رب العباد هو من أوجب الواجبات، وأكد المهام المناطة بالعلماء.
- ٥- يجب على العلماء أن يقوموا بتطبيق أحكام الله تعالى على مصالح العباد في كل زمان ومكان على مقدار علمهم في المساجد والمعابد والمنتديات العامة، وفي المحافل عند سnoch الفرصة.
- ٦- عبادة الله ﷻ وامتثال أمره، وأداء الفرائض، ولزوم الطاعات، واجتناب النواهي والموبقات هو الغاية العظمى التي من أجلها خلق الله ﷻ الإنسان والجن.
- ٧- تباينت الشروط التي وضعها المختصون للعالم الذي يتصدى لتعليم الناس الشريعة، فمنهم من جعلها شرطين، ومنهم من جعلها أربع، وعند التأمل نجد أنها تدور في فلك واحد ولكن بعبارات مختلفة.

٨- حقوق علماء الشريعة على الأمة كثيرة، منها: التوقير والاحترام، عدم الوقعية فيهم، والتنقص من قدرهم، عدم الاستخفاف بهم، الإقرار والاعتراف لهم بالفضل والجميل، الدعاء لهم.

٩- يقع على عاتق علماء الشريعة مهام ومسؤوليات تجاه هذه الأمة، منها: التفاعل مع المجتمع بالتربية، والتعليم، والحسبة، والكتابة والتأليف، أن يكونوا قدوة صالحة للمجتمع، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عدم كتمان العلم عن الناس، التصدي للمبتدعين، والفساق، والمنحرفين، وأصحاب الشبهات، الصدع بكلمة الحق.

١٠- لعلماء الشريعة أثر بيّن على الأفراد، فإن العلماء بأخلاقهم وسلوكياتهم يمثلون القدوة الحسنة للفرد المسلم، وما ينتج عن العالم من أخلاق وسلوكيات سواء كانت علمية أو عملية تنعكس بشكل مباشر على شخصية الفرد المسلم.

١١- أثر العلماء ومكانتهم على المجتمع الإسلامي هو أثر لا يمكن إنكاره، فهم الذين يعمقون الود والإخاء والتضامن في المجتمع الإسلامي، وحوهم تلتف الأمة؛ لما لرأيهم من مكانة رفيعة، ومنزلة عالية.

التوصيات:

١- يوصي الباحث وسائل الإعلام بطرح جاد لقضية الأثر الثقافي لعلماء الشريعة على الفرد والمجتمع.

٢- يوصي الباحث الجهات المعنية بضرورة دراسة وبحث مسألة الأثر الثقافي لعلماء الشريعة على الفرد والمجتمع، وتكوين قاعدة بيانات بحثية بهذا الشأن.

٣- يوصي الباحث العلماء والأكاديميين بضرورة بحث وتحقيق التراث الذي يتناول أمثال تلك المسائل المهمة.

٤- يوصي الباحث بطرح موسوعة علمية تسعى إلى إبراز الأثر الثقافي لعلماء الشريعة على الفرد والمجتمع، ونشر ذلك بين الباحثين والمختصين.

فهرس المصادر والمراجع

١. الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الأمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، (بيروت - دمشق - لبنان، المكتب الإسلامي).
٢. أدب المفتي والمستفتي، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣هـ)، المحقق: د. موفق عبد الله عبد القادر، ط٢، (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).
٣. الأدب المفرد بالتعليقات، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري، ط١، (الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).
٤. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليميني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطناء، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، ط١، (دار الكتاب العربي، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م).
٥. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، (بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).
٦. الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع، المؤلف: حسن بن عمر بن عبد الله السيناوي المالكي (المتوفى: بعد ١٣٤٧هـ)، ط١، (تونس، مطبعة النهضة، تونس، ١٩٢٨م).

٧. الاعتصام، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ط ١، (السعودية، دار ابن عفان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
٨. إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط ١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م).
٩. الإفادات والإنشاءات، المؤلف: إبراهيم بن موسى الشاطبي الأندلسي أبو إسحاق، المحقق: محمد أبو الأجنان، ط ١، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
١٠. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، (دار الهداية).
١١. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، ط ١، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).
١٢. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط ٢، (القاهرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
١٣. تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، ط ١، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م).

١٤. تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، ط ١، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).
١٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط ١، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
١٦. جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط ١، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
١٧. جامع بيان العلم وفضله، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط ١، (المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).
١٨. الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط ٢، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).
١٩. السنة، المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، ط ١، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ).
٢٠. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي).

٢١. سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (صيدا - بيروت، المكتبة العصرية).
٢٢. سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَورَة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة، ط ٢، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م).
٢٣. سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط ٣، (مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م).
٢٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).
٢٥. صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط ١، (الناشر دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ١٤٢٢هـ).
٢٦. صحيح سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، ط ١، (الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).

٢٧. صحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، ط ١، (الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
٢٨. صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
٢٩. العقيدة الطحاوية، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، ط ٢، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤١٤هـ).
٣٠. العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ط ١، (الرياض، مكتبة أضواء السلف، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).
٣١. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، د. ط، (دار ومكتبة الهلال، د. ت).
٣٢. فتاوى أركان الإسلام، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، ط ١، (الرياض، دار الثريا للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ).
٣٣. الفتاوى الكبرى لابن تيمية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، ط ١، (دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م).

٣٤. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط ٨، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).

٣٥. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تقدم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، ط ١، (بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م).

٣٦. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م).

٣٧. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط ٣، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م).

٣٨. المسألة الثقافية في الوطن العربي، محمد عابد الجابري، ط ٢، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩م).

٣٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م).

٤٠. المعتصر من شرح مختصر الأصول من علم الأصول، المؤلف: أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنيأوي، ط٢، (مصر، المكتبة الشاملة، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م).
٤١. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وآخرون، د. ط، (دار الدعوة، د. ت).
٤٢. مفتاح دار السعادة و منشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، د. ط، (بيروت، دار الكتب العلمي، د. ت).
٤٣. مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي، (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
٤٤. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، ط٢، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ).
٤٥. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، ط٤، (جدة، دار الوسيلة للنشر والتوزيع).

البحث رقم (٥)

منهج الداعية بين الأقوال وتطبيقاتها
العملية وأثرها الدعوي

د. سهل بن عبيد بن عبد الله الحربي

الأستاذ المشارك في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بالجامعة
الإسلامية بالمدينة المنورة

الملخص

منهج الداعية بين الأقوال وتطبيقاتها العملية وأثرها الدعوي

يهدف هذا البحث إلى بيان منهج الداعية في الجمع بين الأقوال وتطبيقاتها العملية وأثرها الدعوي، وعرض أبرز معالم المنهج النبوي التطبيقي للأقوال وتأثيره، والتحذير من مخاطر مخالفة الداعية في تطبيقاته لأقواله التي يدعو إليها، وبيان أهمية مطابقة فعل الداعية لقوله وتأثيره، ثم الوقوف على نماذج مختارة من تطبيقات الصحابة وأعلام السلف للأقوال عملياً. واستخدم الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي والمنهج التحليلي والمنهج النقدي، ومنها خلص إلى نتائج البحث والتي من أبرزها: الأقوال دون الأفعال في الدعوة منزوعة التأثير، والخطأ الأكبر أن تخالف أفعال الداعية أقواله، أي يقول الشيء ويفعل عكسه، ويناقض حاله كلامه؛ فهذا إفسالٌ للدعوة وإفسادٌ للناس، حيث إن امن أبرزها إذا خالف فعله قوله، كان أداة للهدم والتضليل، أكثر من كونه أداة للبناء والهداية. كما أن الفعل أكثر تأثيراً في المدعويين، وإن تأثير الكلمات سرعان ما يزول إذا لم يدعمه الفعل ويقويه؛ ذلك أن الناس مجبولون على التأثر بالأفعال أكثر من تأثرهم بالأقوال، وهذا ما يجب على الدعاة جميعاً العلم به والتركيز عليه.

ويوصى الباحث الأكاديميين وطلاب الدراسات العليا والباحثين في الدراسات الشرعية، بتتبع ورصد مظاهر وسلوكيات الانفصام بين الأقوال والأفعال في مختلف الميادين الحياتية، وتقديم المعالجات الإيمانية والتربوية لها.

الكلمات المفتاحية: المنهج - الداعية - الأقوال - التطبيقات - الأثر.

Abstract

The preacher's approach between sayings, their practical applications, and their advocacy effect

The aim of this research is to explain the preacher's approach in combining sayings and their practical applications and their advocacy effect, and to present the most prominent features of the Prophet's applied approach to sayings and its impact, and to warn against the dangers of the preacher's violation in his applications to his sayings that he calls for, and to show the importance of matching the preacher's act to his saying and its impact, then standing on selected models From the applications of the Companions and the flags of the predecessors to the sayings in practice. The researcher used the descriptive inductive approach, the analytical approach, and the critical approach, from which he concluded the research results, the most prominent of which are: the words without the actions in the call without influence, and the biggest mistake is that the actions of the preacher contradict his words, that is, he says the thing and does the opposite, and his condition contradicts his words; This is a failure of the call and corruption of people, as if the preacher contradicts his saying, it was a tool for demolition and misleading, rather than a tool for construction and guidance. Also, the action has more influence on the invited, and the effect of the words quickly disappears if the act does not support and strengthen it; This is because people are tempted to be affected by actions more than they are by words, and this is what all preachers should know and focus on. The researcher recommended academics, graduate students and researchers in Sharia studies, to track and monitor the manifestations and behaviors of schizophrenia between words and actions in various fields of life, and to provide faith and educational treatments for them.

Keywords: curriculum - preacher - sayings - applications - impact.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلاما على رسولنا الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، الذين قدموا النفس والنفيس نصرته لهذا الدين، وعلى الذين اتبعوهم بإحسان غير مبدلين ولا مبتدعين. أما بعد:

فالدعوة إلى الله تبارك وتعالى أعظم مهمات رسولنا صلى الله عليه وسلم، وهي وسيلة وسبيل لتحقيق توحيد الله تعالى، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسَبَّحَ لِلَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا

مُنِيرًا ۝٤٦ ﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦]. وهي الميزة التي فضّل الله تعالى بها هذه الأمة على سائر الأمم؛ فقال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۝ ﴾ [آل عمران: ١١٠]

وأمر الله تعالى عباده بها وحثهم عليها فقال: ﴿ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٦٧]، لذا كان الداعية إلى الله تعالى العامل بما يدعو إليه، من أحسن الناس قولاً، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣]، بل إن الداعية له أجره من الله الكريم، وله كذلك أجر من دعاهم إلى الله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم: « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئاً »^(١).

(١) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة،

ولا ينكر عاقل افتقار أبناء الأمة في زماننا هذا إلى التطبيق العملي لما يلقي على أسماعهم من مثل وأخلاقيات، فقد تشبع أفراد الأمة من الدروس النظرية والخطب والدروس والمقالات عن القيم والأخلاقيات والمثل والفضائل وغيرها، بيد أنهم قلما يرون النموذج الإنساني الذي يترجم ذلك التنظير إلى أعمال وأفعال وممارسات محسوسة ملموسة، وهو ما يؤثر سلبيًا في قناعاتهم وتطبيقاتهم لما يسمعون أو يقرؤون، ويقلل من فاعلية الداعية وتأثير دعوته في الناس.

بل إن كثيرًا ما يرى أفراد الأمة بعض الدعاة، ليس فقط لا تطابق أفعالهم أقوالهم، بل يرونهم يفعلون عكس ما يقولون، مما يأتي على جهودهم في الدعوة من القواعد، ولا تثمر دعوتهم ثمرة، ولا يخطون على طريق التأثير في الناس خطوة.

وفي هذا البحث فإني حاولت جاهدًا بيان عناية الإسلام الشديدة حرصًا منه على نجاح الدعوة والداعية بمطابقة أفعال المسلم عامة والداعية خاصة لأقواله وتنظيره، وتأكيد على أهمية ذلك في بناء الأمم والمجتمعات، وفي نجاح الداعية ودعوته، وتوفيقه على سبيل إحداث التأثير في الآخرين، وقبول الناس وتطبيقاتهم لما يحثهم عليه من تعاليم إسلامية ومثل وفضائل، ما داموا يرونه يطبق ما يقول، ويترجمه حقيقة ملموسة على أرض الواقع.

تساؤلات البحث:

تتمحور تساؤلات هذا البحث حول التساؤل الرئيس الآتي: ما أهمية مطابقة الداعية فعله التطبيقي لقوله النظري وأثر ذلك دعوياً؟

وتتفرع عن هذا السؤال الرئيس التساؤلات الفرعية الآتية:

١. ما أبرز معالم منهج النبوي التطبيقي للأقوال وتأثيره؟

٢. ما المخاطر المترتبة على مخالفة الداعية في تطبيقاته لأقواله التي يدعو إليها؟

٣. ما أهمية مطابقة فعل الداعية لقوله عليه وعلى الدعوة وتأثيره؟

٤. كيف كانت تطبيقات الصحابة وأعلام السلف للأقوال عملياً؟

أهداف البحث:

١. عرض أبرز معالم المنهج النبوي التطبيقي للأقوال وتأثيره.
٢. التحذير من مخاطر مخالفة الداعية في تطبيقاته لأقواله التي يدعو إليها.
٣. بيان أهمية مطابقة فعل الداعية لقوله وتأثيره.
٤. الوقوف على نماذج مختارة من تطبيقات الصحابة وأعلام السلف للأقوال عملياً.

أهمية البحث:

تتبع أهمية هذا البحث من أهمية القضية التي يعالجها، فالبحث يعالج قضية من الأهمية بمكان، يغفل عنها كثير من المربين والدعاة والمعلمين، وهي ضرورة مطابقة أفعالهم لأقوالهم ودروسهم وتنظيرهم، وإلا لبارت جهودهم وخاب بذهم، وكانت كلماتهم وعظاتهم محض حروف تتناثر في الهواء، لا تحل في قلب مستمع، ولا تؤثر في نفس متابع.. فتبرز أهمية هذا البحث وتظهر من خلال لفت انظار الجميع إلى أهمية الفعل المطابق للقول مع القول، وان الفصل بين الفعل والقول في الدعوة، هو من أكبر أسباب فشل الدعوة والداعية.

سبب اختيار الموضوع:

لعل السبب الرئيس في اختياري لهذا الموضوع هو ما أشاهده من الهوة الواسعة بين أقوال كثيرٍ من الدعاة وأفعالهم، فمنهم من يتحدث عن الزهد في الدنيا وزينتها، وهو لا يترك

زينة منها إلا وتعلق بها، ومنهم من يتحدث عن التواضع وخفض الجناح للمؤمنين وهو ينضح كبرا واستعلاء، وهكذا.. وقد رأيت بعد متابعة واستقصاء أن ذلك من أهم أسباب عزوف الناس الدعوة والدعاة، وآليت أن أكتب في هذا الأمر، منبهاً على خطورته، وملفتاً أنظار إخواني من أهل الدعوة إلى هذا الأمر الخطير، ليكونوا على حذر منه، وليكونوا من المبادرين إلى فعل ما يقولون من مثل وقيم ومكارم أخلاق.

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث على أي دراسة مماثلة لموضوع بحثه هذا، حيث وكل المتوفر فيه عبارة عن مقالات قصيرة جداً في بعض المواقع الإسلامية على الشبكة العنكبوتية، ومع البحث والتحري لم يقف الباحث على أي دراسة علمية او كتاب شامل لموضوع هذا البحث.

منهج البحث:

اعتمد الباحث في بحثه هذا على المناهج العلمية الآتية:

المنهج الوصفي الاستقرائي: وهو أسلوب من أساليب التحليل المركزي على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة، أو موضوع محدد، أو فترة أو فترات زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على نتائج علمية، ثم تفسيرها بطريقة موضوعية، بما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة.^(١) كما وأنه من المناهج الأساسية في البحوث الوصفية وتعتمد الطريقة الاستقرائية على تجميع البيانات، والحقائق الجارية عن موقف معين، فقد استقرأ الباحث الأدلة والشواهد التي يبنى عليها التطبيق العملي لأقوال الداعية وتأثيره الدعوي.

المنهج التحليلي: وهو "المنهج الذي يمكن الباحث من القيام بتحليل الظاهرة التي يتم دراستها، ويقوم بالمقارنة بينها وبين كافة الظواهر الأخرى التي تتعلق بها، لكي يتم تفسيرها

(١) ينظر: البحث العلمي أساسياته النظرية وممارساته، رجاء وحيد جويدي، دار الفكر، دمشق، ط ١،

وتحليلها واستنتاج الحلول بشكل مدروس"^(١)، ومن هذا المنهج سأقوم أيضاً بتحليل النصوص، ومن ثم الخلوص إلى آراء وثيقة تبنى عليها استنتاجات هذه الدراسة.

المنهج النقدي: وهو المنهج الذي يعني "التمييز بين الجيد أو الصحيح وغيره، أو بين الايجابي والسلبي في الموضوع أو المحتوى المدروس، وإظهار ذلك مسوغاً بأدلته ومستنداً فيه إلى أصول الفن العلمي الذي ينتمي إليه البحث وإلى مسلماته؛ تقويماً له، وحكماً عليه، وتعاملاً معه بما يلزم علمياً"^(٢). ووفق هذا المنهج قمت بنقد مخالفة الأقوال النظرية للأعمال التطبيقية عند بعض الدعاة ومدى مخالفتها للمنهج الإسلامي.

خطة البحث:

ملخص البحث.

مقدمة البحث.

تمهيد: التعريف بمفردات البحث.

المبحث الأول: أهمية مطابقة أفعال الداعية العملية لأقواله وأثره الدعوي.

المبحث الثاني: المنهج النبوي التطبيقي للأقوال وأثره الدعوي.

المبحث الثالث: نماذج من التطبيقات العملية للأقوال عند الصحابة وأعلام

السلف.

المبحث الرابع: مخاطر مخالفة تطبيقات الداعية لأقواله التي يدعو إليها.

(١) البحث العلمي الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، محمد شفيق، المكتبة الجامعية-

مصر، ٢٠٠١م، ص ١١١.

(٢) أسس مناهج البحث العلمي وتحقيق النصوص في العلوم الإسلامية والعربية، علي بن عتيق الحربي،

الناشر المتميز للطباعة والنشر-الرياض، ط ١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م، ص ١٣١.

الخاتمة، وتتكون من:

- نتائج البحث.

- التوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد: التعريف بمفردات البحث

تعريف المنهج: في اللغة: إنَّ الحروف الأصلية لهذه الكلمة هي: (ن ه ج)، وهذه المادة تدور حول معنى الطريق، يقول ابن فارس: "نَحَج: النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأول: النهج، الطريق ... والآخر: الانقطاع"^(١).

وتشير معاجم اللغة إلى أن المنهج هو: الطريق الواضح، والسلوك البين، والطريق المستقيم، يقال: نَحَجَ الطريق نَحْجًا: وضح واستبان، ونَحَجَ الطريق: بيَّنه وسلكه، ونَحَجَ نَحْجَ فلان: سلك مسلكه، والمنهاج مثله، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(٢) المائدة: ٤٨، واستعمل حديثًا بمعنى: "الخطة المرسومة"، ومنه: منهج الدعوة أو منهاج الدعوة، ومنهج الدراسة أو منهاج الدراسة.. إلخ، والجمع "مناهج"^(٣)

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، (٥/٣٦١).

(٢) ينظر: لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري (٦٣٠ - ٧١١هـ) تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ٢/٤٥٥٤، ٤٥٥٥، دار المعارف، القاهرة، د. ق. ت. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ١/٢١٨ دار الجليل، بيروت، د. ق. ت. المعجم الوسيط، ٢ / ٩٩٥ مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط ٣، د. ت. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ترتيب / السيد محمود خاطر ص ٦٨١ المطبعة الأميرية بالقاهرة، ط ٧، ١٩٥٣ م. المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (ت ٧٧٠هـ) ٢ / ٦٢٧ المكتبة العلمية، بيروت، د. ق. ت. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) تحقيق وضبط / محمد سيد كيلاني ص ٥٠٩ دار المعرفة، بيروت، د. ق. ت. أساس البلاغة، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـ)، ص ٦٦٠، ٦٥٩، دار صادر، بيروت، د. ق. ت.

والمقصود هنا بالمنهج المعنى هو الدالُّ على الطريق^(١).

في الاصطلاح: عرف العلماء والمفكرون المنهج بعدد من التعريفات تتقارب في كثير من معانيها، ولا تبعد عن الدلالة اللغوية، ومن هذه التعريفات: المنهج هو " النظام والخطة المرسومة للشيء"^(٢). ويتناول عبد الخالق رشيد المنهاج بتعريفه بأنه عبارة عن منظومة متكاملة ومتناسقة على هيئة مجموعة من المبادئ سواء أكانت نظرية أو إجراءات تطبيقية يُهدف من خلالها تنظيم حقل معرفي معين بهدف تفعيل نتائجه مستقبلاً.^(٣)

ويتضح من خلال الجمع بين هذين التعريفين وبين الدلالة اللغوية لكلمة " المنهج " أن المنهج هو: الطريق الواضح الذي يسلك بنظام دقيق وخطة مرسومة تتناسب مع طبيعة الهدف المراد الوصول إليه، حقاً كان الهدف أم باطلاً بحسب ما يضاف إليه المنهج. ولذلك فهذان التعريفان يتسمان بسمة العموم. ومن ناحية الاصطلاح الشرعي "الطريق المستقيم الواضح في الدين"^(٤).

وأما من الناحية الفلسفية: "خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية؛ بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها"^(٥).

-
- (١) الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، (ج ١/ص ٣٤٦).
- (٢) مباحث في الدعوة ومناهجها وأساليبها ووسائلها وبعض رجالها، د. عبد الخالق إبراهيم إسماعيل، ص ٧٦. مؤسسة النجوم الهاشمية، الرزازيق، ط الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م وكذا: المدخل إلى علم الدعوة، د / محمد أبو الفتح البيانوني ص ٤٥ مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثالثة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- (٣) ينظر: مناهج التحليل اللغوي، لعبد الخالق رشيد، جامعة وهران- الجزائر، (د.ت)، ص (٣).
- (٤) القرطبي، أحكام القرآن (٢١١/٦)، والألوسي، روح المعاني (١٥٣/٢).
- (٥) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٣٩٩هـ (ص ١٩٥).

وأما من الناحية العلمية التجريبية: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم؛ بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تُهَيِّم على سبيل العقل، وتُحدّد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة".

ويمكن تعريف المنهج تعريفاً عاماً فيقال: "هو مجموعة الركائز والأسس، التي توضح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأمة؛ لتحقيق الآثار التي يصبو إليها كلٌّ منهم"^(١). وهناك من التعريفات ما جعل المنهج سبيلاً للوصول إلى الحقيقة فقط ومن هذه التعريفات ما يأتي:

* المنهج هو " الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم "^(٢).

* المنهج هو " البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول إلى الحقيقة "^(٣).

وخلاصة هذه التعريف يبيّن الباحث على وفقها هذا التعريف الإجرائي: الطريق واضح المعالم الذي من خلاله يتم تحديد القواعد والمبادئ والقيم الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ، والتي يسير على وفقها الداعية لمطابقة فعله العملي التطبيقي قوله النظري.

(١) السديس، د. عبد الرحمن، العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ومعالم منهجه الأصولي، مجلة البحوث الإسلامية، العدد الثامن والخمسون (ص ٣٠٠).

(٢) مناهج البحث العلمي، د / عبد الرحمن بدوي ص ٤٤، دار النهضة المصرية، القاهرة، د. ق ١٩٦٣ م.

(٣) مناهج البحث العلمي في الإسلام، د / غازي حسين عناية، ص ٨١ دار الجيل، بيروت، ط الأولى،

التطبيقات:

في اللغة: التطبيقات جمع تطبيق، والتطبيق مصدر للفعل "طَبَّقَ".
وهذه المادة لها معانٍ، والذي يتوافق مع هذا البحث هو معنى: التساوي والموافقة.
يُقال: تطابق الشيئان، بمعنى: تساويا، والمُطابَقَةُ: المُوافَقَةُ. والتَّطابُقُ: الاتِّفَاقُ^(١).
وطابقت بين الشيئين: إذا جعلتهما على حَدِّ واحدٍ، وألزقتهما.
ومطابقة الفرس في جريه: وضع رجليه مواضع يديه.
وأطبقت الشيء: غطيته، وجعلته مُطَبَّقًا، ومنه قولهم: لو تطبقت السماء على الأرض ما فعلت كذا^(٢).

التطبيقات في الاصطلاح: عرفت بأنها: "إخضاع المسائل والقضايا لقاعدة علمية أو قانونية أو نحوية، يقوم الباحث فيها بتطبيق المسائل على النظريات، ويسعى لتطبيق التعليمات طبقاً للقانون"، فهو: إجراء تعليمي يهدف لتحفيز التعلّم من التجارب^(٣).
أما المطابقة: فهي من قولنا تطابق الشيئان إذا توافقا وتساويا، فالمطابقة الموافقة، والتطابق الاتفاق، وطابقت بين الشيئين: إذا جعلتهما على حدو واحد، وألزقتهما، وهذا الشيء وفق هذا ووفاقه، وطباقه وطباقه بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وطابَقَه عَلَى الأَمْرِ: جَامَعَهُ وَمالَهُ^(٤).
القول: هو الكلام، تَقُول: قَالَ يَقُول قَوْلًا، أي تكلم كلاما، وهو أيضا: الرأْيُ

(١) مناهج البحث العلمي في الإسلام، د / غازي حسين عناية، ص ٨١.

(٢) الجوهري، الصحاح، (ج ٤، ص ١٥١٢).

(٣) ينظر: عمر؛ مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، (ج ٣، ص ١٣٨٧).

(٤) لسان العرب، ج ١٠ / ٢٠٩ - المعجم الوسيط، ج ٢ / ٥٥٠ - معجم ديوان الأدب، ج ٢ / ٣٨٩

- الصحاح، ج ٤ / ١٥١٢ - تاج العروس، ج ٢٦ / ٦١ - مختار الصحاح، ص ١٨٨ -

والمعتقّد، والمراد به هنا الكلام الصادر عن الداعية في وعظه للناس وإرشادهم^(١).
الفعل: مصدر فعل يفعل، بمعنى عمل يعمل فهو عامل، والفعل: كناية عن كل
عَمَلٍ مُتَعَدٍّ أو غير مُتَعَدٍّ، والمراد به هنا: كل ما يصدر عن الداعية من أعمال^(٢).
في ضوء ما سبق يمكننا القول: إن المراد من قولنا: مطابقة فعل الداعية لقوله: أي
توافق ما يصدر من الداعية من أعمال وسلوكيات مع الكلام النظري الموجه منه للمدعوين
في كتبه ودروسه ومواعظه.

(١) تهذيب اللغة، ج٩/٢٣٠ - لسان العرب، ج١١/٥٧٢ - تاج العروس، ج٣٠/٢٩٢ - المعجم
الوسيط، ج٢/٧٦٧.

(٢) مقاييس اللغة، ج٤/١٤٥ - المحكم والمحيط، ج٢/١٦٣ - لسان العرب، ج١١/٥٢٨.

المبحث الأول

أهمية مطابقة أفعال الداعية العملية لأقواله وأثره الدعوي

إن الداعية الناجح الناجي هو الذي إذا أمر بخير كان أول الناس مبادرة إليه، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الصف: ٢، ٣] وإذا نهي عن شيء كان أول الناس بعداً عنه واجتناباً له، كما قال شعيب لقومه في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هو: ٨٨] قال الشيخ الشنقيطي: ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة عن نبيه شعيب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، أنه أخبر قومه: أنه إذا نهاهم عن شيء انتهى هو عنه وأن فعله لا يخالف قوله، ويفهم من هذه الآية الكريمة أن الإنسان يجب عليه أن يكون منتهاها عما ينهي عنه غيره، مؤتمراً بما يأمر به غيره^(١).

إن الدعوة بالأفعال هي أساس القبول عند الناس.. والذي يعمد إلى إصلاح الناس بالأقوال دونما فعال منه تدل على صدقه في دعواه، وتؤكد إخلاصه لما يدعو إليه، فإنما هو كالطبيب الذي يداوى الناس وهو عليل، يسعى لشفائهم من أسقامهم وهو مثقل بالأوجاع والسقام.

وما أحسن القائل:

ما أفبح التزهيد من واعظ ... يزهّد الناس ولا يزهّد ...

لو كان في تزيهده صادقاً ... أضحى وأمسى بيته المسجد ...

(١) أضواء البيان ، ج٢/١٩٧.

إن رفض الناس فما باله ... يستفتح الناس ويستترقد ...

الرزق مقسوم على من ترى ... يسعى له الأبيض والأسود^(١)

وقال أبو الأسود الدؤلي:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم ...

فابدأ بنفسك فانها عن غيرها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم ...

فهناك يقبل إن وعظت ويقتندي ... بالقول منك وينفع التعليم^(٢)

فكلما كان الداعي إلى الله تعالى أو الأمر الناهي مطبقا لما يقول في عقيدته وفي

عباداته ومنهج حياته كان حريًا أن يُقبَلَ قوله، وتسمع كلمته، ويكون له تأثير طيب على المجتمع^(٣).

ذلك أن تطبيق الداعية لما يلقي على الناس من مواعظ ومثل مكارم أخلاق، هو الذي يعطى أقواله القوة والفاعلية، فلا قيمة للكلمة إذا لم يكن صاحبها موقنا بها، وعلامة ذلك اليقين، ترجمته لما يقول، وتجسيده للقول أفعالاً ملموسة، وإلا فإن كلامه محكوم عليه بالموت وعدم الفاعلية، مهما كان رصينا قويا، فهمها كانت الكلمة طنانة رنانة، فلا قيمة لها، إذا هي لم تنبعث من قلب يؤمن بها. ولن يؤمن إنسان بما يقول حقا إلا أن يستحيل هو ترجمة حية لما يقول، وتجسيما واقعيًا لما ينطق.. عندئذ يؤمن الناس، ويثق الناس، ولو لم

(١) تفسير ابن كثير، ج١/٢٠٥ - تفسير القرطبي، ج١/٣٦٧ - جامع بيان العلم وفضله، ج١/

٦٧١ - الأغاني للأصفهاني، ج٤/٧٩.

(٢) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، ج١/٦٧٤ - تفسير القرطبي، ج١/٣٧١ - لطائف

المعارف لابن رجب، ص ٧٨.

(٣) ينظر: المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة

الإسلامية بالمدينة المنورة، ص ١٦٩.

يكن في تلك الكلمة طنين ولا بريق.. إنها حينئذ تستمد قوتها من واقعها لا من زينها وتستمد جمالها من صدقها لا من بريقها.. إنها تستحيل يومئذ دفعة حياة، لأنها منبثقة من حياة وعن أهمية الفعل في حياة الناس والمدعوين، يقول مصطفى صادق الرافعي: لو أقام الناس عشر سنين يتناظرون في معاني الفضائل ووسائلها، ووضعوا في ذلك مئة كتاب، ثم رأوا رجلاً فاضلاً بأصدق معاني الفضيلة، وخالطوه وصاحبوه؛ لكان الرجل وحده أكبر فائدة من تلك المناظرة، وأجدى على الناس منها، وأدل على الفضيلة من مئة كتاب ومن ألف كتاب، ولهذا يرسل الله النبي مع كل كتاب منزل؛ ليعطي الكلمة قوة وجودها، ويخرج الحالة النفسية من المعنى المعقول، وينشئ الفضائل الإنسانية على طريقة النسل من إنسانها الكبير^(١).

فليحرص كل داعية محب لدعوته، أن تكون دعوته للناس بأفعاله أكثر من دعوته لهم بأقواله، فالتطبيق العملي لما يقول، هو الأهم في تحفيز المدعوين إلى فعل ما يدعوهم إليه ويحثهم عليه، فإن كانت الأقوال تدرك بالأسماع إن كانت منطوقة، وبالأبصار إن كانت مكتوبة، فإن الأفعال تدرك بالقلوب والأرواح، ومن ثم فإنها الأهم والأقوى في حمل الناس على ما يريده الداعية.. وذلك ما نص عليه أبو حامد الغزالي، فبعد أن أكد على أهمية ضرورة موافقة العمل للقول، علل ذلك بقوله: لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر فإذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئاً وقال للناس لا تتناولوه فإنه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نحووا عنه فيقولون لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به^(٢).

(١) وحى القلم، مصطفى صادق الرافعي، ج٣ / ٣٨

(٢) إحياء علوم الدين، ج١ / ٥٨.

المبحث الثاني

المنهج النبوي التطبيقي للأقوال وتأثيره الدعوي

لل فعل أثره البالغ والناجع في المدعويين ، في تأثرهم ، في استجابتهم ، في تنفيذهم لما يوعظون ويؤمنون به ، بل ومسارعتهم إليه وليس أدل على ذلك مما حدث يوم الحديبية ، فلما صدَّ المشركون الرسولَ (ﷺ) وأصحابه عن البيت الحرام، حينما أرادوا العمرة عام الحديبية، وبعد إبرام الصلح مع قريش "فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): (قُومُوا فَأَخْرُجُوا ثُمَّ اخْلِقُوا"، فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ قَامَ فَدَخَلَ عَلَيَّ أُمُّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَتْ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ.. أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ أُخْرِجُ ثُمَّ لَا تُكَلِّمُ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ خَالِقَكَ فَيَخْلِقَكَ) فَقَامَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا خَالِقَهُ فَخَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَخْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا عَمَّا"^(١).

ففي هذه القصة دلالة ظاهرة على التفاوت الكبير بين تأثير القول وتأثير الفعل؛ ففي حين لم يتغلب القول على هوم الصحابة وتألمهم مما حدث؛ فلم ينصاعوا للأمر، نجدهم بادروا إلى التنفيذ؛ اقتداءً بالرسول (ﷺ) حين تحوّل أمره القولي إلى تطبيق عملي؛ حتى كاد يقتل بعضهم بعضاً

* كان النبي (ﷺ) يدرك بما حباه الله من نور النبوة أن الناس تتأثر بالأفعال أكثر من تأثرها بالأقوال، ذلك أن مستويات فهم الكلام عند الناس تتفاوت: ولكن الجميع يتساوى أمام الرؤية بالعين المجردة، ومن ثم يكون الفعل أيسر وأقصر الطرق في إقناع الناس

(١) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشُّرُوطِ فِي الْجِهَادِ وَالْمِصَالِحَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ،

والتأثير فيهم، وإيصال المعاني المرادة إليهم، فليس بغريب إذن أن نجد النبي (ﷺ) لا يدعو إلى خير إلا كان أول من يفعله، ولا ينهي عن شيء إلا كان أول من يجتنبه ويحذره.. حتى قال الجلندي ملك عمان: "والله.. لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه كان لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، ولا ينهي عن شيء إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يبطر، ويُغلب فلا يضجر، ويفي بالعهد، وينجز الوعد"^(١)، قال الإمام الشاطبي: وإنما كان (ﷺ) خلقه القرآن لأنه حَكَمَ الوحي على نفسه حتى صار في عمله وعلمه على وفقه، فكان للوحي موافقًا قائلًا مدعًا ملبياً وافقًا عند حكمه، وهذه الخاصة كانت من أعظم الأدلة على صدقه فيما جاء به، إذ قد جاهر بالأمر وهو مؤتمر، وبالنهى وهو منته، وبالوعظ وهو متعظ، وبالتخويف وهو أول الخائفين، وبالترجية وهو سائق دابة الراجين، وحقيقة ذلك كله جعله الشريعة المنزلة عليه حجةً حاکمة عليه، ودلالة له على الصراط المستقيم الذي سار عليه (ﷺ)^(٢).

فلما رأى الناس رسول الله (ﷺ) يحول هذا المنهج الرباني والنبوي في حياتهم إلى منهج عملي تعلقت به القلوب، فالقلوب تتعلق بالجمال كأمر فطري جبلي، فكيف بمن جمع الله له الجمال والكمال خَلْقًا وَخُلُقًا؟، ورأى الناس الرسول الكريم (ﷺ) تتمثل فيه هذه الصفات الكريمة كلها، فصدقوا تلك المبادئ التي جاء بها كلها، ورأوها متمثلة فيه، ولم يقرؤوها في كتاب جامد، بل رأوها في بشر متحرك، تحركت لها نفوسهم، هفت لها مشاعرهم، حاولوا أن يقتبسوا قبسات منه، كلُّ بقدر ما يطيق، فكان أكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل، كان هاديًا ومربيًا بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلم الطيب الذي ينطق به.

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج١/٤٨٤ - الروض الأنف، ج٧/٥١٦ - الخصائص الكبرى

للسيوطي، ج٢/٢٢.

(٢) الاعتصام للشاطبي ص٨٥.

والقارئ في سيرة النبي المصطفى (ﷺ) وسنته المطهرة يدرك دون عناء حرص النبي (ﷺ) على الفعل قبل القول.. وعنايته بتطبيق النصوص الواردة على نفسه أولاً، وتحويلها إلى واقع يلمسه الناس ويشاهدونه في شخصه العظيم.

لقد استطاع النبي (ﷺ) أن يجسد ذلك المنهج الرباني واقعاً ملموساً، وأن يترجم مثله وأخلاقياته من كونها نظرية إلى واقع عملي مشاهد.. فجاءت سيرته (ﷺ) مليئة بالأفعال المطابقة والسابقة للأقوال، وكثيرة هي المواقف التي ظهر فيها استخدام النبي (ﷺ) الفعل العملي في تربية أصحابه - رضي الله عنهم - كأسلوب متميز عن باقي الأساليب الدعوية، وآثر فيها الفعل على القول.. وسأقتبس هنا بعضاً من النماذج من سيرته (ﷺ) التي تؤكد ذلك:

- ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: اتَّخَذَ النَّبِيُّ (ﷺ) خَاتِماً مِنْ ذَهَبٍ فَأَتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): إِبِّي اتَّخَذْتُ خَاتِماً مِنْ ذَهَبٍ - فَنَبَذَهُ وَقَالَ: (إِبِّي لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا) فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ^(١)... قال ابن بطال -رحمه الله- "دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْفِعْلَ أُبْلَغَ مِنَ الْقَوْلِ"^(٢).

فلم يحدثهم النبي (ﷺ) في الأمر؛ لعلمه أن مستويات فهم الكلام عند الناس تتفاوت، ولكن الجميع متساوون أمام الرؤية بالعين بالعين؛ ولذا قام النبي (ﷺ) بالفعل أمامهم، فما كان منهم إلا الامتثال والاقتراء بفعله (ﷺ).

- وفي حنين، وجنود المسلمين يفرون والأعداء يرشقونهم بالنبل، هل كان قائدهم ومربيهم يكتفي بوعظهم بالثبات في مثل هذا الموقف؟ إن مئات الكلمات والمواعظ والخطب الرنانة

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الإفتداء بأفعال النبي (ﷺ)، ج٩٦/٩ ح

٧٢٩٨.

(٢) فتح الباري، ١٣/٢٧٥.

في الثبات لا تفعل فعله (ﷺ)، لا سيما والجنود في حالة من الخوف والهلع، إنهم في حاجة في مثل هذا الموقف إلى القائد المرئي، الذي يرجعهم إلى الجادة التي انحرفوا عنها، بالفعل لا بالقول.

فهذا هو العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - شاهد عيان يروي ماذا فعل القائد المعلم المرئي في ذلك الموقف الحرج قال : شهدت مع رسول الله (ﷺ) يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله (ﷺ) فلم نفارقه ورسول الله (ﷺ) على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله (ﷺ) يركض بغلته قبل الكفار ، قال عباس : وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله (ﷺ) أكفها إرادة ألا تسرع وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله (ﷺ)، فقال رسول الله (ﷺ) أي عباس ناد أصحاب السمرة فقال عباس - وكان رجلا صيتا - فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة ، فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صوتي عَطْفَةُ الْبَقْرِ عَلَى أَوْلَادِهَا. فَقَالُوا يَا لَبَيْكَ يَا لَبَيْكَ^(١).

وعند البخاري (فَأَقْبَلُوا هُنَالِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ) وَهُوَ عَلَى بَعْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وَابْنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَفُودُ بِهِ فَنَزَلَ وَاسْتَنْصَرَ ثُمَّ قَالَ أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^(٢).

- وفي خطبة الوداع ينهي النبي (ﷺ) عن الثأر، تلك العادة الجاهلية القبيحة وعن الربا، ولكنه لم يكتب بالقول، بل أكد موعظته بالفعل، فبدأ في ذلك بأهله وخاصته.. إذ قال النبي (ﷺ) في هذه الخطبة: (أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، ج٥/١٦٦ ح ٤٧١٢.

(٢) صحيح البخاري، باب مَنْ صَفَّ أَصْحَابَهُ عِنْدَ الْهَرَمَةِ وَنَزَلَ عَنْ دَائِبِهِ وَاسْتَنْصَرَ، ج٧/٤٢٩ ح

هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا وإن كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين، ودماء الجاهلية موضوعة، وأول دم أضعه دم ربيعة بن الحارث _ كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل _ وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضعه ربانا، ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله^(١).

- ومن أبرز الأمثلة في السيرة النبوية الشريفة أيضاً على كونه (ﷺ) كان كثيراً ما يؤثر الفعل على القول ليقنتدي الناس به، موقفه في بناء المسجد، حيث كان يشارك الصحابة في الحفر ونقل التراب، ورفع البناء، وكانوا يرتجزون أثناء عملهم بقولهم:

لئن قعدنا والرسول يعملُ لذاك منا العمل المضلل^(٢)

- وكذلك موقفه في حفر الخندق حول المدينة، عندما سمع بقدوم الأحزاب لاستئصال شأفة المسلمين في المدينة، وكان له قسم مثلهم يياشر الحفر معهم بيده، ويحمل التراب على كتفه، وإذا استعصت عليهم مشكلة سارعوا إليه (ﷺ) يلتمسون منه حلاً لها بمعوله، فكان هذا كله دافعاً للصحابة على العمل، ومقويًا لهممهم وعزائمهم، فلم يكسلوا أو يتوانوا، حيث يرون قائدهم ورسولهم معهم في خندق واحد، يعمل كما يعملون، ويأكل مما يأكلون، ويشرب مما يشربون، وينام على مثل ما ينامون، وما زادهم ذلك إلا إيماناً وتسليماً^(٣).

(١) سنن ابن ماجه، باب حجة رسول الله (ﷺ)، ج٢/٢٢٠٢ ح ٣٠٧٤ - صحيح ابن خزيمة، باب صفة الخطبة يوم عرفة، ج٤/٢٥١ ح ٢٨٠٩، هذا لفظ ابن ماجه، وله شاهد آخر مثل سياق المؤلف عن عمرو بن الأحوص عند أبي داود [٣٣٣٤]، والترمذى [٣٠٧٨]، والبيهقي [١٠٢٤٥]، أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب ١٩: حجة النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ٢٩٥٠ [١٤٧] ١٢١٨.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، ج١/٤٩٦.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام، المجلد الثاني ص ٣٠٨ وما بعدها - تاريخ الطبري، ج٢/٦٢٠ - السيرة النبوية لابن كثير، ج٣/٣١٢ - سبل الهدى والرشاد، ج٥/٥٥ - الرحيق المختوم، ص ٤٠٢.

ولما وجد النبي (ﷺ) أن الفوارق الطبقية بسبب الأحساب والأنساب من العادات الجاهلية التي مازالت موروثه وباقية في الأمة الإسلامية، وأن الموالي - وهم الذين جرى عليهم الرق ثم تحرروا - ينظر إليهم على أنهم طبقة أدنى من طبقة السادة... وكان من عادات الجاهلية أنهم لا يزوجون إلا الأكفاء من بني العم أو غيرهم ، وهذا الأمر خطير للغاية على البنية الاجتماعية لأنه يقلل الزواج في المجتمع فيكثر بذلك الفساد ، كما أنه يخلق نوعاً من الفرقة من خلال التمايز بين أفراد الأمة الواحدة ، لما وجد النبي (ﷺ) أراد (ﷺ) أن يحطم تلك الفوارق وينهي تلك النظرة ، ويهدم كل أنواع التمييز العنصري، ويؤكد على أنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، ولا لأبيض على أسود إلا بمقدار القرب من الله سبحانه وتعالى بالإيمان الصادق والعمل الصالح والخلق الفاضل والسلوك المستقيم ، وعلى أن الناس سواسية كأسنان المشط ، فماذا فعل النبي (ﷺ) ؟ هل اكتفى بالوعظ والكلام؟ كلا.. لقد بدأ النبي (ﷺ) بنفسه وأهله، فقد كان زيد بن حارثة من الموالي فرأى النبي (ﷺ) أن يزوج زيد المولى من زينب بنت جحش الحسيبة النسيبة، وزوج ضباعة ابنة عمه الزبير بن عبد المطلب، الحسيبة النسيبة، من المقداد بن الأسود، وهو من الموالي ليعلم الناس أن المسلم كفاء للمسلمة بصرف النظر عن الاختلافات العرقية والطبقية فلا تفاضل إلا بالتقوى، وليبطل تلك الفوارق الطبقية المزعومة إبطاءً عملياً بادئاً بنفسه وأسرته^(١).

ومن ذلك مشاركته في غالب المعارك التي أمر صحابته بالخروج إليها، ومن ذلك قيامه الليل حتى تورمت قدماه، وصيامه المتتالي طوال حياته، وإنفاقه الذي فاق كل تصور في الكرم والجود، وتواضعه مع الكبير والصغير والقريب والبعيد، ورحمته ولينه مع أصحابه الذين آزره ونصروه، مطبقاً بذلك ما كان يدعو الناس إليه من حسن العبادة ونبيل الخلق،

(١) انظر تفسير القرطبي ص ١٨٧، ج ١ - و التفسير المنير د. وهبة الزحيلي ص ٣٤/ج ٢.

ولين الجانب، فلم تكن دعوته أبداً أقوالاً مرسلة، وكلمات ومواعظ لا محل لها من واقعه وعمله، بل كانت أعماله مطابقة لأقواله، بل وسابقة لها. لكل ذلك تسابق الصابة إلى الدخول إلى ما يدعو إليه، ثم سارعوا إلى تنفيذ وتطبيق كل نصوص دينه - كتاباً وسنةً - واقعاً ملموساً، فكان ذلك التطبيق سبباً رئيساً لانتشار الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، ذلك أنهم لما ترجموا نصوص الوحي المبارك إلى واقع عملي ملموس رآه الناس فانبهروا بصدقهم وأمانتهم وتواضعهم وحسن تأخيهم وزهدهم في الدنيا وتفانيهم في خدمة الناس والعمل من أجل الآخرة، فدخل الناس في دين الله أفواجا.

المبحث الثالث

نماذج من التطبيقات العملية للأقوال عند الصحابة وأعلام السلف

واقْتِدَاءً من الصحابة برسول الله (ﷺ) حرص الصحابة والتابعون وصالحو هذه الأمة على مطابقة الفعل للقول، وأدركوا تمامًا أهمية أن يكون الداعية فعالاً لما أمر الناس بفعله، منتهياً عما أمر الناس بالانتهاء عنه، فهذا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان إذا نهي الناس عن شيء، ليس فقط يكون أول من ينتهي عنه، بل إنه يأمر أهله أيضاً أن يكونوا من أول الناس انتهاءً عما نهي عنه، وفعلاً لما أمر به.

فكان (رضوان الله عليه) إذا نهي عن شيء دخل من حينه إلى أهله فقال: إني نهيته عن كذا وكذا والناس إنما ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم فإن وقعتم وقعوا وإن هبتم هابوا وإني والله لا أوتى برجل منكم وقع في شيء مما نهيته عنه الناس إلا أضعفت له العقوبة لمكانه مني فمن شاء فليتقدم ومن شاء فليتأخر^(١).

ولما دعا عمر الناس عام المجاعة إلى التقشف والاقتصاد في المأكل، لم يكتف بأقواله تلك في حمل على ما أراد، بل جاءت أفعاله مطابقة لأقواله، وشارك الناس شدتهم، فحرم على نفسه اللحم والسمن حتى يأكله الناس وما يأتيه طعام إلا ويأمر أن يحمل إلى الناس، وشارك عمر الناس أمرهم حتى قالوا: لَوْ لَمْ يَرْفَعِ اللَّهُ الْمَحَلَّ عَامَ الرَّمَادَةِ لَطَنَّاءُ أَنَّ عُمَرَ يَمُوتُ هَمًّا بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ^(٢)، وعن أنس بن مالك قال: تَفَرَّقَ بَطْنُ عُمَرَ قَالَ: وَكَانَ يَأْكُلُ الزَّيْتِ عَامَ الرَّمَادَةِ وَكَانَ قَدْ حَرَّمَ عَلَيْهَا السَّمْنَ، قَالَ: فَفَنَقَرَ بَطْنُهُ بِإِصْبَعِهِ وَقَالَ: تُفَرِّقُ أَوْ لَا تُفَرِّقُ، ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس^(٣).

(١) مصنف عبد الرزاق، ج ١١/٢٤٣ ح ٢٠٧١٣.

(٢) طبقات ابن سعد، ج ٣/٢٣٩ - كنز العمال (٣٥٨٩٠) - تاريخ دمشق، ج ٤٤/٣٤

(٣) كنز العمال (٣٥٨٩٠) - الزهد لأحمد بن حنبل، ص ٦٠٨/٩٦

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): " إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَحْسَنُوا الْقَوْلَ كُلُّهُمْ، فَمَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ فِعْلَهُ فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ حَظَّهُ، وَمَنْ خَالَفَ قَوْلُهُ فِعْلَهُ فَأَيُّهَا يُؤَيِّخُ نَفْسَهُ (١).
وقال علي (رضي الله عنه): قصم ظهري رجلا ن عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه والله أعلم (٢).

وكان عتبة بن أبي سفيان يقول لمؤدب ولده: ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك؛ فإن عيونهم معقودة بك؛ فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت، وعلمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم رؤهم من الشعر أعفقه، ومن الحديث أشرفه، ولا تُخرجهم من علم إلى غيره حتى يُحكّموه؛ فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم (٣).

ويحدثنا عبد الواحد بن زيد عن أهم أسباب النجاح في مسيرة الحسن البصري الدعوية فيقول: ما بلغ الحسن البصري إلى ما بلغ إلا لكونه إذا أمر الناس بشيء يكون أسبق الناس إليه وإذا نهاهم عن شيء يكون أبعد الناس منه، هكذا كان الحسن البصري.. وهكذا عرفه من حوله، قدوة للناس بالفعل قبل القول، وقال خالد بن صفوان، قال: لقيت مسلمة بن عبد الملك فقال: يا خالد، أخبرني عن حسن أهل البصرة؟ قلت: أصلحك الله، أخبرك عنه بعلم، أنا جاره إلى جنبه، وجليسه في مجلسه، وأعلم من قبلي به: أشبه الناس سريرة بعلانية، وأشبهه قولا بفعل، إن قعد على أمر قام به، وإن قام على أمر قعد عليه، وإن أمر بأمر كان أعمل الناس به، وإن نهي عن شيء كان أترك الناس له، رأيته مستغنيا

(١) الزهد والرفائق لابن المبارك، ص ٢٥ ح ٧٥ - الزهد لأبي داود، ص ١٧٤ ح ١٧٩.

(٢) ينظر: فيض القدير، ج ٦/٤٠٤ - تفسير الرازي، ج ٣/٤٨٨ - البحر المحيط لأبي حيان، ج ١/٢٩٧.

(٣) العيال لابن أبي الدنيا، ص ٥١٧ - العقد الفريد، ج ٢/٢٧٢.

عن الناس، ورأيت الناس محتاجين إليه، قال: حسبك، كيف يضل قوم هذا فيهم^(١)، وقال إبراهيم النخعي: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمتة وإلى صلاته وإلى حاله ثم يأخذون عنه^(٢).

ويخرج بنا مالك بن دينار من هذه المشاهدة الفردية إلى القانون العام لهذه الظاهرة فيقول: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما تزل القطرة عن الصفا^(٣)، وقال الشافعي: "من وعظ أخاه بفعله كان هاديا^(٤)، وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه^(٥)، وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يُقْبَلَ مِنْكَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ فَإِذَا أَمَرْتَ بِشَيْءٍ فَكُنْ أَوَّلَ الْفَاعِلِينَ لَهُ الْمُؤْتَمِرِينَ بِهِ، وَإِذَا نَهَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَكُنْ أَوَّلَ الْمُنتَهِينَ عَنْهُ^(٦).

يقول الشاطبي: إذا وقع القول بيانا فالفعل شاهد له ومصداق^(٧)، وكان بعض السلف يستحي أن يعظ الناس، ويقول: أخاف من مقت الله^(٨)، أي يخاف ألا تكون فعالة

-
- (١) حلية الأولياء، ج٢/١٤٧ - تاريخ الإسلام للذهبي، ج٧/٥٨ - سير أعلام النبلاء، ج٤/٥٧٦.
- (٢) سنن الدارمي، ج١/٣٩٨ ح ٤٣٥ - حلية الأولياء، ج٤/٢٢٥ - تحاف المهرة، ابن حجر، ج١٨٨/٤٠٣ ح ٢٣٧٨٥٠.
- (٣) شعب الإيمان، ج٣/٢٩٨، ح ١٧٠٠ مختصر شعب الإيمان، القزويني، ص ٤٥ - حلية الأولياء، ج٦/٢٨٨.
- (٤) الطبقات الكبرى، الشعراي، ج١/٤٤.
- (٥) فيض القدير، ج١/٧٨.
- (٦) لوامع الأنوار الإلهية، ج٢/٤٣١.
- (٧) الموافقات، الشاطبي، ج٤/٨٥.
- (٨) تفسير ابن جزري، ص ٣٧٠.

على قدر كلامه ، ألا توافق أفعاله أقواله الموافقة المرجوة فيكون من الذين قال الله فيهم:

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف : ٣]

وما أجهل مقولة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "رحم الله امرأ أمسك فضل القول، وقدم فضل العمل"^(١).

ولإدراك الإمام أحمد بن حنبل لعظيم أثر الفعل في حياة الناس، تحمل ما تحمل الأذى في فتنه خلق القرآن، ولما ذهب إليه أبو جعفر الأنباري وهو في محنته، وأخذ يعينه ويحثه على الثبات لأنه هو رأس الناس، وفعله سيكون مؤثراً، بل فيصلا في قناعات الناس، فرح ابن حنبل كثيرا بكلامه وطلب منه أن يعيد عليه ما قاله، يقول أبو جعفر الأنباري: لَمَّا حُمِلَ أَحْمَدُ إِلَى الْمَأْمُونِ، أُخْبِرْتُ، فَعَبَّرْتُ الْفُرَاتَ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْحَانَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ، تَعَنَيْتَ. فقلت ليس هذا عناء قال فقلت له يا هذا أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك فوالله إن أجبت إلى خلق القرآن ليجين بإجابتك خلق من خلق الله فإن أنت لم تحب ليمتنعن خلق كثير من الناس، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت ولا بد من الموت فاتق الله ولا تجبهم إلى شيء، فجعل أحمد يبكي وهو يقول ما شاء الله ما شاء الله، قال ثم قال لي أحمد يا أبا جعفر أعد علي ما قلت، قال فأعدت عليه، قال فجعل يقول ما شاء الله ما شاء الله^(٢).

وقال ابن الجوزي: "لقيت جماعة من علماء الحديث، يحفظون ويعرفون، ولكنهم كانوا يتساحمون بغيبة يخرجونها مخرج جرح وتعديل، ويأخذون على قراءة الحديث أجرة، ويسرعون بالجواب لئلا ينكسر الجاه إن وقع خطأ. ولقيت عبد الوهاب الأنماط فكان على قانون السلف، لم يسمع في مجلسه غيبة، ولا كان يطلب أجراً على سماع الحديث، وكنت

(١) عيون الأخبار، ابن قتيبة ، ج١/ ٤٥٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء، ج١/ ٢٣ .

أقرأ عليه أحاديث الرقائق فيكي ويتصل بكاؤه. ولقيت الشيخ أبا منصور الجواليقي، فكان كثير الصمت، شديد التحري فيما يقول، متفناً محققاً، وربما سئل عن المسألة الظاهرة التي يبادر بجوابها بعض غلمانه، فيتوقف فيها حتى يتيقن، وكان كثير الصوم والصمت، فانتفعت برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بغيرهما، ففهمت في تلك الحالة أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول"^(١).

ويضيف ابن الجوزي صوراً أخرى لبعض علماء زمانه الذين لم يحظوا من العلم إلا بصورته دون معناه، فكأنه يتحدث عنا من وراء الغيب، إذ يقول: "رأيت أكثر العلماء مشتغلين بصورة العلم دون فهم حقيقته ومقصوده، فالقارئ مشغول بالروايات، عاكف على الشواذ يرى أن المقصود نفس التلاوة، ولا يتلمح عظم المتكلم، ولا زجر القرآن ووعدده، وربما ظن أن حفظ القرآن يدفع عنه، فتراه يترخص في الذنوب، ولو فهم لعلم أن الحجة عليه أقوى ممن لم يقرأ... والمحدث يجمع الطرق، ويحفظ الأساليب ولا يتأمل المنقول، ويرى أنه قد حفظ على الناس الأحاديث، فهو يرجو بذلك السلامة، وربما ترخص في الخطايا ظناً منه أن ما فعل في خدمة الشريعة يدفع عنه.. فالله الله في العمل بالعلم فإنه الأصل الأكبر، والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به، ففاته لذة الدنيا، وخيرات الآخرة، فقدم مفلساً مع قوة الحجة عليه"^(٢).

ويقول ابن القيم: علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا قالت أفعالهم لا تسامعوا

(١) صيد الخاطر، لابن الجوزي، ص ١٣٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٤٩.

منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقًا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع الطرق^(١).

هكذا كان سلف الأمة في الحرص والحث على الفعل قبل القول، وهذا ما يجب ألا يغيب عن ذهن الداعية أو من يرغب أن يكون قدوة، عليه أن يتذكر دائما أن الناس تنظر أفعله وتراقبها، وتعرضها على أقواله، فإن وافقت تأثروا به إيجابا وكان له الأجر، وإلا تأثروا سلبا وكان عليه الوزر.

إن التزام الداعية بالفعل قبل ومع القول ضرورة تربوية، فقد يكون من الميسور صياغة برنامج تربوي أو رسم خطة محكمة لتنمية المواهب والطاقات الإنسانية، وقد يكون في حدود الإمكان إخضاع فئات بشرية لهذه البرامج والخطط الطموحة ولكن ذلك كله سيظل حبرا على ورق ما لم يرافقه سلوك بشري يترجمه إلى واقع معيش ومن هنا كانت الحاجة إلى انتصاب القدوات في المجتمع الإسلامي ماسة، فهي ضرورة تربوية لا يمكن تجاوزها والقفز عليها، ذلك أنه على قدر التزام الموجه بما يدعو إليه يكون تأثيره في قلوب الآخرين وهو ما أرشد إليه ابن عباس رضی الله عنه حين قال : إذا حدث الرجل القوم فإن حديثه يقع من قلوبهم موقعه من قلبه^(٢)، بل إن التأثير يكون أشد إذا ما سلك الداعية سبيل الفعل ، وقدم فعله على قوله... وقد قيل : فعل من حكيم في ألف رجل أنفع من موعظة ألف رجل في رجل^(٣).

(١) الفوائد، لابن القيم، ص ٦١.

(٢) حلية الأولياء، ج ٦٢/٩ - مصنف ابن أبي شيبة، ج ٣٢٨/٥ ح ٢٦٥٧٣.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي، ج ٤٥/٢ - فيض القدير، ج ٧٨/١.

المبحث الرابع

مخاطر مخالفة تطبيقات الداعية لأقواله التي يدعو إليها

مما لا شك فيه أن حرص الداعية على ترجمة أقواله إلى أفعال ملموسة، أمر من الأهمية بمكان ذلك أن الإنسان بفطرته يجب أن يرى أمام ناظره من يجسد له الفضائل واقعا ملموسًا ومن يقدم له الصورة الحية لما يلقي على مسامعه من توجيهات وإرشادات ومثل ونصائح، ومن يترجم له المثل والأخلاقيات من كونها نظرية إلى واقع عملي، فبدون هذا التطبيق العملي تصبح التوجيهات كتابة على ماء، وعبارات تتناقلها ذرات الهواء من هذا إلى هذا، دون أن يكون لها على أرض الواقع العملي وجود.

ولعل هذا هو السر في إنزال المولى عز وجل رسالاته إلى خلقه على رسل من جنس البشر، مترجمين لما تشتمل عليه الرسالات من مثل وقيم وأخلاقيات، حتى يكون ذلك داعيا لهم وحافزا لتنفيذ ما يؤمرون به، ولولا ذلك ما كان للفضائل مثول ووجود على أرض الواقع. إنه لمن الخطأ أن تكون بضاعة الداعية القول أو الكلام فقط، أي الأقوال دون الأفعال، فلا يفعل ما يدعو إليه، والخطأ الأكبر أن يأتي بخلاف ما يدعو إليه، أي يقول الشيء ويفعل عكسه، ويناقض حاله كلامه، وتخالف أفعاله أقواله، فتلك طامة وأي طامة. وقد لام الله على هؤلاء وأمثالهم، الذين خالفت أفعالهم أقوالهم في كتابه الكريم.. من ذلك: - قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣] قال الطبري: يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا صدقوا الله ورسوله، لم تقولون القول الذي لا تصدقونه بالعمل، فأعمالكم مخالفة أقوالكم (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) ، عظم مقتًا عند ربكم قولكم ما لا تفعلون^(١)، وقال الشنقيطي: فِي الْآيَةِ الْأُولَى إِنْكَارٌ عَلَى الَّذِينَ يَقُولُونَ

(١) جامع البيان، ج٢٣/٣٥٠

مَا لَا يَفْعَلُونَ ، وَفِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ بَيَانُ شِدَّةِ غَضَبِ اللَّهِ وَمَقْتِهِ عَلَى مَنْ يَكُونُ كَذَلِكَ^(١)، وقال السعدى : أي: لم تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه، وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون به ومتصفون به .. فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟ أن من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل، ولهذا ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه^(٢). إن هذه الآية الكريمة إذ تلوم على من يخالف أفعاله أقواله ومواعظه، فإنها تخبر وتنبئ بكل وضوح عن خطورة موقف من يفعل ذلك أمام ربه عز وجل فتقول (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) أي من يخالف قوله فعله، هو ممقوت من الله مقتا كبيرا، فهو ليس مقت فحسب، بل مقت كبير.

ولعل تلك العاقبة الوخيمة مردها إلى ما ينطوي عليه هذا الفعل من أمور كلها

خطر:

- الأول: أنّ من يفعل ذلك هو شخص متناقض عنده ازدواجية في شخصيته، شخصية في القول، وأخرى في الفعل، أي هو إنسان غير سوي في شخصيته.
- الثاني: أنه يشكك الناس في صدق ما يدعو إليه، بل ويصدّهم عن سبيل الخير صدا، فهو إلى إضلالهم وضرهم أقرب منه إلى هدايتهم ونفعهم.
- الثالث: تشكيك الناس في وعظ غيره من الدعاة، مهما كان مؤثرا حسنا، إذ كلما سمع أحدهم داعية يقول خيرا، ويعظ برا وهديا، حدثته نفسه، إن هي إلا أقوال،

(١) أضواء البيان، ج ٨/١٠٤

(٢) تفسير السعدى، ص ٨٥٨.

لعله مثله مثل فلان، كلام، بل أفعال، وأقوال لا تتجاوز الحناجر.. وهكذا، فلا تؤثر في الناس موعظة، ولا تجذب أفئدتهم إلى طريق الحق مقولة.

- وقوله عز وجل: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، ففي هذه الآية يلوم الله ويعيب على اليهود، إذ كانوا يأمرون غيرهم بالبر والمعروف، وليس لأنفسهم نصيب من ذلك البر وهذا المعروف، يأمرون الناس ولا يفعلون هم ما يأمرون به، ثم يصف ربنا هذا الفعل بأنه مناف للعقل والمنطق.

ففي الآية إشارة إلى ضرورة القدوة فيمن يتصدى لأمر الناس بالخير، فلا بد أن يكون من أسرعهم إلى فعله، وهذا هو العقل بعينه لذا ختمت الآية بقوله تعالى: (أَفَلَا تَعْقِلُونَ)^(١).

وفي تفسير هذه الآية يقول ابن كثير: يقول تعالى: كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب، وأنتم تأمرون الناس بالبر، وهو جماع الخير- أن تنسوا أنفسكم، فلا تأمروا بما تأمرون الناس به، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب، وتعلمون ما فيه على من قصر في أوامر الله؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم؛ فتنبها من رقدتكم، وتبصروا من

(١) ينظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن، رؤية في تحديد المقاصد والوسائل، د. عويض

بن محود العطوي، ص ١٠.

عمائتكم^(١)، وفي ذلك يقول الرسول الكريم: (مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْحَيْرَ وَيُنْسِي نَفْسَهُ كَمَثَلِ السَّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرَقُ نَفْسَهُ)^(٢).

ويؤكد ابن عاشور عند تفسير هذه الآية، أنها فيها بيان لكَمَالِ خَسَارِهِمْ وَمَبْلَغِ سُوءِ حَالِهِمْ الَّذِي صَارُوا إِلَيْهِ حَتَّى صَارُوا يُقَوْمُونَ بِالْوَعْظِ وَالتَّعْلِيمِ كَمَا يَقُومُ الصَّانِعُ بِصِنَاعَتِهِ وَالتَّاجِرُ بِتِجَارَتِهِ لَا يَقْصِدُونَ إِلَّا إِنْفَاءَ وَظَائِفِهِمُ الدِّينِيَّةَ حَقَّهَا لِيَسْتَحْفُوا بِذَلِكَ مَا يُعَوِّضُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَاتِبَ وَرَوَاتِبَ فَهُمْ لَا يَنْظُرُونَ إِلَى حَالِ أَنْفُسِهِمْ نَجَاهَ تِلْكَ الْأَوَامِرِ الَّتِي يَأْمُرُونَ بِهَا النَّاسَ^(٣).

— ولقد أكد الله تعالى في كتابه الكريم على أهمية العمل وموافقته للقول، وأن القول وحده لا يكفي، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، قال ابن كثير وغيره: يقول تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ)، أي: دعا عباد الله إليه، (وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) أي: وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومُتَعَدِّ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يَأْتَمِرُ بِالْحَيْرِ وَيَتْرِكُ الشَّرَّ، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى، وهو في نفسه مهتد، وهي عامة في جميع الأئمة

(١) تفسير ابن كثير، ج١/٢٤٦.

(٢) ينظر: الأحاد والمثاني، أبو بكر بن أبي عاصم ج٤/٢٩٣ ح٢٣١٤ - المعجم الكبير للطبراني، ج٢/١٦٥ ح١٦٨١ - صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ج٧/١١٣٣، وفي صحيح الترغيب

والترهيب، ج١/٣٠ ح١٣٠.

(٣) التحرير والتنوير، ج١/٤٧٤.

والدعاة إلى الله تعالى ، ورسول الله (ﷺ) أولى الناس بذلك^(١)، قال الزمخشري: وما هم إلا طبقة العالمين العاملين من أهل العدل والتوحيد، الدعاة إلى دين الله^(٢) .

إن كلمة الدعوة هي أحسن كلمة تقال في الأرض، وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء، ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة؛ ومع الاستسلام لله الذي تتوارى معه الذات، فتصبح الدعوة خالصة لله ليس للداعية فيها شأن إلا التبليغ.

وليس أدل على قبح صنيع الداعية حين تخالف أقواله أفعاله من تشبهه في ذلك بالمنافق، الذي يقول شيئا، وتأتي أفعاله مناقضة لأقواله، قال تعالى متحدثا عن المنافقين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ۗ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠]، فهم يقولون بألسنتهم أنهم مؤمنون بالله ورسوله وما أنزل إليه، ثم يريدون أن يتحاكموا إلى غير منهج الله ، مناقضين بذلك أقوالهم، بالإيمان عندهم لا يتجاوز الأقوال ، وقد جاءت أفعالهم لتنبئ عن كذبهم، وعن حقيقة ما في صدورهم. والداعية الذي تخالف أفعاله أقواله- وإن كنا لا ننتهمه بالنفاق- إلا أنه متشبه بأهله، إذ يفعل ما يخالف قوله.. ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [النور: ٤٨].

(١) تفسير ابن كثير، ج٧/١٧٩ - تفسير الثعلبي، ج٨/٢٩٦ - المحرر الوجيز، ج٥/١٥ - الجامع

لأحكام القرآن للقرطبي، ج١٥/٣٦٠.

(٢) الكشف، ج٤/١٩٩.

وإذا كانت موافقة الفعل للقول من أكبر عوامل التأثير في الناس ، ومن أعظم الأدلة على صدق الداعية ، وإيمانه بما يقول ، مما يعنى عظم ثوابه عند الله تعالى فإن مخالفة فعل الداعية لأقواله من عظيم الذنب ، ذلك أن من وعظ الناس ، وأظهر علمه للخلق ، ثم لم يتعظ صار ذلك الوعظ سبباً لرغبة الناس في المعصية؛ لأن الناس يقولون : إنه مع هذا العلم لولا أنه مُطَّلَع على أنه لا أصل لهذه التخوينات، وإلا لما أقدم على المعصية ، وإذا كان الواعظ زاجراً عن المعصية ، ويأتي بفعل يوجب الجزاءة على المعصية ، فكأنه جمع بين المتناقضين (١) .

وعليه فإن من أكبر معاول الهدم على طريق الدعوة مخالفة فعل الداعية لعمله ، فهو باب للتضليل واستسهال الناس للمعصية ، ومخالفة أوامر الدين ونواهيه، فلا غرو أن يطلق عليه ابن الحاج : " السم القاتل " إذ يقول في كتابه المدخل: الْعَالِبُ عَلَى النَّفْسِ الْاِقْتِدَاءُ فِي شَهْوَاهَا وَمَلْدُودَاتِهَا وَعَادَاتِهَا أَكْثَرُ مِمَّا تَقْتَدِي بِهِ فِي التَّعَبُّدِ الَّذِي لَيْسَ لَهَا فِيهِ حِظٌّ فَإِذَا رَأَتْ ذَلِكَ مِنْ عَالِمٍ وَإِنْ أَيْقَنْتْ أَنَّهُ مُحَرَّمٌ أَوْ مَكْرُوهٌ أَوْ بِدْعَةٌ تُعَذَّرُ نَفْسَهَا فِي ارْتِكَائِهَا لِذَلِكَ إِنْ سَلِمَتْ مِنْ سُمْ الْجُهْلِ تَقُولُ: لَعَلَّ عِنْدَ هَذَا الْعَالِمِ الْعِلْمَ بِجَوَازِ ذَلِكَ لَمْ نَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَوْ رَخَّصَ فِيهِ الْعُلَمَاءُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَفْعُ هُمْ، وَهُوَ كَثِيرٌ مُشَاهِدٌ فَإِذَا رَأَتْ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي الْعِلْمِ وَالْحَيْرِ يَرْتَكِبُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَأَقْلُ مَا فِيهِ مِنَ الْقُبْحِ الْاِسْتِصْعَارُ وَالتَّهَاؤُنُ بِمَعَاصِي اللَّهِ -تَعَالَى-، وَهُوَ السُّمُّ الْقَاتِلُ... فَيَكُونُ هَذَا الْعَالِمُ الَّذِي يَتَعَاطَى شَيْئًا مِنَ الْمَكْرُوهَاتِ أَوْ الْبِدَعِ سَبَبًا لِعَطْبِ مَنْ يَرَاهُ مِمَّنْ هُوَ أَقْلُ مِنْهُ رُتْبَةً فِي الدِّينِ لِاِقْتِدَائِهِ بِهِ وَاسْتِسْهَالِهِ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ. (٢)

(١) اللباب لابن عادل الحنبلي، ج ٢٩/٢٠ .

(٢) المدخل، لابن الحاج ، ج ١١٣/١ .

لذلك فقد توعد الله على لسان نبيه (ﷺ) من خالف فعله قوله، بعظيم العقاب وصور موقفه يوم القيامة في صورة مثيرة ورهيبية وخيفة فقال عليه الصلاة والسلام: (يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَفْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ فِي الرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ، مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتَيْتُهُ) (١).

وقال رسول الله (ﷺ): (مَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَلَمْ يَعْمَلْ هُوَ بِهِ لَمْ يَزَلْ فِي ظِلِّ سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَكْفَى أَوْ يَعْمَلَ مَا قَالَ، أَوْ دَعَا إِلَيْهِ) (٢).

وخرج أبو نعيم الحافظ من حديث مالك بن دينارٍ عَنْ ثُمَامَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) (أَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُفْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِضَ مِنْ نَارٍ ، كُلَّمَا فُرِضَتْ عَادَتْ ، قُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟ ، قَالَ : هَؤُلَاءِ خُطْبَاءُ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَثْوُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ وَيَقْرَأُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ) (٣) .

هذه حال من دعا إلى الله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ثم خالف قوله فعله وفعله قوله، نعوذ بالله من ذلك.

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، ج٤/٢١ ح ٣٢٦٧ - صحيح

مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب عُقُوبَةِ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَفْعَلُهُ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ

وَيَفْعَلُهُ، ج٨/٢٢٤ ح ٦٧٤ .

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ، ج٢/٧ من طريق الطبراني، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب

الفتن، باب فيمن يأمر بالمعروف ولا يفعله (٧/٢٧٦): "فيه عبد الله بن خراش وثقه ابن حبان

وقال: يخطئ، وضعفه الجمهور، وبقية رجاله ثقات. والحديث في جزء ٧ ص ٢٧٦

(٣) مسند أحمد، ج٢٠/٢٢٣ - شعب الإيمان، ج٤/٢٤٤ ح ٤٩٦٦ . و أخرجه ابن أبي داود في

المصاحف (١/٤٤٠، رقم ٣٥٨ طبعة وزارة الشؤون الإسلامية بقطر)، والبيهقي في شعب

الإيمان (٢/٢٨٣، رقم ١٧٧٣) وأخرجه أيضاً: أبو نعيم في الحلية (٢/٣٨٦).

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث أعرض سريعاً لأهم النتائج، وأجدر التوصيات:

أولاً: النتائج:

١. لقد استطاع النبي ﷺ أن يجسد المنهج الرباني واقعاً ملموساً، وأن يترجم مثله وأخلاقياته من جانبها النظري إلى واقع عملي مشاهد؛ فجاءت سيرته ﷺ مليئة بالأفعال المطابقة والسابقة للأقوال.

٢. الإسلام دين يعنى بالأفعال والأقوال، ولا يفصل أبداً بين القول والفعل، فلا خير في قول لا يصدقه العمل؛ لعلمه أن الناس تتأثر بالأفعال أكثر من تأثرها بالأقوال؛ ذلك أن مستويات فهم الكلام عند الناس تتفاوت، ولكن الجميع يتساوى أمام الرؤية بالعين المجردة.

٣. تطبيق الداعية لما يلقي على الناس من مواعظ ومثل مكارم أخلاق، هو الذي يعطى أقواله القوة والفاعلية، فلا قيمة للقول إذا لم يقوم بترجمة تطبيقية لما يقول، وتجسيده للقول أفعالاً ملموسة.

٤. الأقوال دون الأفعال في الدعوة منزوعة التأثير، والخطأ الأكبر أن تخالف أفعال الداعية أقواله، أي يقول الشيء ويفعل عكسه، ويناقض حاله كلامه؛ فهذا إفشالٌ للدعوة وإفسادٌ للناس، حيث إن الداعية إذا خالف فعله قوله، كان أداة للهدم والتضليل، أكثر من كونه أداة للبناء والهداية.

٥. الفعل أكثر تأثيراً في المدعويين، وإن تأثير الكلمات سرعان ما يزول إذا لم يدعمه الفعل ويقويه؛ ذلك أن الناس مجبولون على التأثر بالأفعال أكثر من تأثرهم بالأقوال، وهذا ما ينبغي على الدعاة جميعاً العلم به والتركيز عليه.
٦. الداعية الذي يريد النجاح والتوفيق في دعوته، يحرص دائماً على ترجمة التنظير إلى واقع ملموس، فذلك أدعى لقبول دعوته، والتزام الناس بما يدعوهم إليه من مثل، وأخلاقيات، وفضائل.
٧. مثلما كان الصحابة والسلف وأئمة هذه الأمة أنموذجاً عملياً لتطبيق الأقوال وترجمتها عملياً؛ فإن الحاجة اليوم ماسة إلى انتصاب القدوات في المجتمع الإسلامي، والدعاة هم الأجدر على القيام بهذه المهمة.

ثانياً: التوصيات:

- يوصي الباحث الأكاديميين وطلاب الدراسات العليا والباحثين في الدراسات الشرعية، بتتبع ورصد مظاهر وسلوكيات الانفصام بين الأقوال والأفعال في مختلف الميادين الحياتية، وتقديم المعالجات الإيمانية والتربوية لها.
- يوصي الباحث الدعاة والمربين أن يحرصوا كل الحرص على أن يراهم مدعوهم فاعلين مؤثرين بأفعالهم وأعمالهم على أرض الواقع، وذلك بالحضور العملي والفاعل في كل موقع يرى الناس من خلاله جهودهم وأفعالهم.
- يوصي الباحث الدعاة أن يتكروا ويدعوا من أجل خلق ميادين ومجالات لتفعيل أقوالهم على أرض الواقع، ولا يكتفون بالخطب الرنانة والدروس المؤثرة.

- يوصي الباحث الدعاة والمرين تربية الأجيال والنشء لا سيما دارسي العلوم الشرعية الذين يغلب أن يكون عملهم مستقبلا الدعوة إلى الله، على تقديم الأفعال على الأقوال، وان تكون أفعالهم أكثر من أقوالهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا الأمين وعلى آله واصحابه الغر الميامين

فهرس المصادر والمراجع

- إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ-)، ط١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (بالمدينة) - ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية (بالمدينة)، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- الآحاد والمثاني، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ) ط١، دار الراية - الرياض، ١٤١١ - ١٩٩١.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ-)، دار المعرفة - بيروت.
- أساس البلاغة، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـ-)، دار صادر، بيروت، د.ق.ت.
- أسس مناهج البحث العلمي وتحقيق النصوص في العلوم الإسلامية والعربية، علي بن عتيق الحربي، الناشر المتميز للطباعة والنشر-الرياض، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ-)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥ م.
- الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ-)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، طبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

- الأغاني، أبي الفرج الأصفهاني، ط ٢، دار الفكر، بيروت.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن، رؤية في تحديد المقاصد والوسائل، د. عويض بن حمود العطوي، بحث علمي منشور ضمن سلسلة المحتسب للاستشارات (٨)، ١٤٣٢هـ.
- البحث العلمي أساسياته النظرية وممارساته، رجاء وحيد جويدي، دار الفكر، دمشق، ط ١، سنة ٢٠٠٠م.
- البحث العلمي الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، محمد شفيق، المكتبة الجامعية - مصر، ٢٠٠١م.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، دار الفكر - بيروت؟
- تاج العروس، محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي، دار الفكر للطباعة والنشر.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ط ٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- تاريخ الطبري، أبو جعفر بن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ)، ط ٤، دار المعارف، القاهرة.
- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، ط ١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، ط ١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ١٤١٦هـ.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت ٧٧٤هـ)، ط ٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م. - التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ط ٤، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ت ١٣٧٦هـ)، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (ت ٣١٠هـ) ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

- جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ—)، ط ١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (ت ٦٧١هـ—)، ط ٢، دار الكتب المصرية، ١٩٣٨.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ط ٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- الخصائص الكبرى، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ—)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري (ت: ١٤٢٧هـ) ط ١، دار العصماء، دمشق، ١٤٢٧هـ.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـ—)، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- الزهد لأبي داود السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ—)، أبو تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس وقدم له وراجعته: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، ط ١، دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

- الزهد والرفائق لابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المؤزوي (المتوفى: ١٨١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.
- الزهد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- الزهد، عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.
- سبل الهدى والرشاد للإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامي (ت: ٩٤٢هـ)، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، (ت ١٤١٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت ٢٧٣هـ)، دار الفكر - بيروت.
- سنن أبي داود، للحافظ المتقن أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، (ت ٢٧٥هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت.
- سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (٢٥٥هـ)، ط ١، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، طبعة دار الحديث - القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

- السيرة النبوية لابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان.
- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ-)، ط ٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م
- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٠ هـ.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ-)، ط ٢، دار الفيحاء، عمان، ١٤٠٧ هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م.
- صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت.
- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر)، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري (ت ٢٥٦هـ-)، ط ١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
- صحيح الترغيب والترهيب، مد ناصر الدين الألباني، ط ٥، المعارف، الرياض.
- صحيح مسلم (الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم)، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت ٢٦١هـ)، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة - بيروت.

- صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)،
بعناية: حسن المساحي سويدان، دار القلم: دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ -
٢٠٠٤م.
- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري،
البغدادى المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت،
١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م؟
- الطبقات الكبرى = لوائح الأنوار في طبقات الأخيار، عبد الوهاب بن أحمد بن علي
الحنفي، نسبه إلى محمد ابن الحنفية، الشَّعْرَانِي، أبو محمد (المتوفى: ٩٧٣هـ).
- العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير
بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، ط ١، دار الكتب العلمية
- بيروت، ١٤٠٤ هـ.
- العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ومعالم منهجه الأصولي، د. عبد الرحمن السديس،
مجلة البحوث الإسلامية، العدد الثامن والخمسون.
- العيال، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي
القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، ط ١، دار ابن القيم، السعودية،
١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.
- عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، دار
الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٨ هـ.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ)، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.
- الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، ط ٢، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، ط ١، المكتبة التجارية الكبرى - مصر.
- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الجيل، بيروت، د.ق.ت.
- الكشاف، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، (ت ٥٣٨هـ)، دار إحياء التراث العربي-بيروت.
- الكشف والبيان، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت - لبنان - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، الطبعة: الأولى.
- كنز العمال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، (٩٧٥هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩م.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، (ت ٨٨٠ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، ط ٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ..

- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلافي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، ط ١، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضوية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، ط ٢، مؤسسة الخافقين ومكبتها - دمشق، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- مباحث في الدعوة ومناهجها وأساليبها ووسائلها وبعض رجالها، د. عبد الخالق إبراهيم إسماعيل، مؤسسة النجوم الهاشمية، الزقازيق، ط الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ع ٩٩٤م.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٣٩٩هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، ط ١، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م؟
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط ١٤١٥ - ١٩٩٥، تحقيق: محمود خاطر.

- مختصر شعب الإيمان للبيهقي، المؤلف: عمر بن عبد الرحمن القزويني أبو المعالي، ط ٢، دار ابن كثير - دمشق، ١٤٠٥.
- المدخل إلى علم الدعوة، د / محمد أبو الفتح البيانوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثالثة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- المدخل، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدي الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، (ت: ٧٣٧هـ) دار الفكر، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، د. ق. ت.
- المصنف، أبو بكر عبد الرازق بن همام الصنعاني، (ت ٢١١هـ)، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣.
- المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ - ١٩٨٣
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط ٣، د. ط. د. ت.
- معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: ٣٥٠هـ)، دكتور أحمد مختار عمر، طبعة: مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، ٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، (ت ٣٩٥هـ)، دار الجليل، بيروت، ١٩٧٢.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاي.
- مناهج البحث العلمي في الإسلام، د / غازي حسين عناية، ص ٨١ دار الجليل، بيروت، ط الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- مناهج البحث العلمي، د / عبد الرحمن بدوي، دار النهضة المصرية، القاهرة، د. ق ١٩٦٣م.
- مناهج التحليل اللغوي، عبد الخالق رشيد، جامعة وهران - الجزائر، (د.ت).
- المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، ط ١، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- وحي القلم، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦).

البحث رقم (٦)

حديث عمرو بن عبسة - رضي الله عنه -
"كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة"
(دراسة دعوية)

إعداد:

د. عبد المجيد بن حسن بن مهدي بَّحاري
أستاذ مساعد في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

المستخلص

يهدف البحث إلى بيان الدروس الدعوية المتعلقة بكل من؛ الداعي والمدعو وموضوع الدعوة وأساليبها من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه "كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة". واستخدم الباحث المنهج الوصفي الاستنباطي، وتكون البحث من مقدمة، وأربعة مباحث وخاتمة. وتوصل البحث إلى عدد من النتائج؛ أبرزها: أن من الدروس الدعوية المتعلقة بالداعي في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه: العلم بأحوال المدعويين، والصبر والتفاؤل وحسن الظن بالله، واتخاذ المساعد في الدعوة، والبدء بدعوة الأقربين، وتعليم المدعو القدر الذي يستطيع حفظه وفهمه. ومن الدروس الدعوية المتعلقة بالمدعو: الاستعداد الفطري، والسعي في طلب الحق والهداية، والحرص والتزود في طلب العلم منه، والتأدب في طلب العلم، والدعوة إلى الله بعد العلم. ومن الدروس الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة: الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك، وإثبات النبوة، والنهي عن الصلاة في أوقات معلومة، وحماية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وحفظه له، والإخلاص لله والثناء عليه وتمجيده. ومن الدروس الدعوية المتعلقة بجانب الشريعة: الدعوة إلى الصلاة والوضوء والنوافل، والخشوع في الصلاة، وصلة الأرحام، والعدل، الصدق والأمانة. ومن الدروس الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة: أسلوب حسن التعليل، وذكر الخاص بعد العام، والتشبيه، والقصر والاختصاص، والترغيب، والحوار، والمقارنة، والقصة، والتقديم والتأخير، والاستفهام، والاستعارة والكناية.

الكلمات المفتاحية: (عمرو بن عبسة- الدروس الدعوية- الداعي- المدعو- موضوع الدعوة- أسلوب الدعوة)

The hadith of Amr bin Absa, -may Allah be pleased with him-, "I used to think that people were upon misguidance during Jahiliyyah. "
A study of Da'awh (Islamic Calling).

ABSTRACT

The research aims to clarify the lessons of Da'awah (Islamic Calling), related to the caller and the person being called, and the subject of the calling and its methods, from the hadith of Amr bin Absa, may Allah be pleased with him "I used to think that people were in error during the Jahiliyyah. " The research used the deductive descriptive method, and the research consisted of an introduction, four topics and a conclusion. The research reached a number of results. The most prominent of which is that among the da'awah lessons related to the caller in the hadith of Amr bin Absa: Knowledge of the conditions of the people being called, patience, optimism, good faith in Allah, having an assistant in Da'awa, starting by inviting the relatives, and teaching the invitee the portion he can easily memorize and understand. Among the lessons of Da'awah related to the invitee: innate readiness, striving in seeking truth and guidance, diligence and equipping oneself in seeking knowledge from him, politeness in seeking knowledge, and calling to Allah after knowledge attainment. Among the Da'awah lessons related to the subject of the call: Calling to monotheism and rejection of polytheism, establishing proof of prophethood, prohibition of praying at known times, Allah's protection and preservation of His Prophet, sincerity with Allah, praising and glorifying Him, and among the Da'awah lessons related to the aspect of Sharia: Calling to prayer, ablution, supererogatory prayers, and reverence in prayer, maintaining kinship ties, justice, sincerity of speech and caution against lying, and among the da'awah lessons related to the methods of da'awah: Methods of good reasoning, mentioning the special after the general, analogy, shortening and specialization, encouragement, dialogue, comparison, explanation, increasing statement, appeal, story, submission and delay, interrogative, metaphor, euphemism, metaphor, and narration

Keywords: (Amr bin Absa - Da'awah Lessons - the caller - the invitee - the subject of the calling - method of the calling)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد...

فإن الدعوة إلى الله هي وظيفة ومهمة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وهم صفوة خلق الله وأفضل الناس وأكملهم، وارتباط الدعوة بهم لها دلالة واضحة على شرفها وفضلها، وقبل ذلك فالدعوة تنسب إلى الله سبحانه ويكفي بذلك شرف ومكانة.

والدعوة إلى الله مصدرها الوحي المنزل من عند الله (كتاب الله وسنة رسوله ﷺ) فهذان المصدران هما أساس كل العلوم، والسنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر الدعوة، وقد أوتي النبي ﷺ جوامع الكلم، فكان أعظم الناس فصاحة وبياناً ولغةً وأسلوباً وأخلاقاً، ومن خلال دعوته وحواراته مع المدعويين استنبط العلماء أساليب الدعوة وموضوعها وأخلاق الدعاة، واستفادوا من ذلك عبر الأزمنة والعصور، فهو القدوة والأسوة صلوات الله وسلامه عليه، الذي أمرنا الله بالافتداء به والتأسي بسنته، كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الأحزاب: ٢١، ولقد كان للنبي ﷺ حوارات مع المدعويين كثيرة لخصت لنا جمال الأسلوب، وفن العبارة، وروعة الصياغة. ومن هذه المواقف الدعوية قصة الصحابي الجليل عمرو بن عبسة ؓ حينما قدم على النبي ﷺ يريد الإسلام، ونظراً إلى أن الموضوع لم يبحث فيه في الجانب الدعوي مع أهميته، رأى الباحث أن يدرس هذا الحديث، ويستنبط هذه القصة الدروس الدعوية المتعلقة بالداعي والمدعو وموضوع الدعوة وأساليبها، راجياً من الله تعالى العون والسداد والهدى والرشاد، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به الكاتب والقارئ، إنه أكرم مسؤول سبحانه وتعالى، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث في النقاط الآتية:

علاقة هذه الدراسة بالمصدر الثاني من مصادر التشريع، وهي سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

تضمن الحديث الكثير من الدروس والعبر، التي يستفيد منها الدعاة إلى الله في طريق دعوتهم؛ ليتحقق بذلك كمال الاقتداء بالنبي ﷺ.

اشتمل الحديث على جملة من الدروس الدعوية، المتعلقة بالداعية والمدعو وموضوع الدعوة والوسائل والأساليب.

كما أن هذه الدراسة تفيد المدعويين في الحرص على طلب العلم والتأدب فيه، والسعي في طلب الحق والهداية.

أسئلة البحث:

انطلاقاً من أهمية هذا البحث، فإن الباحث يسعى إلى الإجابة عن سؤال البحث الرئيس وهو: ما الدروس الدعوية في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه "كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة"؟

يتفرع عن السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:

ما الدروس الدعوية المتعلقة بالداعي في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه؟

ما الدروس الدعوية المتعلقة بالمدعو في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه؟

ما الدروس الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه؟

ما الدروس الدعوية المتعلقة بالأساليب الدعوية في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

- بيان الدروس الدعوية المتعلقة بالداعي في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه.
- الوقوف على الدروس الدعوية المتعلقة بالمدعو في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه.
- ذكر الدروس الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه.
- الكشف عن الدروس الدعوية المتعلقة بالأساليب الدعوية في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

الدراسات السابقة:

هناك دراسة واحدة، وقف عليها الباحث، وهي بعنوان: "المسائل العقدية المتعلقة بحديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه دراسة عقدية، للباحث/ فهد بن محمد الساعدي، منشور في مجلة كلية دار العلوم، بجامعة القاهرة، مصر، ع ١١٠، عام ١٤٣٩ هـ،

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي الاستنباطي، والذي يعرف بأنه: "استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن، وقوة القرينة"^(١)، واستخدم طريقة التوثيق في الحاشية وذلك بذكر اسم الكتاب واسم مؤلفه، وعند تخريج الأحاديث؛ فإذا كان الحديث مخرجاً في الصحيحين أو أحدهما يكتفي بعزوه إليهما، وأما إذا كان في غيرهما؛ فيذكر مختصر الحكم عليه صحةً أو ضعفاً.

تقسيمات البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وأربعة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:

مقدمة.

(١) التعريفات للجرجاني، ص: (٢٢).

التمهيد وفيه: نص الحديث وبيان الكلمات الغريبة وترجمة عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

المبحث الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بالداعي في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

المبحث الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بالمدعو في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

المبحث الثالث: الدروس الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة في حديث عمرو بن

عبسة رضي الله عنه.

المبحث الرابع: الدروس الدعوية المتعلقة بالوسائل والأساليب الدعوية في حديث

عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

خاتمة.

قائمة المراجع.

التمهيد

أولاً: نص حديث عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه:

قال عمرو بن عبسة السلمي: "كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يُخبر أخباراً، فقعدتُ على راحلتي، فقدمتُ عليه، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مُسْتَخْفِيًا، جُرءًا عليه قومه، فتَلَطَّفْتُ حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: «أنا نبيٌّ» قلت: وما نبيٌّ؟ قال: «أرسلني الله» قلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يُوحِّد الله لا يُشرك به شيءٌ»، قلت: فمن معك على هذا؟ قال: «خُرٌّ وَعَبْدٌ»، ومعه يومئذ أبو بكر وبلال -رضي الله عنهم- قلت: إني مُتَّبِعُكَ، قال: «إنك لن تستطيع ذلك يَوْمَكَ هذا، ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلِكَ، فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني». قال: فذهبت إلى أهلي، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة حتى قدم نَفَرٌ من أهلي المدينة، فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قَدِمَ المدينة؟ فقالوا: الناس إليه سِرَاعٌ، وقد أراد قومه قتله، فلم يستطيعوا ذلك، فقدمت المدينة، فدخلت عليه، فقلت: يا رسول الله أتعرِّفني؟ قال: «نعم، أنت الذي لَقَيْتَنِي بمكة» قال: فقلت: يا رسول الله، أخبرني عما عَلَّمَكَ اللهُ وأَجْهَلُهُ، أخبرني عن الصلاة؟ قال: «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثم اقْضُ عن الصلاة حتى ترتفع الشمس قيدَ رمح، فإنها تَطْلُعُ حين تَطْلُعُ بين قرني شيطان، وحينئذ يسجدُ لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودةٌ محضورةٌ حتى يَسْتَقِلَّ الظُّلُّ بِالرُّمْحِ، ثم اقْضُ عن الصلاة، فإنه حينئذ تُسَجَّرُ جهنم، فإذا أقبل الفياء فصلَّ، فإن الصلاة مشهودةٌ محضورةٌ حتى تُصلي العصر، ثم اقْضُ عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تَعْرُبُ بين قرني شيطان، وحينئذ يسجدُ لها الكفار» قال: فقلت: يا نبي الله، فالوضوء حدثني عنه؟ فقال: «ما منكم رجلٌ يُقْرَبُ وضوءه، فيتضمن وضوءه، ويستنشق فيستنشق، إلا حَرَّتْ خطايا وجهه من

أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين، إلا خَرَّت خطايا يديه من أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه، إلا خَرَّت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين، إلا خَرَّت خطايا رجله من أنامله مع الماء، فإن هو قام فصلى، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه ومجَّده بالذي هو له أهل، وفرَّغ قلبه لله تعالى، إلا انصرف من خطيئته كهبيئته يوم ولدته أمه». فحدث عمرو بن عبسة بهذا الحديث أبا أمامة صاحب رسول الله ﷺ فقال له أبو أمامة: يا عمرو بن عبسة، انظر ما تقول! في مقام واحد يُعطى هذا الرجل؟ فقال عمرو: يا أبا أمامة، لقد كَبُرَتْ سِنِّي، ورقَّ عظمي، واقترب أجلي، وما بي حاجة أن أكذب على الله تعالى، ولا على رسول الله ﷺ لو لم أسمع من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً - حتى عدَّ سبع مرات - ما حدَّثت أبداً به، ولكني سمعته أكثر من ذلك" (١).

ثانياً: شرح الكلمات الغريبة:

جُرءاءٌ عليه قومه: من الجرأة، وهي الإقدام على الشيء، أي متسلطين عليه غير هائبين له (٢).

خرت: أي سقطت وذهبت (٣).

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة، رقم الحديث ٨٣٢، (٥٦٩/١)، والإمام أحمد في المسند: رقم الحديث ١٧٠١٩، (٢٣٧/٢٨)، والبيهقي في السنن الكبرى، في كتاب الصلاة، جماع أبواب الساعات التي تكرر فيها صلاة التطوع، باب ذكر الخبر الذي يجمع النهي عن الصلاة في جميع هذه، رقم الحديث ٤٠٧٥، (٦٣٣/٢).

(٢) لسان العرب لابن منظور (٤٤/١)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢٥٣/١).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (٦٤٣/٢)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢١/٢).

الخياشيم: جمع خيشوم، وهو أقصى الأنف، أو رفاق في أصل الأنف بينه وبين الدماغ، أو ما فوق نخزته من القصبه وما تحتها من خشارم رأسه، أو: عروق في باطن الأنف^(١).

بين قرني شيطان: أي ناحيتي رأسه. والمراد التمثيل. معناه: أنه حينئذ يتحرك الشيطان ويتسلط^(٢).

يقرب وضوئه: يحضر الماء الذي يتوضأ به^(٣).

فيثتر: أي يستخرج ما في أنفه بالنفس، أي طرح من أنفه الأذى، والنثرة: طرف الأنف^(٤).

ثالثاً: التعريف بالصحابي: عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه:

هو عمرو بن عبسة ابن عامر بن خالد، أبو نجيح السلمي، نزيل حمص، وأخو أبي ذر لأمه، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مكة، فكان رابع من أسلم، ورجع ثم هاجر فيما بعد إلى المدينة، له عدة أحاديث، وهو من بني سليم، وكان يقال له: ربع الإسلام، لأنه حين أسلم قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: من اتبعك على هذا الأمر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حر وعبد، فالحر: أبو بكر، والعبد: بلال. فكان «عمرو بن عبسة» يقول: لقد رأيتني وإني لربع الإسلام، فلما أسلم عمرو رجع إلى بلاده، أرض بني سليم، فلم يزل هناك حتى مضت بدر وأحد

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (١٩١٢/٥)، ولسان العرب لابن منظور (١٧٨/١٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤٧٥/٢).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١١٥/٦).

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٨٩/٥)، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (١٩١٢/٥).

والخندق، والحديبية وخيبر، ثم قدم على رسول الله ﷺ فلما قبض رسول الله ﷺ سكن الشام بعده، وتوفي بجمص، وكانت وفاته في أواخر خلافة عثمان^(١).

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر (٨ / ٦٩)، والمعارف لابن قتيبة (١ / ٢٩٠)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٧ / ١٢٥)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٥ / ١٢٢).

المبحث الأول

الدروس الدعوية المتعلقة بالداعي

الداعية إلى الله هو المعلم والناصح والواعظ والمرشد والموجه والمربي والمبلغ، وهو طيب القلوب، الحريص على نفع الناس وهدايتهم، الراجي لهم الخير والثواب في الدنيا والآخرة. وفي حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه جملة من الدروس التي يستفيد منها الدعاة إلى الله تعالى، والتي تتجلى في النقاط الآتية:

١- العلم بأحوال المدعويين: وهذا من أهم الأمور التي ينبغي على الداعية إلى الله تعالى أن يفقهها ويعرفها قبل أن يشرع في دعوة الناس؛ فيجب عليه أن يعرف أحوالهم وظروفهم، وما هو الدين الذي هم عليه، وأي شيء يعبدون! حتى يستخدم لهم الوسائل التي تناسبهم في الدعوة إلى الله، فلكل قوم دعوة تناسب حالهم، ولكل صنف من أصناف المدعويين وسيلة توافقهم دون غيرهم.

ويشهد لذلك أنه صلوات الله عليه: حينما أرسل معاذاً إلى اليمن بين له حال القوم الذين سيذهب إليهم؛ أنهم أهل كتاب، ولم يرسله هكذا، فعلم بذلك معاذ أنهم أهل علم بالكتاب؛ "لأنهم كانوا في اليمن أكثر من مشركي العرب أو أغلب، وإنما نبهه على هذا؛ ليتهيأ لمناظرتهم، ويعد الأدلة لإفحامهم؛ لأنهم أهل علم سابق، بخلاف المشركين وعبدة الأوثان"^(١).

ولذلك لما قدم عمرو بن عبسة على رسول الله صلوات الله عليه بين له أنه أرسل بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يؤحد الله.

قال الأبي: (قد صح أن جواباته صلوات الله عليه تكون بحسب السائل، وبحسب الزمان والحال، فتخصيص الرحم بالذكر يحتمل مراعاة حال العرب فيها، أو أن غيرها من الفرائض لم يكن

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (١/١٨١).

فرض^(١)، وهذا يدل على أنه ﷺ كان على علم بحال هذا المدعو، وعلى دراية ومعرفة بما هو عليه وقومه.

قال ابن دقيق العيد: (إجابة عمرو ﷺ إلى الإسلام بسبب ما ذكره النبي ﷺ؛ من الإرسال بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، والتوحيد لله، من باب الاستدلال بالقرائن، من الأفعال والأحوال والأقوال، وهي من الطرق المفيدة للعلم اليقيني، لا سيما مع كثرة القرائن، وطول الأزمنة)^(٢).

٢- حرص الداعية على المدعو وخوفه عليه: حرص الداعية على المدعويين من الأمور التي ينبغي للدعاة إلى الله تعالى العناية بها، لا سيما في زمن الشدة وغلبة أهل الباطل، وضعف الدعوة، وقلة الناصر لها، وقد ظهر ذلك الحرص على المدعويين من سيد الخلق - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- في دعوته، وفي حياته كلها. وقد أثنى الله - سبحانه وتعالى - على حرصه وشفقته بالمدعويين بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة: ١٢٨.

كما يتجلى حرصه ﷺ وشفقته حين طلب منه عمرو بن عبسة ﷺ أن يبقى معه في مكة، فقال له: "إنك لا تستطيع ذلك لضعف شوكة المسلمين، ونخاف عليك من أذى كفار قريش"^(٣)؛ لأنه كان في أول الإسلام، وقبل قوته، وقد ذكر أنه لم يكن معه على الإسلام حينئذ إلا حر وعبد، فخاف عليه لغرته أن تهلكه قريش أو تفتنه^(٤)

(١) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم لمحمد الأمين (١٠/٢٢٦).

(٢) الإمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٤/٤٤٧).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (٦/١١٦).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٣/٢٠٧) ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد علي، (٤/٣٤٢).

٣- الصبر في الدعوة إلى الله: ويشمل جانبين:

الأول: تحمل الأذى في سبيل تبليغ الدين: الداعية إلى الله بحاجة ماسة إلى خلق الصبر؛ في طريق دعوته، وقد أخبرنا الله تعالى عن حال الأنبياء مع قومهم، وما لاقوه من الصدود والتكذيب والعذاب والتنكيل والسب والشتم، وهم الأسوة والقدوة للدعاة. فقال سبحانه وتعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّونٌ﴾ الذاريات: ٥٢.

ويظهر لنا صبر النبي ﷺ في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه من عدة أمور:

١- قوله: "جرءاء عليه قومه"، من الجرأة، وهي الإقدام والتسلط، وقيل: غضاب ذوو غم، عيل صبرهم حتى أثر في أجسامهم^(١).

٢- قوله عليه الصلاة والسلام: "ألا ترى حالي وحال الناس" ويراد به المؤمنون الذين لقوا العذاب والشدة من المشركين^(٢).

الثاني: الصبر في تعليم المدعو: ويظهر ذلك جلياً في تعليمه ﷺ لعمرو بن عبسة رضي الله عنه الصلاة والوضوء، وفي صبره على الأسئلة التي سألتها، وإجابته عليها رضي الله عنه برحابة صدر وسعة علم وتواضع ورفق، فحري بالدعاة إلى الله أن يصبروا على تعليم المدعويين، وأن يترفقوا بهم، ويحلموا عليهم، ولا يكلوا ويملوا؛ فإن التعليم يحتاج إلى صبر ورفق وتواضع.

٤- التفاؤل وحسن الظن بالله: التفاؤل مطلب شرعي وصفة ممدوحة يجبها الله ورسوله ﷺ، وقد حث عليه الإسلام ورغب فيه، وأمر به. فمهما مرت الدعوة إلى الله بظروف صعبة؛ فإن نصر الله قريب.

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١١٥/٦).

(٢) الإمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٤١٥/٤).

فهذا رسولنا ﷺ في شدة الألم والمصاب وشدة جرأة وتسلط قومه عليه، كما وصف عمرو بن عبسة ﷺ ذلك، فيقول له: (فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني)، فهذه الثقة لا تصدر إلا من رجل بلغ غاية التفاؤل وحسن الظن بالله، فحري بالدعاة إلى الله التآسي والافتداء بسيد البشر والداعية الأول ﷺ؛ حيث قال: (وأحب الفأل الصالح)^(١)، وفي ذلك أيضاً: (معجزة للنبي وهي إعلامه بأنه سيظهر، فكان كما أخبر)^(٢).

٥- اتخذ الداعي مساعداً له في دعوته: الدعوة إلى الله بحاجة إلى التعاون والتكاتف والتآزر، والمؤمن قليل بنفسه كثير بإخوانه، ويد الله مع الجماعة^(٣)، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة. فقد كان له مساعدون في إبلاغ هذه الدعوة من الصحابة السابقين الأولين في الإسلام؛ مثل: أبو بكر الصديق وبلال وغيرهم، ولما سأل عمرو بن عبسة النبي ﷺ عن مساعديه في الدعوة بقول: (فمن معك على هذا؟) أجابه بأن معه أبا بكر وبلالاً - رضي الله عنهم -.

فالصحابة رضوان الله عليهم شجروا عن سواعدهم بمجرد إسلامهم وبدأوا بالدعوة إلى الله، وتعاونوا مع النبي ﷺ في تبليغ هذا الدين، ولا شك أن لتعاون الدعاة أثر عظيم في نجاح الدعوة، وبركة كبيرة على الإسلام وأهله.

ولاتخاذ الداعية مساعداً له في دعوته شواهد كثيرة من الكتاب والسنة؛ فمن ذلك: أن موسى - عليه السلام - طلب من ربه أن يرسل معه أخاه هارون مساعداً ومناصرًا له في

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الفأل، رقم الحديث (٥٤٣٢) (١٣٥/٧)، ومسلم في كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، رقم الحديث (٤٢٢١) (٤/١٧٤٦).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد علي (٣٤٢/٤).

(٣) حديث صحيح في أخرجه الترمذي في كتاب أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم الحديث: (٢١٤٣)، (٤/٤٦٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

دعوته، فقال عز وجل: ﴿وَأَخِي هَزْرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ القصص: ٣٤، وأخبر عن عيسى -عليه السلام- بقوله: ﴿يَنَاءُيْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَخَامَتَ طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتَ طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ الصف: ١٤، قال ابن كثير: (أي: معيني في الدعوة إلى الله عز وجل؟ قال الحواريون- وهم أتباع عيسى عليه السلام-: (نحن أنصار الله) أي: نحن أنصارك على ما أرسلت به، وموازوك على ذلك؛ ولهذا بعثهم دعاة إلى الناس في بلاد الشام. وهكذا كان رسول الله ﷺ يقول في أيام الحج: "من يؤويني؟ من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي"^(١) حتى قبض الله -عز وجل- له الأوس والخزرج من أهل المدينة، فبايعوه وآزروه وشارطوه أن يمنعوهم من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه؛ وفوا له بما عاهدوا الله عليه؛ ولهذا سماهم الله ورسوله ﷺ: الأنصار، وصار ذلك علما عليهم، رضي الله عنهم، وأرضاهم)^(٢).

٦- البدء بدعوة الأقربين: على الداعية إلى الله أن يبدأ بدعوة الأقربين، وهذا من أبر البر، وأوجب الواجبات، فهم أحق الناس بدعوته، وهذا هو منهج القرآن حيث أمر الله سبحانه نبيه ﷺ بالبدء بدعوة الأقربين فقال له: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ الشعراء: ٢١٤.

(١) حديث صحيح في أخرجه أحمد: (٣٤٧/٢٢)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٦٣). (١/١٣٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١١٣/٨).

ويستنبط من قوله ﷺ لعمرو بن عبسة: (ارجع إلى قومك)، أولاً: أنه خاف عليه، وثانياً: أراد ﷺ أن يدعو قومه طيلة بقائه بينهم إلى أن يظهر رسول الله، ويعلمهم ما تعلم من أمور الدين.

قال ابن الجوزي: (ثم رجع إلى بلاد قومه بني سليم، فلم يزل مقيماً هنالك حتى مضت بدر وأحد والخندق والحديبية وخيبر، ثم قدم بعد ذلك على النبي ﷺ المدينة ونزلها^(١))، ولذا كان هم الدعوة ملازماً لصحابة رسول الله ﷺ لا يفارقهم أبداً. ويظهر لنا حرص عمرو ﷺ وهمته العالية، واستعداده الفطري في بحثه عن الحقيقة، والاستعداد للتضحية والبذل والعطاء فداءً للإسلام بقوله (فإني متبعك)، ولهذا كان من السابقين الأولين في الإسلام.

٧- تعليم المدعو القدر الذي يستطيع حفظه وفهمه: قدم الصحابي الجليل عمرو بن عبسة ﷺ إلى النبي ﷺ وطلب منه مصاحبته وتعليمه أمور الدين، (وكان من حسن تربيته ﷺ لأصحابه أنه كان يعلمهم من العلم ما يستطيعون حفظه، وقد يسمع الصحابي الحديث الواحد أكثر من مرة حسب الوقائع والأزمان، فبين عليه ﷺ أوقات الصلوات في صورة مبسطة، وبين له الأوقات التي تُهي عن الصلاة فيها وسبب المنع)^(٢).

فينبغي للداعي أن يراعي حال المدعويين أثناء دعوتهم وتعليمهم ما يستطيعون حفظه وفهمه، فيتدرج معهم، ولا يكثر عليهم؛ حتى يعطيهم من العلم ما يفيدهم. فعلى قدر استعدادهم لقبول العلم يكون تعليمهم، فكان النبي ﷺ يخاطب المدعويين على قدر

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر لانن الجوزي (ص ١٠٠) والمعارف لابن قتيبة (١/٢٩٠).

(٢) كنوز رياض الصالحين للعمار (٧/٥٠).

فهمهم، قال علي عليه السلام: (حدثوا الناس، بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله)^(١)، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة)^(٢).

ولذلك كانت إجابات النبي صلى الله عليه وسلم تختلف باختلاف الأشخاص؛ فعندما يسأله الصحابة عن أفضل الأعمال مثلاً؛ فمرة يقول للسائل: "الصلاة لوقتها، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله"^(٣)، ومرة يقول: "إيمان بالله، ثم الجهاد في سبيل الله، ثم حج مبرور"^(٤).

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم، رقم الحديث (١٢٦)، (٣٧/١).

(٢) أخرجه مسلم: باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، رقم الحديث (١٢)، (١١/١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب وسمى النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عملاً، رقم الحديث (٧١١٨)، (١٥٦/٩).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم الحديث (١٤٣)، (٨٨/١).

المبحث الثاني

الدروس الدعوية المتعلقة بالمدعو

المدعو هو محور الدعوة، والمتلقي للرسالة، والسامع للنصيحة، والمستقبل للموعظة. فكل إنسان بلغه خطاب الدعوة - سواءً كان ذلك بالدعوة المباشرة أو عن طريق التلفاز أو المذياع أو خطبة الجمعة أو سماع مواعظ القرآن - فهو مدعو. ولأهمية المدعو أولاه النبي ﷺ العناية الكاملة، وحرص على هدايته، وجاهد من أجل إبلاغه الدعوة رجاء هدايته.

وفي حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه الكثير من الدروس الدعوية المتعلقة بالمدعو يجملها الباحث في الآتي:

١ - الاستعداد الفطري للمدعو: إن الإنسان بطبعه وفطرته محب للخير، مقبلٌ على ما ينفعه من أمور دينه ودنياه، وهناك كثير من المدعوين من يكون على فطرة سليمة، واستعداد لقبول الحق والخير إذا تبين له؛ فالحق والخير موافق للفطرة التي ولد عليها الإنسان؛ قال ابن القيم: (وهو سبحانه خلق عباده على الفطرة، وكل مولود فإنما يولد على الفطرة التي فطر الخلائق عليها، ولكن الآباء والكافلين للمولودين يخرجونهم من سنن الفطرة، ويعدلون بهم عنها، ولو تركوهم لما اختاروا عليها غيرها، ولكن أخرجوهم عن سنن الحنيفية وأفسدوا فطرتهم وقلوبهم، وهكذا بالأضداد والأغيار يخرج بعض المخلوقات عن سنن الإتيان والحكمة، ولولا تلك الأضداد والأغيار لكانت في مرتبتها كالمولود في فطرته)^(١).

وقال في موضع آخر: (وإنما بعثت الرسل بتكميل هذه الفطرة، وإعادة ما فسد منها إلى الحالة الأولى التي فطرت عليها، وإنما دعوا إلى القيام بحقوقها ومراعاتها؛ لئلا تفسد

(١) طريق المحترتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزية (ص: ١٤٣).

وتنتقل عما خلقت له... وهل الأوامر والنواهي إلا خدم وتوابع ومكملات ومصالحات لهذه الفطرة؟^(١)

ويتجلى لنا الاستعداد الفطري لعمرو بن عبسة رضي الله عنه بقوله: (رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية، ورأيت أنها آلهة باطلة، يعبدون الحجاره والحجاره لا تضر ولا تنفع، قال: فلقيت رجلاً من أهل الكتاب، فسألته عن أفضل الدين؟ فقال: يخرج رجل من مكة، ويرغب عن آلهة قومه، ويدعو إلى غيرها، وهو يأتي بأفضل الدين، فإذا سمعت به فاتبعه^(٢).)
قال ابن دقيق العيد: (إن الدليل الذي استدل به من أنها لا تضر ولا تنفع، دليل قاطع على بطلان إلهيتها وعبادتها)^(٣).

وقال ابن الجوزي: (هذا أمر يدرك ببداية العقول، وهو أن عبادة حجر لا يضر ولا ينفع، لا معنى له، ثم ذل من يعقل لمن لا يعقل، وخدمة من يفهم لمن لا يفهم^(٤).)
فالواجب على الدعاة إلى الله أن يستثمروا الجانب الفطري عند المدعوين، ويجاولوا الوصول إليه بالوسائل والأساليب المناسبة، فإن الناس متهيئون للإيمان، ولكن ينقصهم من يكشف لهم عن أماكنه^(٥)

٢- السعي في طلب الحق والهداية: ينبغي لكل إنسان أكرمه الله بالعقل وميزه به عن سائر المخلوقات أن يبحث عن الحق والهدى، وأن يسعى في طلب ذلك أين ما كان، فهذا

(١) طريق المحرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزية (ص: ٣١٩).

(٢) السيرة الحلبية، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون لابن برهان (١/٢٦٦)، والخصائص الكبرى للسيوطي (١/٤٤).

(٣) الإمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٤/٣٩٩).

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين للجوزي (٤/١٩٦).

(٥) رسائل الراجعي لأبي رية ص: ٩٠.

عمرو بن عبسة رضي الله عنه يذكر لنا قصة البحث عن الحق والهداية بعد أن علم بفساد آلهة قومه فيقول: (فلقيت رجلا من أهل الكتاب فسألته عن أفضل الدين)، فقال: (يخرج رجل من مكة فيرغب عن آلهة قومه، ويدعوهم إلى غيرها، وهو يأتي بأفضل الدين، فإذا سمعت به فاتبعه)، فلم يكن لي همّ إلا مكة آتيها، فأسأل: هل حدث فيها أمر؟ فيقولون: (لا)، فأنصرف إلى أهلي وأهلي من الطريق غير بعيد، فأعترض الركبان خارجين من مكة، فأسألهم: هل حدث فيها خبر أو أمر؟ فيقولون: (لا)، فإني لقاعد على الطريق إذ مرّ بي راكب، فقلت: (من أين جئت؟) قال: (من مكة)، قلت: (هل حدث فيها خبر؟) قال: (نعم)، رجل رغب عن آلهة قومه، ودعا إلى غيرها)، قلت: (صاحبي الذي أريد)، فشددت راحلتي، فحئت منزلي الذي كنت أنزل فيه، فسألته عنه فوجدته مستخفيا بشأنه^(١).

٣- الاستجابة للحق والخير إذا تبين له ذلك: من الواجب على المدعو أن يستجيب للخير والحق والهدى إذا تبين له ذلك، امثالاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ وَءَلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ الأنفال: ٢٤، فهذا الصحابي الجليل عمرو بن عبسة رضي الله عنه، بمجرد أن تبين له الحق، وعلم صدق النبي صلى الله عليه وسلم، وصدق ما يدعو إليه، قال له: ما أرسلك به أشهدك أنني آمنت بك، وصدقت أفأمكث معك أم ماذا ترى؟^(٢)

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/ ٥٤٧)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٣/ ١١٩٣)، ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ٢٥٧)، وإمتاع الأسماع للمقريزي (٤/ ٣٧٨) والخصائص الكبرى للسيوطي (١/ ٤٤)، وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للشامي (١/ ١٢٢).

(٢) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ٢٥٧)، وإمتاع الأسماع للمقريزي (٤/ ٣٧٨) والخصائص الكبرى للسيوطي (١/ ٤٤)، وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للشامي (١/ ١٢٢).

٤- الحرص على طلب العلم والتزود منه: ينبغي على المدعو أن يتعلم العلم الشرعي، وأن يتفقه في دين الله، وأن يسأل أهل العلم والبصيرة، وأن ينهل من معين الكتاب والسنة. فهذا عمرو بن عبسة بعد أن وفقه الله تعالى إلى طريق الهداية؛ جاء يسأل النبي ﷺ عن أمور الشريعة، ويتعلم منه ما يحتاجه من أمور الدين، فقال له: (أخبرني عن الصلاة)، فلما علمه ﷺ الأمور المتعلقة بالصلاة؛ قال له: (يا رسول الله، فالوضوء حدثني عنه)، فعلمه ﷺ كيفية الوضوء وفضله، وكل ما يتعلق به، وهذا يدل دلالة واضحة على حرصه ﷺ على تعلم أمور دينه، وما ينفعه في الدنيا والآخرة.

٥- التأدب في طلب العلم: على المدعو أن يتأدب مع شيخه، ومن يعلمه حتى يحصل على الفائدة المرجوة، فإن الأدب قبل العلم، وعليه أن يحسن في طريقة السؤال. ويتجلى لنا ذلك الأدب من الصحابي الجليل عمرو بن عبسة ﷺ من عدة وجوه:

أولاً: حينما أراد أن يسأل النبي ﷺ فقال له: (يا رسول الله)؛ وهذا فيه قمة الأدب، فقد ناداه برسول الله، ومناداة المعلم بالاسم المحبب له فيه أدب واعتراف بمنزلته ومكانته.

ثانياً: قال له: (عما علمك الله) وهذا فيه اعتراف بفضل المعلم واحترامه وإعطائه المكانة التي يستحقها، وتقدير ما عنده من العلم.

ثالثاً: قوله: (وأجهله) فنسبة الجهل إلى نفسه يظهر فيه التواضع والتأدب والتقدير للمعلم.

٦- وجوب التأكد من شخصية وعلم الداعية قبل أخذ العلم عنه: من الواجب على المدعو أن يتحرى الأخذ عن العلماء الثقات والدعاة الموثوقين والمعروفين بالتأصيل العلمي القائم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفق فهم السلف الصالح، كما كان عليه أن يتأكد من شخصية الداعية قبل أخذ العلم عنه. فهذا عمرو بن عبسة سأل النبي ﷺ قبل أن

يأخذ العلم عنه فقال له: (ما أنت؟) أي ما حالك وشأنك، قال النووي: (لم يقل من أنت؛ لأنه لم يسأله عن ذاته، وإنما سأله عن صفاته، والصفات مما لا يعقل)^(١).
وفي بعض الأصول (من أنت) لأنه سؤال عمن يعقل، قال: (أنا نبي) من أنبياء الله تعالى، قلت له: (وما نبي؟) أي وما معنى قولك (أنا نبي؟) قال: (أرسلني الله) تعالى إلى كافة الخلق، وفي قوله (وما نبي) سؤال عن النبوة، وهي من جنس ما لا يعقل؛ لأنها معنى من المعاني، فقلت له: (وبأي شيء أرسلك؟) قال: (أرسلني بصلة الأرحام)^(٢).
وأيضاً حينما حدث عمرو أبا أمامة - رضي الله عنهم - بهذا الحديث، قال له أبا أمامة مثبثاً منه ومتأكداً (يا عمرو بن عبسة، انظر ما تقول في مقام واحد يعطى هذا الرجل؟).

٧- طاعة المدعو للداعي إذا أرشده إلى ما فيه المصلحة والمنفعة: إن على المدعو أن يستجيب لأمر الداعية إذا أرشده إلى ما فيه المصلحة والمنفعة له، وقد أرشد النبي ﷺ عمرو بن عبسة بعد إسلامه بأن يرجع إلى قومه ويبقى عندهم إلى أن يسمع بظهوره ﷺ، فأجاب لأمر النبي وأطاعه في ذلك، فرجع إلى قومه وأقام عندهم سنين طويلة، إلى أن سمع بظهوره ﷺ، فقدم عليه المدينة، مع أنه كان حريصاً بعد إسلامه على البقاء معه ﷺ، وطلب منه أن يبقى معه، ولكن النبي ﷺ طبق القاعدة الشرعية (درء المفسد مقدم على

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١١٥/٦).

(٢) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم لمحمد الأمين (٢٢٥/١٠)، ودليل الفالحين لطرق رياض

الصالحين لمحمد علي (١٧٦/٣).

جلب المصالح^(١)، وهذا من فقهه صلوات الله وسلامه عليه، فإذا كان بقاؤه في ظاهره مصلحة؛ فإنه قد يترتب عليه مفسدة أعظم؛ من الإيذاء والتعذيب، وقد يصل إلى إزهاق النفس، وقد حرصت الشريعة على حفظ الضروريات الخمس، ولهذا شواهد كثيرة في السنة النبوية؛ فلما اشتد البأس والإيذاء للصحابة في مكة أمرهم النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة مرتين، ثم أمرهم بالهجرة إلى المدينة. فينبغي للدعاة إلى الله أن يكونوا شديدي الحرص في النظر في عواقب الأمور، وما يترتب عليها من المصالح والمفاسد، وأن يفقهوا واقع مجتمعاتهم، ولا يأمرؤا وينهؤا إلا بناءً على ما تقتضيه المصلحة والمفسدة.

٨- الدعوة إلى الله بعد تعلم العلم: إن من أوجب الواجبات على المدعو أن ينشر العلم الشرعي، وأن يدعو إلى الله بعد أن وفقه الله إلى الخير والهدى، وهكذا ينتشر العلم ويقل الجهل، فزكاة العلم تعليمه، فبعد أن كان مدعواً يصبح داعياً، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ التوبة: ١٢٢، ففي هذا الآية بيان لفضيلة العلم والفقه في الدين، وأن من تعلم علماً؛ عليه نشره في الناس، ونصيحتهم فيه؛ فإن انتشار العلم عن العالم من بركته وأجره^(٢).

(١) قال تقي الدين الحصني: الضرب الثالث: أن يكون الفعل مشتملاً على مصالح ومفاسد، فإن أمكن تحصيل المصالح ودرء المفاسد فعلنا ذلك، وإن لم يمكن ذلك؛ فإن كانت المفسدة أو المفاسد أعظم من المصلحة أو المصالح؛ فإنه ينهى عن هذا الفعل لدفع هذه المفسدة، وهذا النوع هو المراد بقاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، انظر: القواعد للحصني (٣٤٦/١)، والأشباه والنظائر لابن الملتن (٣٠/١)، والموافقات للشاطبي (٤٦٥/٣)، ومقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور (٢١١/٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (ص: ٣٥٥).

وقال ﷺ في حجة الوداع بعد خطبته المشهورة؛ التي شملت بيان شعائر الدين كله، وجمع من الصحابة معه ينظرون إليه، يتعلمون العلم والعمل منه: "ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه"^(١).
وقد ظهرت دعوة عمرو بن عبسة رضي الله عنه بعد أن تعلم العلم من النبي ﷺ أولاً بعد رجوعه إلى قومه ثم بعد أن جاء إلى المدينة وتعلم الصلاة والوضوء منه ﷺ، وكذلك ذكر قصته كاملة لأبي أمامة رضي الله عنهم.

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ طرب مبلغ، رقم الحديث (٦٧)، (٢٤/١).
ومسلم في كتاب القسامة والمخربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال،
رقم الحديث (٣٢٦٥)، (٣/١٣٠٥).

المبحث الثالث

المسائل الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة

موضوع الدعوة هو الإسلام بكل ما جاء به من عقيدة وعبادات ومعاملات وأخلاق، وقد كان النبي ﷺ يربي أصحابه ويعلمهم جميع أمور الإسلام والدين بطريقة متوازنة وأساليب متنوعة، ويتجلى ذلك في كثير من أحاديث النبي ﷺ، ومنها حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

وتجلى لنا الدروس الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة في هذا الحديث من عدة جوانب:

الجانب الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بجانب العقيدة:

١ - الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك: اعتنى النبي ﷺ بجانب الدعوة إلى التوحيد أيما عناية، واهتم به أشد اهتمام، وبذل في سبيله الغالي والنفيس حتى قال ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس؛ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويسيروا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك؛ عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله" ^(١)، وما ذلك إلى لعظم التوحيد وكبير شأنه؛ فمن أجله أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وهو الغاية من خلق الجن والإنس، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦.

وقد ظهر هذا الاهتمام في دعوة النبي ﷺ لعمرو بن عبسة رضي الله عنه حينما قال له: "وأن يوحدوا الله لا يشركوا به شيئاً".

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم، رقم الحديث (٢٥)، (١٤/١) ومسلم في باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، رقم الحديث (٥٦)، (٥٢/١).

وهكذا كان ﷺ يدعو إلى التوحيد طيلة حياته ويعلمه أصحابه ويربيهم عليه، ففي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له "يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟" قلت: (الله ورسوله أعلم)، قال: "أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري يا معاذ ما حقهم عليه إذا فعلوا ذلك؟" قلت: (الله ورسوله أعلم). قال: "أن لا يعذبهم". وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ القصص: ٧٤، فالرسل كلهم دعوا قومهم إلى توحيد الله وعبادته وحده. فعلى الدعوة إلى الله سبحانه أن يعتنوا بالدعوة إلى التوحيد، وأن يهتموا بذلك، اقتداءً برسول الله ﷺ في دعوته.

٢- الدعوة إلى كسر الأوثان: والأوثان جمع وثن، وهو كل ما عبد من دون الله، سواء كان حجراً، أو شجراً، وسواء كان على صورة آدمي أم لا^(١). فهذا الحديث صريح في وجوب تكسير الأصنام وتحطيمها، فهذا مما أرسلت به الرسل، سواء كانت معبودة؛ كالكالات والعزى، أو لم تكن معبودة، فالكل يجب إزالته والبراءة منه^(٢).

ولما فتح ﷺ مكة كسر ما فيها من الأوثان، وطمس الصور^(٣). فإن الأوثان تستحق الإهانة، وأن تكسر؛ كما كسر خليل الله إبراهيم -عليه السلام- الأصنام، وكما حرق كلیم الله موسى -عليه السلام- العجل ونسفه، وكما كان

(١) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم لمحمد الأمين (١٠/٢٢٥).

(٢) أرشيف ملتقى أهل الحديث - ١ (١٨/٣٣).

(٣) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار لمحمد عمر (ص: ٣٥٢).

نبينا ﷺ يكسر الأصنام، ويهدم بيوتها، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] فإهانتها من تمام التوحيد والإيمان^(١). قال ابن القيم: (وإنما بعث الله رسله بكسر الأصنام وعبادته وحده لا شريك له)^(٢). قال ابن دقيق العيد: (كسر الأوثان" يحتمل أن يراد الحقيقة إذا كانت الأوثان، هي الأصنام، بمعنى تفريق أجزائها، ويحتمل أن يراد به المجاز؛ بمعنى إبطال عبادتها وإذهاب حرمتها)^(٣).

٣- إثبات النبوة: من كمال عدل الله وفضله ورحمته أنه أرسل إلى الأمم رسلاً مبشرين ومنذرين، وختم الرسالة بنبيه محمد ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [المزمل: ١٥]. ففي هذا إثبات للنبوة، فيجب الإيمان بجميع الأنبياء؛ كما قال سبحانه: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

وعندما سأل عمرو بن عبسة رضي الله عنه النبي ﷺ بقوله: (ما أنت؟) فرد عليه "أنا نبي" فقال له: (وما نبي؟) فقال له رسول الله ﷺ: "أرسلني الله".

فالله - سبحانه وتعالى - هو الذي أرسل الرسل، وأنزل الكتب ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]

(١) الإخنائية أو الرد على الإخنائي لابن تيمية (ص: ٢٢١).

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن قيم الجوزية (ص: ٤٨١).

(٣) الإمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٤/٤٠٢).

فالأوجب على الدعاة إلى الله العناية بهذا الأصل العظيم، وإقامة الحجّة والبرهان عليه، وتعليمه المدعوين وترسيخه في نفوسهم.

٤- النهي عن مشابهة الكفار في أعيادهم: فقد نهى النبي ﷺ عن الصلاة وقت طلوع الشمس، ووقت غروبها، معللاً ذلك بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان، وأنه حينئذ يسجد لها الكفار، "ومعلوم أن المؤمن لا يقصد السجود إلا لله تعالى، وأكثر الناس قد لا يعلمون أن طلوعها وغروبها بين قرني شيطان، ولا أن الكفار يسجدون لها. ثم إنه ﷺ نهى عن الصلاة في هذا الوقت حسماً لمادة المشابهة بكل طريق، ويظهر فوائد ذلك؛ بأن من الصابئة المشركين اليوم ممن يظهر الإسلام ويعظم الكواكب، ويزعم أنه يخاطبها بحوائجهم، ويسجد لها، وينحر ويذبح"^(١).

فإذا كان في هذه الأزمنة من يفعل مثل هذا، تحققت حكمة النبي ﷺ في النهي عن الصلاة في هذه الأوقات، سدا للذريعة، وكان فيه تنبيه على أن كل ما يفعله المشركون من العبادات ونحوها، مما يكون كفوفاً أو معصياً بالنية، ينهى المؤمنون عن ظاهره، وإن لم يقصدوا به قصد المشركين، سدا للذريعة وحسماً للمادة^(٢).

والمراد بقرني الشيطان جانبا رأسه؛ وذلك أنه يديني رأسه من الشمس حين طلوعها، فيكون الساجد من الكفار للشمس كالساجد له، وحينئذ يتمكن هو وجنوده من أن يلبسوا على المصلي صلاته، فلذا نهى عن الصلاة وقتئذ صيانة لها^(٣).

وقد ثبت في الصحيح: عن النبي ﷺ أنه قال: "تلك صلاة المنافق، يرقب الشمس

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية (٢١٨/١).

(٢) المرجع السابق (٢١٨/١).

(٣) المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود للسبكي (١٧٤/٧).

حتى إذا صارت بين قرني شيطان قام، فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً" (١).
فجعل النبي ﷺ هذه الصلاة صلاة المنافقين، وقد ذم الله صلاتهم بقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢] (٢).

٥- حماية الله لنبيه وحفظه له: يظهر للمسلم حماية الله تعالى لنبيه وعنايته به ورعايته له، وذلك في حياته كلها، وقد حمى الله جميع الأنبياء ودافع عنهم، وهو سبحانه يحمي أوليائه الصالحين ويدافع عن الذين آمنوا، ولا سيما من يدعون إلى دينه وشريعته، ويعرفون الناس برهم، فلهم منه سبحانه معية خاصة، كما قال سبحانه لموسى وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ آسَمِعُ وَأَرَى﴾ طه: ٤٦.

وقد ظهرت حماية الله لنبيه في مواطن كثيرة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾ الأنفال: ٣٠

وحينما سأل عمرو بن عبسة القادمين من المدينة، ما فعل ذلك الرجل؟ قالوا: (الناس إليه سراع، وقد أراد قومه قتله) "بأنواع من المكر والخديعة المذكورة عنهم في كتب السير (فلم يستطيعوا ذلك) بل رد الله كيدهم في نحرهم، وحفظ نبيه من ذلك" (٣)

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التبكير بالعصر، رقم الحديث (١٠٢١)، (٣٤٣/١).

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٤/٤٥٥)، وإعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية (٢/٢٤٧).

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد علي (٤/٣٤٣).

٦- مصدر العلم هو الله سبحانه: الله سبحانه وتعالى هو مصدر العلم والمعارف كلها، ومع مكانة الأنبياء وعظيم فضلهم، وشرف مكانتهم إلا أنه سبحانه هو الذي امتن عليهم بفضله ورحمته، وأكرمهم بالعلم، كمال قال سبحانه لنبيه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصُرُونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ النساء: ١١٣، كما طلب ﷺ زيادة العلم من ربه بقوله: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ طه: ١١٤، ويشهد لذلك قول عمرو بن عبسة ﷺ لما طلب من النبي ﷺ أن يعلمه، فقد نسب العلم إلى الله فقال: (يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله).

فينبغي للدعاة إلى الله تعالى إبراز هذا المعنى للمدعوين وبيانهم، وتعليمهم إياهم، وتذكيرهم بهم دائماً، فالله سبحانه هو مصدر لكل خير، ومنبع كل المعارف، والقرآن الكريم هو المصدر لكل خير ومنبع كل المعارف.

٧- الإخلاص لله والثناء عليه وتمجيده: للإخلاص شأن عظيم في حياة المسلم؛ فهو أهم شروط قبول الأعمال، والأعمال التي يستعظمها الناس لا وزن لها عند الله إذا فقدت الإخلاص، فهو روح كل عمل، وقد علم النبي ﷺ عمرو بن عبسة ﷺ الإخلاص وحثه عليه بقوله: "إن هو قام فصلي، فحمد الله وأثنى عليه، ومجده بالذي هو له أهل، وفرغ قلبه لله، إلا انصرف من خطيئته كهيتته يوم ولدته أمه).

فحري بالدعاة إلى الله تعليم المدعوين الإخلاص لله في العبادة، وتعظيمه سبحانه، وتمجيده والثناء عليه، ولا سيما في الصلاة التي هي أعظم العبادات والطاعات، ويبين لهم أن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً له، وموافقاً لسنة نبيه ﷺ.

٨- الملائكة الكرام يشهدون الصلوات: من أعظم نعم الله على عباده أن شرع لهم الصلوات الخمس وغيرها من النوافل، ولعظيم قدرها عند الله تشهدها الملائكة وتحضرها، كما قال سبحانه: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ الإسراء: ٧٨، أي تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار^(١).
وقد بين ﷺ هذا المعنى لعمر بن عمرو بن عبسة رضي الله عنه بقوله: "ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضرة"، أي تشهدها الملائكة ويحضرونها، وتكتب أجرها؛ وذلك أقرب إلى القبول وحصول الرحمة^(٢).

الجانب الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بجانب الشريعة:

كان رسول الله ﷺ يدعو إلى العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج وغيرها، فهي من أركان الإسلام وقواعده، كما كان يدعو إلى حسن المعاملات، ومكارم الأخلاق، وتظهر لنا دعوته في مواطن كثيرة من حياته؛ إما بالتعليم أو التوجيه أو النصيحة أو بالإنكار والاحتساب على من قصر فيها أو ضيَّعها، وتتجلى لنا الدروس الدعوية المتعلقة بجانب الشريعة في عدة نقاط:

١- الدعوة إلى الصلاة: للصلاة مكانة عظيمة في الإسلام، فهي الركن الثاني بعد الشهادتين، وقد فرضها الله تعالى في السماء في رحلة الإسراء والمعراج، بخلاف جميع العبادات؛ فقد فرضت في الأرض، ولعظيم شأنها ومكانتها كانت أول شيء علمه النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن عمرو بن عبسة رضي الله عنه، وفصل له فيها، وبين له أوقاتها، فقال له: "صل صلاة الصبح" (أي الفجر)، وذلك لما لصلاة الفجر من مكانة عظيمة في الإسلام، كما

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (١٤٨/٣).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١١٦/٦)، وكشف المشكل من حديث الصحيحين للجوزي (١٩٦/٤)، والكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم لمحمد الأمين (٢٢٩/١٠).

قال ﷺ: "تفضل صلاة الجمعة أحدم وحده، بخمس وعشرين جزءاً، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر" ثم يقول أبو هريرة: -رضي الله عنه- فاقروا إن شئتم: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (سورة الإسراء: ٧٨) (١)، ثم بين له وقت صلاة الظهر والعصر والمغرب، وحثه عليها، فالصلوات الخمس تكفر السيئات التي قبلها، كما في قصة الرجل الذي أصاب من امرأة قبله (٢)، والذي أصاب حداً (٣)، وطلب من النبي ﷺ أن يقيم عليه، فإن الصلاة هي أفضل أعمال البدن، وهي تذهب السيئات (٤)، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفْعًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ﴾ [هود: ١١٤]، فحري بالدعاة إلى الله أن يعتنوا بدعوة الناس إلى الصلاة، والمحافظة عليها، وإقامتها مع الجماعة في المساجد، وأن يبينوا لهم أوقاتها، وعظيم فضلها ومكانتها، وأنها

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، أبواب صلاة الجماعة والإمامة، باب فضل صلاة الفجر في جماعة، رقم الحديث (٦٣٠)، (١/١٣١)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، رقم الحديث (١٠٦٨)، (١/٣٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة، رقم الحديث (٥١٢)، (١/١١١)، ومسلم في كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ﴾، رقم الحديث (٥٠٧٠)، (٤/٢١١٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب إذا أقر بالحد ولم يبين هل للإمام أن يستر عليه، رقم الحديث (٦٤٥١)، (٨/١٦٦)، ومسلم في كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ﴾، رقم الحديث (٥٠٧٢)، (٤/٢١١٧).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١١٦/٦)، وكشف المشكل من حديث الصحيحين للجوزي (٤/١٩٦)، والكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم لمحمد الأمين (١٠/٢٢٩).

هي الفرق بين المؤمن والكافر^(١)، وأن من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً، ولا برهاناً، وكان مع فرعون وهامان وأبي بن خلف، كما ورد ذلك عن النبي ﷺ^(٢).

٢- الدعوة إلى الوضوء: للوضوء مكانة سامية ورفيعة في الإسلام؛ لأنه ركن من أركان الصلاة؛ ولأنه طهارة يتطهر بها المؤمن، وسبب لتكفير السيئات، وقربة إلى الله تعالى، وهو شرط الإيمان^(٣)، وعلامة أهل الإيمان يوم القيامة^(٤).

ولعظيم شأن الوضوء علمه النبي ﷺ عمرو بن عبسة رضي الله عنه أحسن تعليم، وفصل له طريقة الوضوء من أولها إلى آخرها، وبين له فضله ومكانته، وما يترتب عليه من الأجور العظيمة والحسنات الكثيرة، فقال له: "ما منكم رجل يقرب وضوئه، فيتمضمض، ويستنشق، ويستنشق، إلا خرت خطايا وجهه، وخياشيمه، ثم إذا غسل وجهه كما أمر الله، إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين، إلا خرت

(١) كما قال ﷺ: "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر"، حديث صحيح، أخرجه الترمذي في أبواب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، رقم الحديث: (٢٦١٢)، (١٤/٥) وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، رقم الحديث (١٠٧٥)، (٣٤٢/١).

(٢) المعجم الكبير للطبراني، رقم الحديث (١٣٥٩١)، (٦٧/١٣)، والحديث ضعيف؛ انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته للألباني، برقم (٢٨٥١)، (ص ٤٢٠).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، رقم الحديث (٣٥٤)، (٢٠٣/١).

(٤) كما قال ﷺ: «إن أمي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل» أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب فضل الوضوء، رقم الحديث (١٣٥) (٣٩/١) ومسلم في كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، رقم الحديث (٣٨٨)، (٢١٦/١).

خطايا يديه من أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه، إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين، إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء".
وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو فيسبغ - الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛ إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء"، رواه مسلم، وزاد الترمذي: "اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين"^(١).

"وقد جمع في هذا الحديث بين طهارة الظاهر بالوضوء، وطهارة الباطن بالتوحيد، وسؤال التوبة، والتطهر من الذنوب والآثام، وأخبر صلى الله عليه وسلم أن ثواب هذا العمل دخول الجنة من أي أبوابها شاء"^(٢). فينبغي للدعاة إلى الله أن يبينوا هذا الفضل العظيم والثواب الكبير الذي يحصل عليه المؤمن عندما يتوضأ، وهذا فضل ومنة من الله سبحانه وتعالى على عباده.

٣- الدعوة إلى النوافل بعد الفرائض: إن على الدعاة إلى الله أن يبينوا للناس فضل النوافل من صلاة وصيام وغيرها؛ لما لها من الأجر الكبير، والثواب الجزيل، فهي سبب لمحبة الله؛ كما جاء في الحديث القدسي: "وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه"^(٣)، ولقد حث النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن عبسة على صلاة الضحى، وبين له أنها مشهودة محضرة، وحثه على

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، رقم الحديث (٣٧١)، (٢٠٩/١)، والترمذي في أبواب الطهارة، باب ما يقال بعد الوضوء، رقم الحديث (٥٢)، (١٠٩/١).

(٢) تطريز رياض الصالحين للنجدي (ص: ٦٠٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم الحديث (٦١٤٧)، (١٠٥/٨).

السنن الرواتب بقوله: "فإذا أقبل الفيء فصل، فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر".

٤- الدعوة إلى الخشوع في الصلاة: ومن الأمور التي ينبغي للدعاة إلى الله أن يعتنوا ببيانها للمدعويين، ويرشدوهم إليها، ويحثوهم عليها؛ هي الخشوع في الصلاة، وأن يستشعر المرء وقوفه بين يدي الله، وإقباله عليه، فللخشوع أثر كبير في تربية النفس وتركيتها، وقد أثنى الله تعالى على الخاشعين في صلاتهم بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ المؤمنون: ١ - ٢.

وقد رد النبي ﷺ ذلك الصحابي الذي لم يحسن صلاته، وقال له: "ارجع فصل فإنك لم تصل" ثلاث مرات، ثم علمه النبي ﷺ كيفية الصلاة الصحيحة والطمأنينة والخشوع فيها، ولذلك كان تعليمه وإرشاده لعمرو بن عبسة ؓ بشأن الخشوع واضحاً وظاهراً؛ حينما قال له: "فإن هو قام فصلى، فحمد الله، وأثنى عليه، ومجده بالذي هو له أهل، وفرغ قلبه لله".

قال الشيخ ابن عثيمين: فلا بد من ملاحظة هذا القيد؛ لأن من الناس من يصلي، ولكنه ينصرف من صلاته ما كتب له إلا عشرها أو أقل؛ لأن قلبه غافل، وكأنه ليس في صلاة؛ بل كأنه يبيع ويشترى، أو يعمل أعمالاً أخرى حتى تنتهي الصلاة^(١).

الجانب الثالث: الدروس الدعوية المتعلقة بجانب الأخلاق:

للأخلاق مكانة سامية ورفيعة في الإسلام، فقد عظم من شأنها ﷺ، حتى أنه حصر بعثته في الدعوة إليها بقوله: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"^(٢).

(١) شرح رياض الصالحين للعثيمين (٣/٣٣١).

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد (٥١٣/١٤) والبخاري في الأدب المفرد (ص: ١٠٤) والحاكم في المستدرک علی الصحیحین (٢/٦٧٠) ومكارم الأخلاق للخرائطي (ص: ٢٧).

فاعتني بها رسول الله ﷺ أيما عناية، وكان يغرستها في نفوس أصحابه، ويعززها فيهم، ويربيهم عليها، وقد رتب عليها الإسلام الأجور العظيمة والدرجات العالية في الجنة حيث قال ﷺ: "إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا"^(١).

وتتجلى أهمية الدعوة إلى الأخلاق من حديث عمرو بن عبسة في النقاط الآتية:

١ - الدعوة إلى صلة الأرحام: وقد ظهر وتجلى لنا عناية النبي ﷺ بصلة الأرحام، والدعوة إليها؛ حينما سأله عمرو بن عبسة ﷺ: "يا رسول الله! بم أرسلك؟ فقال: "بصلة الأرحام.."، وقد قرنها بالتوحيد ليدل على أهميتها وعظيم شأنها، وعلو مكانتها، ولهذا شواهد كثيرة من السنة النبوية، فقد حث النبي ﷺ غير واحد من الصحابة على صلة الأرحام؛ فمن ذلك ما رواه البخاري أن رجلا قال: (يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة)؛ فقال النبي ﷺ: "تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم"^(٢).

قال الأبي: (قد صح أن جواباته ﷺ تكون بحسب السائل، وبحسب الزمان والحال، فتخصيص الرحم بالذكر يحتمل لمراعاة حال العرب فيها، أو أن غيرها من الفرائض لم يكن فرض^(٣). فحري بالدعاة إلى الله توجيه الناس وإرشادهم إلى أهمية صلة الأرحام، وما لهذا الخلق من مكانة عظيمة في الإسلام، فقد قال ﷺ: "الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعته الله"^(٤).

(١) حديث صحيح، أخرجه الترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، رقم الحديث (١٩٩١)، (٤٧٥/٤). وأحمد (٢٦٧/٢٩) وابن حبان في صحيحه (٢٣٢/٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم الحديث (١٣٤٤)، (٥/٨).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم الحديث (٤٧٤١)، (١٩٨١/٤).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم، رقم الحديث (٤٧٣٩)، (٥/٨).

٢- العدل: وقوله ﷺ: معي في دعوتي (حر وعبد) فيه دليل على عالمية الرسالة وأنها لجميع الناس وللعالمين أجمعين، كما قال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان: ١؛ وأنه لا فرق بين عربي ولا عجمي، ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى، وهذا فيه دليل على العدل بين الناس. ولهذا عبر النبي ﷺ بقوله: "حر عبد"، ليحلي مكانة الأخلاق في الإسلام وليكون أوقع في نفسه عظمة هذا الدين القائم على العدل، وأن الناس كلهم سواسية لا فرق بينهم، وهذا المعنى حاضر في دعوة النبي ﷺ، فقد أذاب جميع الفوارق بين الناس (من نسب أو بلد أو لون أو طائفة)، واجتمعوا كلهم على الإسلام لا فرق بينهم إلا بالتقوى، فكان مع النبي ﷺ الحبشي؛ كبلال، والعربي؛ كأبي بكر، والفارسي؛ كسلمان، والرومي؛ كصهيب، وغير ذلك.

فالواجب على الدعاة إلى الله إبراز خلق العدل في الإسلام، وأن الناس يتفاضلون بالأعمال عند الله لا بالأنساب، كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: ١٣.

٣- الصدق والأمانة: على الدعاة إلى الله أن يتحلوا بالصدق والأمانة في دعوتهم؛ فهم القدوة للمدعويين، ومحط أنظار الناس، ينظرون إليهم بعين التقدير والإجلال، وعليهم أن يتحروا الصدق في نقل الأحاديث، والتثبت من ذلك، ويظهر لنا ذلك في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه من وجهين:

١- قال أبو أمامة رضي الله عنه (يا عمرو بن عبسة، انظر ما تقول! في مقام واحد يعطى هذا الرجل)، فقال عمرو: (يا أبا أمامة، لقد كبرت سني، ورق عظمي، واقترب أجلي، وما بي حاجة أن أكذب على الله، ولا على رسول الله (كحب الشهرة والحمدة)، لو لم أسمع

من رسول الله ﷺ إلا مرة، أو مرتين، أو ثلاثا حتى عد سبع مرات، ما حدثت به أبدا، ولكني سمعته أكثر من ذلك".

قال ابن دقيق العيد: قوله: (لقد كبر سني، ورق عظمي، واقترب أجلي، وما بي حاجة أن أكذب على الله، ولا على رسوله) فيه أمران: أحدهما: ذكر الموجبات لعدم الكذب، والمقتضيات للصدق.

والثاني: انتفاء الموجب للكذب بعد قيام الموجب للصدق، وعدم معارضة مانع لتلك الموجبات^(١).

٢- قوله (وكنت في أهلي فجعلت أتخبر الأخبار، وأسأل الناس حين قدم المدينة، حتى قدم علي نفر من أهل يثرب من أهل المدينة)، فقلت: (ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟)، فقالوا: (الناس إليه سراع، وقد أراد قومه قتله، فلم يستطيعوا ذلك).

(١) الإمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٤/٤٤٦).

المبحث الرابع

الدروس الدعوية المتعلقة بالأساليب الدعوية

الدعاة إلى الله تعالى بحاجة ماسة إلى اختيار أفضل وسائل وأنسب أساليب للمدعوين، لما لذلك من أثر عظيم في نجاح الدعوة وإقناع المدعوين بخطابهم ومواعظهم والتأثير عليهم. ولقد أوتي النبي ﷺ جوامع الكلم؛ فكانت عباراته قليلة الألفاظ، كثيرة المعاني، تناسب عذوبةً وجمالاً ورقةً وروعةً بيان، تحمل الشئآت الجميلة، والألفاظ البراقة. ويتجلى لنا روعة أساليبه ﷺ وتنوعها من حديث عمرو بن عبسة في النقاط الآتية:

١- أسلوب حسن التعليل: أسلوب حسن التعليل من الأساليب البلاغية لدى العرب، ويعرف حسن التعليل بأنه: (أن يدعى المتكلم لوصف علة مناسبة غير حقيقية، ولكن فيها حسن وطرافة، فيزداد بها المعنى المراد الذي يرمى إليه جمالاً وشرفاً^(١))، وقيل هو: (أن يستبعد المتكلم صراحةً أو ضمناً علة الشيء المعروفة، ويأتي بعلّة أدبية طريفة مستملحة تناسب الغرض الذي يقصد إليه^(٢)). فكان هذا من أساليب العرب في كلامهم. وقد استخدم ﷺ أسلوب حسن التعليل في مواقف عديدة من الحديث:

أولاً: حينما أمر النبي ﷺ عمرو بن عبسة بالرجوع إلى قومه بعد إسلامه، وعدم البقاء معه معللاً ذلك بقوله: "ألا ترى حالي وحال الناس؟" وكانوا وقتها جرّاء على النبي ﷺ، وعلى كل من أسلم.

ثانياً: نهى النبي ﷺ عن الصلاة وقت طلوع الشمس، ووقت غروبها، معللاً بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان، وأنه حينئذ يسجد لها الكفار.

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع للهاشمي (ص: ٣٠٦)، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنووي (١١٥/٧).

(٢) البلاغة العربية للدمشقي (٣٨٧/٢).

ثالثاً: نهي ﷺ عن الصلاة قبيل الظهر، معللاً ذلك بقوله: "فإنه حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفياء فصل".

رابعاً: قول النبي ﷺ: "فإنها مشهودة محضورة"، وتفسيره بحضور الملائكة، ويمكن أن يكون فيه تشبيه على علة المنع في وقت الكراهة؛ لأن الملائكة لا تشهد، ولا تحضر عند عبادة الكفار؛ لأنه لما علل الإباحة بالشهود والحضور، دل على انتفاء العلة في حالة المنع، وإلا لما اختصت الإباحة بحالة الشهود^(١).

خامساً: حينما رد النبي ﷺ على سؤال عمرو بن عبسة فأجابه بأنه نبي، وعندما سأله قال له: (وما نبي؟) أجابه ﷺ معللاً فقال: "أرسلني الله".

٢- أسلوب ذكر الخاص بعد العام: من أساليب العرب في الكلام ذكر الخاص بعد العام للدلالة على أهمية الخاص وفضله^(٢)، وقد جاء هذا الأسلوب في حديث عمرو بن عبسة ﷺ عندما جاء إلى النبي ﷺ في المدينة وبدأ يسأله فقال: (أخبرني عما عَلَّمَكَ اللهُ وَأَجْهَلُهُ، أخبرني عن الصلاة؟)، فذكر الصلاة وحدها بعد دخولها في جملة ما علم الله نبيه ﷺ ويجهله عمرو ﷺ.

٣- أسلوب التشبيه: والتشبيه من أساليب العرب في كلامها، وهو: عقد مقارنة ماثلة بين أمرين أو أكثر، قُصد اشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة لغرض قصده المتكلم^(٣). ويتميز أسلوب التشبيه بتقريب المعاني إلى أفهام المخاطبين، عن طريق إظهار صفته، ومقارنتها بصفة أقرب إلى ذهنه^(٤)، وكان النبي ﷺ يبين لأصحابه ما اشتبه عليهم

(١) الإمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٤/٤٤٤).

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني (٣/٢٠٠).

(٣) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع للهاشمي (٢١٤).

(٤) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع للنحلاوي (٢٤٩).

بالتشبيه وضرب المثل، بما يشهدونه بأبصارهم أو يتذوقونه مما يقع تحت حواسهم حتى يفهموه^(١)، وقد جاء هذا الأسلوب في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه بقوله ﷺ: "فإن هو قام فصلى، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه ومجّده بالذي هو له أهل، وفرغ قلبه لله تعالى، إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه".

وقوله: "حتى يستقل الظل بالرمح"، فإن الظل إذا كان تحت القائم، كان شبيهاً باستقلال الحامل بالمحمول، فاستعير له لفظه بالمشابهة، ويكون من قولهم (استقل فلان بالأمر)، و(فلان لا يستقل بهذا الأمر)، أي: قام به، أو لا يقوم به^(٢).

٤- أسلوب القصر والاختصاص: القصر والاختصاص من أساليب العرب في الكلام، ويعرف القصر بأنه: "تخصيص شيء بشيء بطرق مخصوصة"^(٣). وجاء هذا الأسلوب في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه عندما استدل بضلالة قومهم بدليل واحد؛ وهو أنهم كانوا يعبدون الأصنام، فقال ﷺ: (كنت أنا، أظن أن الناس على ضلالة وهم يعبدون الأصنام)، واستخدمه أيضاً في سؤاله عن صفة النبي ﷺ في قوله: (ما أنت؟)، وقوله: (فالوضوء حدثني عنه).

٥- أسلوب الترغيب والحض: من الأساليب التي لها تأثير في الدعوة أسلوب الترغيب والترهيب، ويعرف الترغيب بأنه: "طلب الشيء والحرص عليه والطمع فيه"، كما يعرف بأنه: "هو الخطاب المفيد بحمل الناس على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى، لنيل السعادة في الدنيا والآخرة"^(٤). والترغيب هو الأمر الذي يجب المدعو في الخطاب

(١) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم لأبي غدة، (١٠٩).

(٢) الإمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٤/٤٤٤).

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني (٥/٣) وعلم المعاني لعتيق (ص: ١٤٦).

(٤) هداية المرشدين لعلي محفوظ (ص: ١٩٢).

حرصاً على هدايته، وطمعاً في استجابته. ويتميز أسلوب الترغيب بأنه أسلوب يخاطب الإنسان على ما فطره الله تعالى من الرغبة إلى اللذة والنعيم المقيم، والرغبة من الألم والشقاء وسوء المصير. فإن الإنسان مطبوع على عاطفة حب الثواب، وخوف العقاب صادر عن طبيعته التي خلقه الله عليها من الفطرة الإنسانية، وهو أسلوب واضح يفهمه جميع الناس^(١).

فقد استخدم النبي ﷺ الترغيب في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه في بيانه لفضل الوضوء والصلاة في قوله: "فإنها مشهودة محضرة" وقوله في الوضوء "إلا خرَّت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء"، وقوله: "إلا خرَّت خطايا يديه من أنامله مع الماء" وقوله: "إلا خرَّت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء"، وقوله: "إلا خرَّت خطايا رجليه من أنامله مع الماء"، وقوله: "إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه".

٦- أسلوب الحوار في الدعوة: ويعرف الحوار بأنه: "الكلام وتبادل الرأي من أجل الوصول إلى الحقيقة"^(٢). ويتميز أسلوب الحوار الدعوي بإثارة انتباه المدعويين وتشويق نفوسهم إلى الجواب، كما يتميز بحض المدعويين على أعمال الفكر للجواب، ليكون هذا الجواب أوقع وأقرب في النفس^(٣). وقد استخدم النبي ﷺ الحوار كأسلوب دعوي في النقاش الذي دار بينه وبين عمرو بن عبسة رضي الله عنه عندما جاء إليه، وقبل الإسلام في مكة، وفي لقائه معه عندما قابله في المدينة بعد الهجرة.

(١) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم لأبي غدة (٨١).

(٢) أدب الحوار للخياط (ص: ١٢).

(٣) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم لأبي غدة (ص: ٩٢).

٧- أسلوب المقارنة: وهذا الأسلوب يعمد فيه المتكلم إلى الموازنة بين أمرين أو أكثر، مثبتاً أوجه التشابه، أو الاختلاف بعد عرض الخصائص والمميزات^(١). وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب المقارنة في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه في قوله: "أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله"، وكذلك عند قوله: "فإنها تَطْلُعُ حين تَطْلُعُ بين قربي شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار"، وكذلك "فإنه حينئذ تُسَجَّرُ جهنم"، وقوله: "فإنها تَعْرُبُ بين قُرْبِي شيطان، وحينئذ يسجدُ لها الكفار"، وكذلك عند قوله: "حرٌّ وعبد".

٨- أسلوب القصة: والقصة عبارة عن حكاية يتم كتابتها بتسلسل الأحداث التي تضمنها حكاية مكتوبة مستمدة من الواقع أو الخيال أو من الإثنين معاً^(٢). فقد كان النبي ﷺ يعلم أصحابه بالقصة؛ لما لها من تشويق للسامع، ولها أثر كبير في توجيه المدعوين وترسيخ المقصود في نفوسهم؛ ليركز في نفوسهم، فقد كان لأسلوب القصة في الحوار النبوي مميزات كثيرة؛ منها: إيقاظ انتباه السامع دون توان أو تراخ، فتجعله دائم التأمل في معانيها، متابع لمقتضاها. ويمتاز هذا الأسلوب بإقناع التفكير بموضوع القصة، وبساطة الأسلوب، وتفصيله، ومناسبته بجميع فئات الناس^(٣). وحديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه عبارة عن قصة كاملة بتسلسل أحداثها؛ من أول بحثه عن الحقيقة إلى نهاية القصة.

٩- أسلوب التقديم والتأخير: كان من سنن العرب وأساليبها في الكلام أسلوب تقديم الكلام وتأخيره^(٤)، ومما يدل عليه الحصر والاختصاص، كأن يحصر الخبر في مبتدأ،

(١) فن التحرير العربي للشنطي (ص: ٢٦٦).

(٢) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم لأبي غدة (ص: ١٩٤).

(٣) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع للنحلوي (٢٤٣).

(٤) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها للرازي (ص: ١٨٩).

مثل قوله في الحديث: (فالوضوء حدثني عنه) فقدم الجار والمجرور في محل نصب المفعول، فجعله مبتدأ، والجملة في محل رفع خبر.

وكذا قوله: (جرأء عليه قومه) حال منه؛ أي يجترئون عليه من الجرأة، وهو شدة الإقدام على إذابته، وهو مرفوع على أنه خبر مقدم وقومه مبتدأ مؤخر على مذهب البصريين^(١).

وقوله عليه السلام: "ثم إذا غسل وجهه إلا خرجت" فيه تقديم وتأخير، وفصل بين حرف العطف والمعطوف بالشرط، والتقدير: إلا خرجت الخطايا من وجهه وفيه^(٢).

١٠ - أسلوب السؤال والجواب (الاستفهام): فأسلوب السؤال والجواب من أفضل أساليب التي تستخدم لإيصال المعلومات إلى الغير. ويعرف السؤال بأنه: (طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل^(٣))، كما يعرف بأنه: (تناول الحديث بين طرفين أو أكثر، عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف)^(٤).

ويتميز أسلوب الحوار الدعوي بمخاطبة العاطفة وإقناعها عن طريق سرد الكلام^(٥). فقد كان النبي ﷺ يستخدم أسلوب السؤال والجواب في الدعوة والتعليم، فمن ذلك الحوار الذي دار بينه وبين عمرو بن عبسة ؓ عندما جاء إليه مستفتياً في مسائل الدين، فبدأ عمرو بن عبسة سؤال النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ يجيبه، ويشرح له، وكذلك أول ما لقيه

(١) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم لمحمد الأمين (١٠/٢٢٥) والإمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٤/٤١٢).

(٢) الإمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٤/٤٣١).

(٣) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع للهاشمي (٧١).

(٤) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع للنحلاوي (٢٠٦).

(٥) المصدر السابق (٢٠٧).

بمكة بدأ بسؤاله (ما أنت؟)، فأجابه ﷺ بقوله: "أنا نبي"، فسأله (وما نبي؟)، فأجابه "أرسلني الله"، فسأله (بأي شيء أرسلك؟)، فأجابه بقوله: "بصلة الأرحام، وكسر الأوثان"، وكذلك سؤاله حينما قدم المدينة بقوله: (يا رسول الله أتعرفني؟)، فأجابه النبي ﷺ بقوله: "نعم! أنت الذي لقيتني بمكة".

١١- أسلوب الاستعارة والكناية: الغرض من الكناية المبالغئة والبعد عن المباشرة، والمبالغة في الصفة أو الصفات، سبيل الى تشبيتها في نفوس المتلقين^(١). وقد ظهرت الكناية في قصة عمرو بن عبسة عند قول النبي ﷺ له: "خرت خطاياها": أي: سقطت، وهو كناية عن مغفرة الذنوب^(٢).

وقوله "خرت" من الخور، أبلغ من جرت من الجري، ورواية خرت أبلغ من خرجت، وإنما كان كذلك؛ لأن في (خرت) دلالة على الجري وزيادة، لما في الخور في الأجسام من الدلالة على السقوط، والنقل المقتضي للسرعة، من جهة طلب الهوي بنقل هذا المعنى بالاستعارة إلى الخطايا^(٣)، والتعبير بالخير كذلك استعارة لمغفرتها، يصورها بالقذارة العالقة بالجسد، والتي تستلزم من الإنسان الحرص على دوام تطهيرها بالوضوء^(٤).

وعند قوله: فإنها تطلع بين قرني شيطان، قيل: إن ذلك استعارة وكناية عن إضراره، لما كانت ذوات القرون تسلط بقرونها على الأذى استعير للشيطان ذلك^(٥).

(١) علوم البلاغة «البيدع والبيان والمعاني» لقاسم (ص: ٢٥١).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٢/٤٦٣)، والكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم لمحمد الامين (١٠/٢٣١).

(٣) الإمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٤/٤٤٥).

(٤) كنوز رياض الصالحين للعمار (٧/٤٢).

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٣/٢٠٨).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الذي بنعمته تتم الصالحات، فقد توصل البحث إلى عدد من النتائج، أبرزها:

أن من الدروس الدعوية المتعلقة بالداعي في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه: العلم بأحوال المدعويين، والصبر والتفاؤل وحسن الظن بالله، واتخاذ المساعد في الدعوة، والبدء بدعوة الأقربين، وتعليم المدعو القدر الذي يستطيع حفظه وفهمه.

أن من الدروس الدعوية المتعلقة بالمدعو: الاستعداد الفطري، والسعي في طلب الحق والهداية، والحرص والتزود في طلب العلم منه، والتأدب في طلب العلم، والدعوة إلى الله بعد العلم.

أن من الدروس الدعوية المتعلقة بجانب العقيدة: الدعوة إلى التوحيد ونبد الشرك، وإثبات النبوة، والنهي عن الصلاة في أوقات معلومة، وحماية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وحفظه له، والإخلاص لله والثناء عليه وتمجيده.

أن من الدروس الدعوية المتعلقة بجانب الشريعة: الدعوة إلى الصلاة والوضوء والنوافل، والخشوع في الصلاة، وصلة الأرحام، والعدل، والصدق والأمانة.

أن من الدروس الدعوية المتعلقة بجانب الأخلاق: الدعوة إلى صلة الأرحام، والعدل، والصدق والأمانة.

أن من الدروس الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة: أسلوب حسن التعليل، وذكر الخاص بعد العام، والتشبيه، والقصر والاختصاص، والترغيب، والحوار، والمقارنة، والقصة، والتقديم والتأخير، والاستفهام، والاستعارة والكناية.

قائمة المراجع

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن: تليح فهم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٩٩٧.
- ابن برهان الدين، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، الدين: السيرة الحلبية-إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الإخنائية أو الرد على الإخنائية، تحقيق: أحمد بن مونس العنزي، دار الخراز، جدة، ١٤٢٠هـ.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، ط٧، ١٤١٩هـ.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام: الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ.

- ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني: تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٦هـ.
- ابن دقيق العيد، محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري: الإمام بأحاديث الأحكام، تحقيق: حسين إسماعيل الجمل، دار المعراج الدولية-دار ابن حزم، الرياض/بيروت، ط ٢، ١٤٢٣هـ.
- ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي: الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، تحقيق: زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٢، ١٤٠٨هـ.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي: مقاصد الشريعة الإسلامية، وزارة الأوقاف الإسلامية، قطر، ١٤٢٥هـ.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجليل، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ابن قتيبية، عبد الله بن مسلم الدينوري: المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين: إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين: طريق المجرتين وباب السعادتين، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٣٩٤.
- ابن كثير، بو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ١٤٣١هـ.
- ابن ملقن، سراج الدين عمر بن علي الأنصاري: الأشباه والنظائر، دار ابن القيم، الرياض، ١٤٣١هـ.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، الأنصاري الرويفعي الإفريقي: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، المصنف في الأحاديث والآثار تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.
- أبو رية، محمود: رسائل الرافي، دار المعارف، مصر، ١٩٣٤.
- أبو غدة، عبد الفتاح: الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤١٧هـ.

- أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني: دلائل النبوة، تحقيق: محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦ هـ.
- أحمد رضا: معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٤٧٧ هـ.
- أرشيف ملتقى أهل الحديث.
- الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية
- الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني: المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله: صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢ هـ.
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة: الأدب المفرد بالتعليقات، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩ هـ.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء: معالم التنزيل في تفسير القرآن_تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك: سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٩٥ هـ.
- الجرجان، علي بن محمد بن علي الزين الشريف: التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

- الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٠هـ.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ.
- الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري: المستدرک علی الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.
- الحصني، أبوبكر بن محمد عبدالمؤمن: القواعد، تحقيق: عبدالرحمن بن عبدالله الشعلان، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٨هـ..
- خياط، عبدالعزيز: أدب الحوار، للخياط، وزارة الثقافة، ٢٠٠٧..
- الدمشقي، عبد الرحمن بن حسن حَبْنَكَة الميداني: البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٤١٦هـ.
- الذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز: تاريخ الإسلام وَوَفِيَات المشاهير وَالْأَعْلَام، تحقيق: بشار عَوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣.
- الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء: الصحاحي في فقه اللغة العربية ومساثلها وسنن العرب في كلامها، محمد علي بيضون، ١٤١٨هـ.
- الرافعي، صطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر: تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت.).
- السبكي، محمود بن محمد: المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود، مطبعة الاستقامة، مصر، ١٣٥١هـ.

- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم: كشف اللثام شرح رياض الصالحين، تحقيق: نور الدين طالب، الطبعة محفوظة، ٢٠٠٧م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت.).
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي: الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ.
- الشامي، محمد بن يوسف الصالحي: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ.
- الشَّعْرَانِي، عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنْطِيك الطبقات الكبرى = لوافح الأنوار في طبقات الأخيار، مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه، مصر، ١٣١٥هـ.
- الشنطي: محمد صالح: فن التحرير العربي ضوابطه وأتماطه، دار الأندلس للنشر والتوزيع، السعودية ط ٥، ١٤٢٢هـ.
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي: المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢.
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي: المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢، ١٤١٥هـ.
- عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ١٤٢١هـ.
- عتيق، عبدالعزيز: علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٣٠هـ.

- العثيمين، محمد بن صالح بن محمد: شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.
- العمار، حمد بن ناصر بن عبدالرحمن: كنوز رياض الصالحين، كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، ١٤٣٠.
- قاسم، محمد أحمد: علوم البلاغة «البدیع والبيان والمعاني».
- القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو السبتي: إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، مصر، ١٤١٩هـ.
- القرطبي، أحمد بن عمر بن إبراهيم: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محي الدين ديب مستو وأحمد محمد السيد ويوسف علي بدوي ومحمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٧هـ.
- القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط (د.ت) ٣.
- محمد الأمين بن عبدالله الأرمي العلوي الهرري الشافعي: الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم، تحقيق: هاشم محمد علي مهدي، دار المنهاج، الرياض، ٢٠٠٩.
- محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر: مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، تحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤١٩هـ.
- محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي: حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول، دار المنهاج، جدة، ١٤١٩هـ.

- محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٤، ١٤٢٥ هـ.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- النجدي، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحرمللي: تطريز رياض الصالحين، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٣ هـ.
- النحلاوي، عبدالرحمن: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، سوريا، ط ٢، ١٤١٧ هـ.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢ هـ.
- النووي، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.
- الهاشمي، السيد أحمد: جواهر البلاغة، في المعاني والبيان والبديع، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٤ هـ.

البحث رقم (٧)

حدود العلاقة بين الحرية الشخصية
والكرامة الإنسانية في الإسلام

إعداد

د. فهد بن إبراهيم بن سعد بن حاضر

الأستاذ المساعد في قسم الدراسات الإسلامية المعاصرة

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الملخص

هذا البحث في حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام كما جاءت في القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية الصحيحة، وكما أثبتتها السلف الصالح -رضوان الله تعالى عليهم-، وقد جمعت فيه ما يتعلق بهذه القضية من أدلة، وأقوال للعلماء المسلمين، والباحثين، والمفكرين من المسلمين، وغير المسلمين، وتم ذلك من خلال تناول موضوع مفهوم الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام، ومكانة الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام. والعلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام. وحدود العلاقة بين الكرامة الإنسانية والحرية الشخصية المرتبطة بالفرد. وحدود العلاقة بين الكرامة الإنسانية والحرية الشخصية المرتبطة بالمجتمع.

وتطرق الباحث لعدد من القضايا حول هذه المسألة؛ وما يتعلق بها، وخرج الباحث بنتائج مهمة في هذه القضية منها: أن مفهوم الكرامة الإنسانية يتجه إلى تقدير الآخرين، واحترامهم من خلال عدم انتهاك حريتهم، والتعدي على خصوصيتهم بأي شكل من الأشكال؛ ويعد هذا واجباً تمليه قيمة الكرامة الإنسانية، فانقاص الحرية هو انتقاص للكرامة.

Summary:

This research deals with the limits of the relationship between personal freedom and human dignity in Islam, as it is said in Holy Qur'an and true Sunnah of the Prophet, as well as proven by Righteous Ancestors, May Allah –the Almighty- be pleased with them. I have collected in this research evidences and statements related to this case by Muslim Scholars, Researchers, and Muslim and non-Muslim Intellectuals, by addressing the concept of personal freedom and human dignity in Islam, Position of personal freedom and human dignity in Islam, the relationship between personal freedom and human dignity in Islam, the limits of the relationship between human dignity and personal freedom related to the individual, And the limits of the relationship between human dignity and personal freedom related to the society.

The researcher has tackled the cases on this issue and related to it. He has come up with important findings, including: The concept of human dignity tends to value and respect others, by not violating their freedom, and invading their privacy in any way; this is a duty dictated by the value of human dignity, as the derogation of freedom is the derogation of dignity.

المقدمة

الحمد لله وحده، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ أما بعد :

فقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان في أحسن تقويم، وكرمه أكمل تكريم، قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٧٠).^(١) ومن أعظم التكريم أن وهبه الله سبحانه وتعالى العقل الذي من خلاله يملك القدرة على التفكير والتدبر، وبه مكنه الله سبحانه وتعالى من القدرة على الاختيار و حرية الإرادة، فإما أن يكون عبداً شاكرًا لمن وهبه، أو عبداً كافرًا بمن وهبه؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾.^(٢) ومن منطلق ما وهبه الله سبحانه من حرية أصبح الإنسان بما مسؤولاً عن تصرفاته، وذلك من مظاهر تكريم الله للإنسان وتفضيله له على كثير من المخلوقات، والكرامة الإنسانية في الإسلام لجنس الإنسان فهي شاملة كل فرد من أفرادها من دون استثناء وتقييد يستوي في ذلك المسلم الذي يؤمن بالقرآن وبالسنّة، وغير المسلم، كما سيأتي بيانه في مباحث هذه الدراسة.

والإسلام جاء باحترام الشخصية الإنسانية؛ والشخصية الإنسانية لا تكون إلا مع الحرية؛

(١) سورة الإسراء، آية ٧٠-٧١.

(٢) سورة الإنسان، آية ٣.

(٣) سورة الشمس، آية ٧-١٠.

حرية الإقامة، وحرية الانتقال، وحرية التدين، وحرية الفكر والرأي؛ ولذلك كان الإسلام والتحكم نقيضين لا يجتمعان؛ فليس لإنسان أن يتحكم في غيره. (١)

● أهمية الدراسة:

١- زيادة الاهتمام بقضايا الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية، لارتباطها بأمن واستقرار الفرد والمجتمع. فمع أهمية الجهد العلمي الذي بُذل من الباحثين في تناول قضايا الحرية وقضايا الكرامة الإنسانية؛ فإن عدم إفراد قضية حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام ببحث مستقل يبين حدودها جعل من الواجب أن يتم تناول هذه القضية ببحث مستقل.

٢- حماية الحرية الشخصية في إطار الكرامة الإنسانية تعزز لدى الفرد المسلم وغير المسلم الشعور بالأمن؛ وتدفعه إلى التعبير عن مشاعر التسامح، والرغبة في التواصل مع غيره بما يحقق السلم والأمن، والتعايش، والازدهار في إطار مجتمع يسوده جو من التكافل والتكامل.

٣- تُعد العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية من القضايا التي لم يتم تناولها بالقدر الكافي من الدراسة والبحث، وبيان مظاهر تفوق الإسلام على جميع القوانين الوضعية من خلال وضعه للحدود التي من شأنها حفظ كرامة الإنسان وحرية الشخصية.

٤- إن من لوازم حق الكرامة ومتطلباتها أن يحترم الإنسان كرامة الآخرين، وألا تكون ممارسة الإنسان لحيته الشخصية مجالاً للتعدي على حرية الآخرين، وحفظ كرامته في حضرته، وألا يهان في غيبته، سواء كان هذا الإيذاء معنوياً أو حسيّاً، فكما حرم الإسلام الإيذاء البدني؛ حرم الإساءة اللسانية أيضاً من الهمز، واللمز، والتنازب بالألقاب، والسخرية، والغيبة،

(١) انظر: المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، محمد أبو زهرة، ص ١٨٧-١٨٨، دار الفكر العربي، القاهرة.

والشتم، وسوء الظن بالناس، وما إلى ذلك من المعاملات المحرمة في الإسلام.

٥ - إن مفهوم حدود الحرية الشخصية اليوم تتنازعه العديد من العقائد والاتجاهات الفكرية التي قد تسير بالإنسان إلى ميادين يمتتها التباعد، أو التباين، ومع تطور الحضارة الغربية المعاصرة و ما تحمله من مظاهر تقدم وازدهار ونمو، إلا أنه ما زالت ضئيلة أمام ما يحمله دين الإسلام من قيم إنسانية سامية تعزز من حرите الشخصية، وتحفظ كرامته الإنسانية.

● أهداف البحث:

- ١- بيان مفهوم الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام.
- ٢- بيان أهمية الكرامة الإنسانية والحرية الشخصية في الإسلام.
- ٣- بيان العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام.
- ٤- بيان حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام المرتبطة بالفرد.
- ٥- بيان حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام المرتبطة بالمجتمع.

● تساؤلات البحث:

- ١- ما مفهوم الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام؟
- ٢- ما أهمية الكرامة الإنسانية والحرية الشخصية في الإسلام؟
- ٣- ما العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام؟
- ٤- ما حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام المرتبطة بالفرد؟

٥- ما حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام

المرتبطة بالمجتمع؟

● بيان بالإضافة العلمية لهذه الدراسة:

وأظهرت هذه الدراسة ما يلي:

١ - مشروعية العناية بالحرية الشخصية، وأهميتها في الشريعة الإسلامية؛ وأهمية ربطها بحفظ كرامة الإنسان؛ وسلامة دينه وفطرته.

٢ - المبادئ الأساسية لبناء علاقة صحيحة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام.

٣ - حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية المرتبطة بالفرد، وحدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية المرتبطة بالمجتمع.

● الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث دراسة مستقلة تناولت حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية، فقد بحث فيما تناوله العلماء والباحثون والمفكرون في موضوع الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية وما جاء في كلامهم عن حفظ الإسلام للحقوق، أما الدراسات المعاصرة فقد تناولت جوانب أخرى من جوانب الحرية الشخصية، أو الكرامة الإنسانية، وبعد اطلاع الباحث على الدراسات الأقرب من موضوع الدراسة وجدها على النحو التالي:

أ- حدود وضوابط الحرية في الإسلام- دراسة مقارنة مع المفاهيم المعاصرة، إبراهيم الأمين

يوسف، رسالة دكتوراه غير منشورة. (١)

(١) رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

وتناول الباحث في هذه الدراسة:

- ١- مفهوم الحرية بشكل عام، ومفهوم الحرية الشخصية بشكل خاص.
- ٢- أنواع الحرية وما يتعلق بأحكام الرقيق في الإسلام، والحرية الاجتماعية، والاقتصادية، وما يتعلق بالحرية الشخصية المترتبة بتصرفات الفرد؛ كالتملك وأحكامه في الإسلام، أو السفر وأحكامه.

ب- مقصد الحرية في الشريعة الإسلامية- رؤية في الموازنة بين الحريات الشخصية والمصالح العامة، د. بشير عبدالعالي شمام. بحث علمي محكم منشور.^(١)

وتناول الباحث في هذه الدراسة:

- ١- بيان كيف وازن الإسلام بين الحرية الشخصية والمصالح العامة.
- ٢- إن الإسلام لم يصادر حريات الأفراد باسم المصلحة العامة، ولا أهدر المصلحة العامة باسم صيانة حريات الأفراد من خلال بيان مفاهيم الحرية وأسسها في الغرب وفي الإسلام.

فهذه الدراسات لم تتناول العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية بشكل مباشر من خلال وضع حدود لهذه العلاقة مبنية على مبادئ دين الإسلام وقيمه. فالذي يميز هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات هو:

- ١ - أن تلك الدراسات لم تتناول موضوع حدود العلاقة بشكل مباشر ومحدد، ودراستي محددة بالعلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية.

(١) بحث علمي محكم منشور، مجلة الشريعة والقانون، جامعة إفريقيا العالمية، كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية العدد الثاني عشر، ٢٠٠٨م.

٢- لم تتطرق تلك الدراسات لحدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية؛

من خلال الوقوف على المبادئ الرئيسة التي تبني عليها هذه العلاقة.

منهج البحث:

قام الباحث في هذه الدراسة باستخدام منهجين من مناهج البحث العلمي، وهما:

١- منهج الاستدلال والاستنباط: وهو ما يقوم على التأمل في أمور جزئية ثابتة لاستنتاج أحكام منها^(١). ويستند المنهج الاستنباطي إلى: "مجموعة من الحدود الأولية، والتعريفات، والبداهيات، والمصادرات، وينتقل منها في إطار مجموعة من قواعد الاشتقاق الصارمة إلى ما يترتب عنها من نتائج أو نظريات"^(٢).

٢- المنهج الاستقرائي: "وهو ما يقوم على التتبع لأمر جزئية مستعيناً على ذلك بالملاحظة، والتجربة، وافترض الفروض لاستنتاج أحكام عامة منها"^(٣).

واستخدم الباحث هذا المنهج بنوعيه: الاستقراء التام: "وهو ما يقوم على حصر جميع الجزئيات للمسألة التي هي موضوع البحث، والتتبع لِمَا يعرض لها، مع الاستعانة بالملاحظة في جميع جزئيات المسألة. والنوع الثاني الاستقراء الناقص: "وهو ما يقوم على الاكتفاء ببعض جزئيات المسألة، وإجراء الدراسة عليها، بالتتبع لِمَا يعرض لها، والاستعانة بالملاحظة في هذه الجزئيات المختارة؛ وذلك لإصدار أحكام عامة تشمل جميع جزئيات المسألة التي لم تدخل

(١) مناهج البحث العلمي، عبدالرحمن بدوي، ص ١٨-٨٢، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧م.

(٢) المدخل إلى مناهج البحث العلمي، د. محمد محمد قاسم، ص ٥٨، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

(٣) - مناهج البحث العلمي، عبدالرحمن بدوي، ص ١٨، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧م.

تحت الدراسة".^(١)

● تقسيمات الدراسة:

المقدمة، وتشمل:

- ١ - أهمية الدراسة، وأسباب اختيارها.
- ٢ - أهداف الدراسة.
- ٣ - تساؤلات الدراسة.
- ٤ - الدراسات السابقة.
- ٥ - منهج الدراسة.
- ٦ - تقسيمات الدراسة.

التمهيد: ويشمل مفهوم الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام، ومكانة الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام.

المبحث الأول: العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام.

المبحث الثاني: حدود العلاقة بين الكرامة الإنسانية والحرية الشخصية المرتبطة بالفرد.

المبحث الثالث: حدود العلاقة بين الكرامة الإنسانية والحرية الشخصية المرتبطة بالمجتمع.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

(١) البحث العلمي حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه، د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيع، ص ١٧٩،

الجزء الأول، مكتبة العبيكان، الطبعة السادسة، ١٤٣٣ هـ.

التمهيد

ارتبط مصطلح الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية بحقوق الإنسان في المواثيق والمعاهدات والنصوص القانونية؛ كون رعاية الحرية الشخصية وحفظ كرامة الإنسان أصل الحقوق، وأولى الواجبات، وقد تم تداول مصطلح الحرية الشخصية ومصطلح الكرامة الإنسانية وفق عدد من المفاهيم التي اجتهد في صياغتها مجموعة من العلماء والباحثين والمفكرين وفق منطلقاتهم الدينية، أو الفكرية، أو القانونية.

إن الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية بمفهومهما العام أو الخاص تضمنتهما قيم الإسلام وتشريعاته، فهما قيمتان أساسيتان حفظهما الإسلام للإنسان؛ أيًا كان هذا الإنسان مسلمًا، أو كافرًا، أبيضًا أو أسودًا، فالحرية في حقيقتها مرتبطة بالكرامة الإنسانية، وهذا الارتباط يكون واضحًا في جانب الممارسة، سواء كانت هذه الممارسة عملية، أو معنوية ذهنية.

وفي هذا التمهيد بيان لمفهوم الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية، ومكانتهما في الإسلام؛ من خلال الوقوف على عدد من التعريفات والمفاهيم التي بينت ذلك.

أولاً: مفهوم الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية:

١- مفهوم الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام:

معلوم أن الإنسان في شريعة الإسلام هو محور الاهتمام، ومحل العناية؛ فلاجله جاء هذا الدين، وهو المخاطب به، وحياته المكرمة جاءت أحكام الإسلام مراعية لحاجاته، فهو مكرم من جهة خالقه لمجرد إنسانيته، وهذه قاعدة عامة في الإسلام؛ فكل تشريعات الإسلام المتعلقة بالإنسان تتوافق مع هذه القاعدة ولا تتناقض معها. وحفظ الحقوق من أعظم التكريم و"كل ما كان من حقوق الله - سبحانه وتعالى - فلا خيرة للمكلف، وأما ما كان من حق

العبد في نفسه فله فيه الخيرة".^(١)

والتكريم الإلهي الذي يعمّ الناس كافةً بصرف النظر عن أصله وفصله، ودينه وعقيدته، ومركزه وقيمته في الهيئة الاجتماعية مستمدٌ من قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَهُمْ فِي الْوَهْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٢). و"الكرامة الإنسانية هي مصدر الحقوق الأساسية كلها؛ وهي التي تميزه عن سائر المخلوقات"^(٣)؛ "فالإسلام أولى الوجود المادي والمعنوي للإنسان أهمية كبرى؛ فقد أكد على الصلاح والإصلاح للوجود المعنوي الذي يتميز به"^(٤). وأقر حرية الذات، حرم الاعتداء على الإنسان بالقتل، أو الضرب، كما حرم الاعتداء على ماله بسرقة، أو غصبه، أو نهبه، أو أخذه بغير رضاه، ولا أن يُعتدى على عرضه بانتهاكه، أو قذفه، بل لا يجوز أن تُمتن كرامته، أو يؤذي أحاسيسه ومشاعره. ومصدر هذه الحرية كتاب الله - سبحانه وتعالى - الذي خلق الإنسان، ومنحه الحياة، وأمره بعدم الخضوع لغيره سبحانه، وكرمه بالعقل، فجعله أفضل مخلوقاته، وأمر ملائكته بالسجود له^(٥). وهذا هو أصل الكرامة الإنسانية.

فتعريف الحرية الشخصية يرتبط بتعريف الكرامة الإنسانية من عدة وجوه، فهي عكس

(١) الموافقات، الامام الشاطبي، الجزء الثاني، ص ٢٦٢، تحقيق مشهور أبو عبيدة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، دار ابن عفان، الرياض.

(٢) سورة الإسراء، آية ٧٠.

(٣) الكرامة الإنسانية في ضوء المبادئ الإسلامية، عبدالعزيز التويجري، ص ٨-٩، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة إيسيسكو، الطبعة الثانية.

(٤) خصائص التشريع الإسلامي، الدريني، ص ٩٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٣٤هـ.

(٥) انظر كفالة الحريات في الإسلام، فالح بن عبد الرحمن بن فالح الصغير، رسالة دكتوراه غير منشورة: قسم السياسة الشرعية، المعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام، ١٤٠٥هـ-١٤٠٦م، ص ٥٩.

العبودية، أو الرق، أو كما تسميها القوانين الحديثة بجرمة الاتجار بالبشر، فحفظها حفظ للكرامة الإنسانية؛ وما يندرج تحت مصطلح العبودية من تصرفات مجرمة، " وهذا ما تدل عليه مقولة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- مخاطبًا فيها عمرو العاص -رضي الله عنه-: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا"^(١)، فهي تدل على أن الأصل اليقيني الذي يثبت لكل إنسان يوجد على وجه الأرض أنه حر طليق الإرادة في تصرفاته واختياراته من غير خضوع لإرادة أحد من البشر، ولا تكون تصرفاته مملوكة لأحد من الناس".^(٢)

فعرفة كلمة الحرية بأنها: "كلمة أخذت من وصف الحر؛ فالحر والحرية متلاقيان في المؤدى وإن كانت الحرية وصفاً؛ والحر موصوف؛ والحر حقاً هو الشخص الذي تتجلى فيه المعاني الإنسانية العالية، ويضبط نفسه، فلا تتدلى إلى سفاسف الأمور؛ ولا ينطلق وراء أهوائه وشهواته؛ ولا يكون عبداً لها؛ فالحر يبتدئ بالسيادة على نفسه؛ وإطلاق إرادته وعقله من قيود شهوته.

وإذا كان الحر هو الذي يضبط نفسه؛ ولا يذل ويأنف من أن يهضم حق نفسه؛ وبالتالي لا يعتدي على حق غيره؛ فالحر لا يمكن أن يكون معتدياً؛ لأنه يسيطر على أهوائه وشهواته؛ ولأنه يعطي غيره ما يعطيه نفسه؛ ولأنه يحس بالمعاني الإنسانية التي يجب أن يلتزمها بالنسبة لغيره؛ حقاً وصدقاً هو الذي يقدر الحرية في غيره كما يقدرها في نفسه".^(٣)

(١) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ابن القيم الجوزية، ص ٩٩، تحقيق، حلمي محمد إسماعيل، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، دار ابن خلدون، الأردن.

(٢) فضاءات الحرية بحث في مفهوم الحرية في الإسلام، سلطان بن عبدالرحمن العميري، ص ٦٩، الطبعة الثانية، ٢٠١٣م، المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة.

(٣) المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، محمد أبو زهرة، ص ١٨٧-١٨٨، دار الفكر العربي، القاهرة.

وعُرِّفت الحرية الشخصية من خلال تعريف (النفس) بأنها: "الحالة التي يكون فيها الإنسان مالِكًا لتصرفات نفسه واختياراته من غير ارتكان لإرادة أحد من الخلق، ولا خضوع له، ويمكن أن نعرِّف الحرية النفسية بأنها وضع قانوني يعطي الشخص الحق الكامل في تصرفاته، واختياراته في تدبير شؤون حياته"^(١). وعُرِّفت من جهة أخرى بأنها: "هي أن يكون تصرف الشخص العاقل في شؤونه بالأصالة تصرفاً غير متوقف على رضا أحد آخر"^(٢). وعُرِّفها آخرون بأنها: "صفة الرشد التي تجعل الشخص أهلاً لأن يتحمل الالتزامات، ويعقد باسمه مختلف العقود المشروعة من بيع وشراء وهديّة ورهن"^(٣).

وعُرِّفت الحرية الشخصية (الذاتية) بأنها: "الحالة التي يكون الإنسان فيها مالِكًا لتصرفات نفسه، واختياراته من غير ارتكان لإرادة آخر من الخلق، ولا خضوع له، أو أنها وضع قانوني يعطي الشخص الحق الكامل في تصرفاته، واختياراته في تدبير شؤون حياته"^(٤)، أو تصدق بأن يكون تصرف الشخص العاقل في شؤونه بالأصالة تصرفاً غير متوقف على رضا أحد آخر"^(٥).

-
- (١) فضاءات الحرية بحث في مفهوم الحرية في الإسلام وفلسفتها وأبعادها وحدودها، ص ١٦٧.
- (٢) مقاصد الشريعة، الإمام الطاهر بن عاشور، ص ٣٩٠، تحقيق محمد الطاهر المساوي، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، دار النفائس، الأردن.
- (٣) الحرية في الإسلام، محمد الخضر حسين، ص ٢٤، الطبعة الأولى، ٢٠٢١ م، مؤسسة هنداي، لندن، بريطانيا.
- (٤) فضاءات الحرية، ص ١٦٨.
- (٥) مقاصد الشريعة، الطاهر بن عاشور، ص ٣٩.

٢- مفهوم الحرية في الكتابات الغربية الحديثة:

يتجه مفهوم الحرية الشخصية في الكتابات الغربية الحديثة إلى مجموعة الحقوق التي تتصل بالفرد، وهي حق الأمن، وحرمة المسكن، وحق الإقامة والتنقل.^(١) فعرفت "بأن يكون الشخص قادرًا على التصرف في شؤون نفسه، وفي كل ما يتعلق بذاته، آمنًا من الاعتداء عليه في نفس، أو عرض، أو مال، أو مأوى، أو أي حق من حقوقه على ألا يكون في تصرفه عدوان على غيره".^(٢) وجاء في مقدمة اتفاقية الحقوق المدنية، والسياسية، والحقوق الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية سنة ١٩٦٦ م ما يلي: "إن الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة الدولية وبحقوقها المتساوية التي لا يمكن التصرف بها بشكل ما استنادًا للمبادئ المعلنة في ميثاق الأمم المتحدة على أساس الحرية والعدالة والمساواة"^(٣).

إن مفهوم الحرية في الكتابات الغربية الحديثة يعني غياب العقبات والعراقيل أمام طريق الاختيارات التي قد يقرر الإنسان السير عليها، ليس طريق الاختيارات الفعلية فقط؛ وإنما طريق الاختيارات الكامنة أيضًا، ولقد كانت حرية الفرد ولا تزال أي مسألة الحدود التي لا يجوز لسلطة الدولة -علمانية كانت أو دينية- عادة تجاوزها، فهي الباعث للنقاش، وللصراع

(١) انظر: الإسلام والحرية الشخصية- رؤية مقارنة، عبدالله يسري عبدالغني، ص ١٠١، المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، العدد السابع، ٢٠٠٧ م.

(٢) السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية، عبد الوهاب خلاف، ص ٣٨، دار القلم، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م.

(٣) اتفاقية الحقوق المدنية والاجتماعية والثقافية سنة ١٩٦٦ م، موقع

الأمم المتحدة- <https://www.ohchr.org/ar/instruments-mechanisms/instruments/international-covenant-civil-and-political-rights>.

الفلسفي حول مفهوم الحرية وحدودها وقد تبلورت مسألة الحرية وتفرعت دلالاتها في التاريخ الأوربي الحديث. (١)

ومسألة الحرية في الفكر الغربي تجاوزت عدة حدود، وانتهت إلى التأكيد بأن الحرية عبارة عن ممارسات واقعية خاصة يحدد مفهومها أصحاب القوة والسلطة والمال الذين يمارسون إكراهًا خفيًا قد يتخذ صورًا تبلغ من الدقة والخفاء درجة لا يشعر بها الضحية عند ممارسة عمله، وهو ما يحصل فعليًا في المجتمعات الديمقراطية؛ حيث تسيطر الدولة والمؤسسات الرأسمالية على أدوات الاتصال والتعليم والتثقيف؛ مما يجعل لها نفوذًا عظيمًا على عقول الجماهير، وتكثيف أذواقها؛ مما يكفل إدارة اللعبة السياسية في الإطار المحدد لها، وبالإضافة إلى هذا العامل الخارجي - ولعله الأهم - سواء أكان عائدًا إلى سيطرة الاندفاعات والنزوات أم غياب الوعي، ونقص المعرفة. (٢)

ثانيًا: مكانة الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام:

اختصَّ الله - عزَّ وجل - الإنسان من بين خلقه بأن كرمه وفضله وشرفه، فلإنسان شأنٌ ليس لسائر المخلوقات؛ فقد خلقه البارئُ تعالى بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته إكرامًا له، وإظهارًا لفضله، وأتخذ - سبحانه - من هذا الإنسان الخليلَ والكليمَ والوليَّ والخواصَّ والأخبار، وجعله مَعْدِنَ أسراره، ومحلَّ حكيمته، وموضعَ مشوبته.

و قد بين الإسلام مكانة الحرية الشخصية و الكرامة الإنسانية في عدة جوانب هي:

- (١) انظر مسألة الحرية في مدونة ابن عاشور، جمال الدين دراوول، ص ١٤٢، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
- (٢) انظر: الحرية الشخصية في إطار الحريات العامة، د. بشير عبدالعالي شمام، ص ١٠٥ - ١٠٦، مجلة التنوير المعرفي، مجلة علمية مُحكَّمة، العدد السابع، ٢٠٠٩م، الخرطوم السودان.

أولاً: حسن الخلق:

إنَّ تَكْرِيمَ الْإِنْسَانِ فِي الْقُرْآنِ هُوَ تَكْرِيمٌ لِذَاتِهِ الْإِنْسَانِيَّةِ قَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^(١)، وتكريمٌ لِدَوْرِهِ فِي إِعْمَارِ الْأَرْضِ ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾^(٢)، فهذا التَّكْرِيمُ هُوَ اسْمُ جَامِعٍ لِكُلِّ الْحَيِّرِ، وَالشَّرَفِ، وَالْفَضَائِلِ.

ومن إكرام الله للإنسان أن أوجده بعدما لم يكن شيئاً مذكوراً، ولا يُعرف له أثر؛ قال -عز وجل- ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(٣)، ومن كرامة الإنسان أن خلقه الله مجبُولاً على الإيمان؛ قال - سبحانه - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾^(٤).

ومن مظاهرها أن الإنسان كرمه الله -تعالى- بحسن الصورة من بين سائر المخلوقات بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(٥)، وذكره بإحسان هذا الخلق، فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾^(٦).

(١) سورة التغابن، آية ٣.

(٢) سورة هود، آية ٦١.

(٣) سورة الإنسان، آية ١.

(٤) سورة الروم، آية ٢٠.

(٥) سورة التين، آية ٤.

(٦) سورة الانفطار، الآيات ٦ - ٨.

ثانيًا: الخلافة وإعمار الأرض:

تعكس خلافة الإنسان في الأرض أسمى مراتب التَّكْرِيمِ الإلهي؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)، ولتحقيق هذه الخلافة سَخَّرَ اللهُ سبحانه وتعالى للإنسان السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ وما بينهما؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرًا وَبَاطِنًا ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ﴾^(٢)، وذكر نِعْمَهُ على بني آدم، وأنه سَخَّرَ لَهُمْ ما في السماوات وملائكة تحوطهم، وتجرُّ إليهم منافعهم، وما في الأرض عامًّا في الجبال، والأشجار، وتعكس خلافة الإنسان فيها أسمى مراتب التَّكْرِيمِ من الله سبحانه قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

والخلافة الإلهية هي أكبر كرامة، وأعظم مكانة يتحلى بها الإنسان على الأرض، ولما كان الله سبحانه وتعالى متصفًا بصفات الكمال؛ إذا لا بد أن يكون خليفته صاحب شرف وكرامة.

ثالثًا: العقل والقدرة على الإدراك:

أكد ذلك القرآن الكريم وفصله؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ

(١) سورة البقرة، آية ٣٠.

(٢) سورة لقمان، آية ٢٠.

(٣) سورة البقرة، آية ٣٠.

وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿١﴾، فكان العقل الذي ميز الله به الإنسان هو أسمى مظاهر تكريمه؛ ليتفكر ويتدبر في خلق الله؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٢)، فيه اطلع على ما شاء الله من العوالم السماوية، والآيات الكونية التي أدركها، وما زال يدركها مستقبلاً مما يتيح الله له إدراكها، وسبر أغوارها، والاطلاع عليها. كما كرمه بالكلام والإفصاح، وتعلم اللغات، والكتابة والنطق، وعلمه ما لم يكن يعلم، مصداقاً للهدى القرآني؛ قال تعالى ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (٣)، وقال تعالى ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (٤).

رابعاً: تسخير الكون للإنسان:

سخر الله عز وجل للإنسان ما في السماوات وما في الأرض، وهداه إلى التفكير بعقله وإدراكه والسعي بعمله إلى البحث في أسرار الكون، واستجلاء آفاقها، فحقق هذا التقدم المذهل، وتوصل إلى هذه الكشوف والاختراعات التي سمت بحياة الإنسان وبقدره، فحقق بها إرادة الله فيه كما أكد ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (٥).

(١) سورة الإسراء، آية ٧٠.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٩٠.

(٣) سورة الرحمن، آية ١-٤.

(٤) سورة النساء، آية ١١٣.

(٥) سورة الجاثية، آية ١٣.

المبحث الأول

العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية

جاء الإسلام ليؤكد على أصالة الكرامة الإنسانية، وليرسخ في الإنسان إحساسه بكرامته، وليقوي تمسكه بها، وصونه لها، وذوده عنها؛ لإنها جوهر إنسانيته، ولُبّ بشريته، وأساس حياته. فقد راعت المبادئ الإسلامية أن الإنسان أكرم الخلق، وأنه يحمل الأمانة العظمى، وأنه مستخلف عن الله -تعالى- في الأرض ليعمرها، وليقيم الموازين بالقسط، وليعبد الله وحده لا يشرك به أحدًا، فكان الإسلام باعثًا للكرامة الإنسانية، وحافظًا لها، بما جاء به من مبادئ سامية تصون للإنسان حرمة، وترعى كرامته.

وفي هذا البحث يبين الباحث أن الحرية الشخصية ترتبط بالكرامة الإنسانية بثلاثة روابط رئيسة، الأول هو رابط المصلحة، والثاني هو رابط الضرر، والثالث المسؤولية. وهذه الروابط الثلاثة هي ما تتشكل منها حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية بشكل عام في الإسلام. إلا أن هذه الحدود تختلف في نوعها ومحدداتها باختلاف ما ترتبط به، ومن هنا يعتقد الباحث أنها ترتبط بمجهتين رئيسيتين: حدود ترتبط بالفرد مباشرة، وحدود ترتبط بالمجتمع.

وهذه الروابط الرئيسية الثلاثة للعلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية؛ سواء كانت الحرية الشخصية تتعلق بحرية الرأي، أو حرية التعبير، أو حرية التصرف؛ فعندما تتسبب الحرية الشخصية في فوات مصلحة أو حدوث ضرر سواء كانت هذه المصلحة للفرد أو للجماعة دينية أو دنيوية؛ هنا يكون التعدي على الكرامة الإنسانية؛ لأنه سبق الحديث عند التعريف بالكرامة الإنسانية في الإسلام أن المراد بها حفظ مكانة الإنسان من التعدي المعنوي أو المادي، ولا شك أن تفويت مصلحة للإنسان أو التسبب في وقع الضرر عليه هو أوضح

صور التعدي على كرامته. ولدفع الضرر وحفظ المصلحة لا بد أن يتحلى الفرد بالمسؤولية تجاه نفسه ومجتمعه، وفيما يلي بيان هذه الروابط الثلاثة:

أولاً: رابط حفظ المصلحة:

الحرية الشخصية في الإسلام مرتبطة برعاية المصلحة، ودرء المفسدة، وهذه من مقتضيات الكرامة الإنسانية وجوهرها، والمصلحة هنا يُنظر لها من عدة جوانب: "الجانب الأول: قيمة المصلحة في ذاتها من حيث كونها معتبرة أو ملغاة أو مرسلة أو وهمية. فمقاصد الشارع في وضع الشريعة ثلاثة أقسام أحدها أن تكون ضرورية، والثاني: أن تكون حاجية، والثالث: أن تكون تحسينية".^(١)

فإن درء المفاسد مصالح؛ بل إنها مصالح من باب أولى؛ لأن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، و"القاعدة العامة فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تراخمت؛ فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تراخمت؛ فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد؛ وتعارضت المصالح والمفاسد؛".^(٢)

فالشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق مصالح الفرد والجماعة معاً، "إن الشارع -عز وجل- قاصد لمصالح العباد؛ والأحكام العادية تدور حيشما دارت، فتزى الشيء الواحد يُمنع في حال لا تكون فيه مصلحة؛ فإذا كان فيه مصلحة جاز؛ كالدهرم بالدهرم إلى أجل يمتنع في المبايعه، ويجوز فيه القرض، وبيع الرطب باليابس يمتنع حيث يكون مجرد غرر وربما من غير

(١) انظر: الموافقات في أصول الشريعة، الجزء الثاني، ص ٨.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، الجزء الثامن والعشرون، ص ١٢٩، تحقيق، عبدالرحمن بن

محمد بن قاسم، طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

مصلحة، ويجوز إذا كان فيه مصلحة راجحة^(١). والمصالح قد تتعارض و لو ترك لكل واحد الحرية المطلقة لاستأثر بالمصالح دون غيره، "ومبنى الشريعة على دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما، وتحصيل أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما؛ بل بناء مصالح الدنيا والدين على هذين الأصلين".^(٢)

والقدرة مناط التكليف في الإسلام في فروض الأعيان، وفروض الكفاية؛ "ومن تتبع مقاصد الشرع في جلب المصالح ودرء المفساد حصل له من مجموع ذلك اعتقاد أو عرفان بأن هذه المصلحة لا يجوز إهمالها، وأن هذه المفسدة لا يجوز قربانها، وإن لم يكن فيها إجماع ولا نص ولا قياس خاص، فإن منهم نفس الشرع يوجب ذلك، ومثال ذلك أن من عاشر إنساناً من الفضلاء والعقلاء، وفهم ما يؤثره ويكرهه في كل ما ورد وصدر، ثم سنحت له مصلحة أو مفسدة لم يعرف قوله، فإنه يعرف بمجموع ما عهده من طريقته، وألفه من عادته أن يؤثر تلك المصلحة، ويكره تلك المفسدة".^(٣)

ولذا فإنه لا يجوز لمن لا علم له بالقضايا المعروضة للنظر أن يدلي فيها برأيه بدعوى الحرية الشخصية؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.^(٤)

والمصالح تختلف وتتعدد باختلاف الأشخاص وتنوع الحاجات "فالمصالح أربعة أنواع:

(١) الموافقات، الشاطبي، الجزء الثاني، ص ٣٠٥.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، الجزء الثاني، ص ١٩٣، المكتبة العامة بيروت.

(٣) قواعد الأحكام، العز بن عبدالسلام، ص ١٨٩، الجزء الثاني، دار المعرفة، بيروت.

(٤) سورة النساء، آية ٨٣.

الذات وأسبابها؛ والأفراح وأسبابها، والمفاسد أربعة أنواع: الآلام وأسبابها، والغموم وأسبابها، وهي منقسمة إلى دنيوية وأخروية؛ ومن أفضل لذات الدنيا لذات المعارف وبعض الأحوال^(١). "وأعني بالمصالح ما يرجع إلى قيام حياة الإنسان وتمام عيشه؛ ونيله ما تقتضيه أوصافه الشهوانية والعقلية"^(٢). و"المصلحة: هي جلب المنفعة أو دفع المضرة"^(٣).

والإسلام عظم من شأن رعاية مصالح العباد، والعدل والإحسان لهم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٤). "وهذه هي أجمع آية في القرآن للحث على المصالح كلها، والزجر عن المفاسد بأسرها"^(٥). وقد أجمع العلماء على أن الشريعة قد جاءت لمراعاة مصالح العباد في العاجل والآجل، وأن مقاصد الشريعة جاءت لتحقيق السعادة الحقيقية لهم في الدارين، ولم يشذ عن هذا الإجماع أحد ممن يُعتد بقوله^(٦). و"إن الشريعة مبناه وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها،

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبدالسلام، الجزء الأول، ص ١١-١٢، دار المعرفة، بيروت.

(٢) الموافقات، الشاطبي، الجزء الثاني، ص ٢٥، تحقيق عبدالله دراز، دار المعرفة، بيروت.

(٣) روضة الناظر، الامام عبدالله ابن قدامة، ص ٣٤٥، تحقيق د. شعبان محمد اسماعيل، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، المكتبة التدمرية، الرياض.

(٤) سورة النحل، آية ٩٠.

(٥) قواعد الأحكام، العز بن عبدالسلام، الجزء الثاني، ص ١٨٩، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٦) انظر الأحكام في أصول الأحكام، الإمام علي الآمدي، الجزء الثالث، ص ٤١١، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، المكتب الإسلامي، دمشق.

ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة، وإن أُدخِلت فيها بالتأويل".^(١)

ثانياً: رابط دفع الضرر:

ترتبط العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية من حيث نفي الضرر "وهو نفي فكرة الثأر مجرد الانتقام، لأن هذا يزيد في الضرر ويوسع دائرته، فمن أتلف مال غيره مثلاً لا يجوز أن يقابل بإتلاف ماله، لأن في ذلك توسعة للضرر بلامنفعة، وذلك بخلاف الجناية على النفس أو البدن مما شرع الله فيه القصاص، لأن الجنایات يجمعها إلا عقوبة من جنسها".^(٢)

و الضرر تتعدد صوره فهو يربط بكل ما يمكن أن يؤدي الإنسان في دينه أو بدنه أو نفسه أو أهله، فهو تجاوز على الحقوق و العدوان عليها قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنِ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٣)، "أي يبادرون إلى ذلك من تعاطي المآثم والمحارم، والاعتداء على الناس وأكلهم أموالهم بالباطل ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ أي: لبئس العمل كان عملهم، وبئس الاعتداء اعتداؤهم".^(٤) والعدوان لا يكون على الكرامة الإنسانية من خلال ظلم الناس فمن صوره "الإخلال بالعدالة في

(١) إعلام الموقعين، ابن القيم، الجزء الثالث، ص ١٤.

(٢) المدخل الفقهي العام، مصطفى أحمد الزرقا، ص ٩٧٩، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، دار القلم، دمشق.

(٣) سورة المائدة، آية ٦٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ص ١٤٤، الجزء الثالث.

المعاملة" (١)، أو " الاعتداء في قول أو فعل أو حال". (٢)

والقرآن الكريم ذكر كلمة الضرر في عدة مواضع؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيَبْنَنَّ
أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَلَا تَنْخِذُوا أَيْدِي اللَّهِ هُزُومًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ
وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ
أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ
بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ
ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾. (٤)

والرسول محمد ﷺ حذر من الضرر كله؛ لِمَا يمثله من تعدد على الحقوق التي كفلها الإسلام
للخلق، "فعن عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: "لا ضرر ولا ضرار" (٥)؛
"فهو داخل تحت أصل قطعي في هذا المعنى فإن الضرر والضرار ميثوث منعه في الشريعة كلها في
وقائع جزئيات وقواعد كلييات". (٦)

(١) مفردات القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٥٥٣.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤف المناوي، ص ٥٠٨، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، عالم
الكتب، القاهرة.

(٣) سورة البقرة، آية ٢٣١.

(٤) سورة البقرة، آية ٢٣٣.

(٥) أخرجه ابن ماجه (٢٣٤١) مختصراً، وأحمد (٢٨٦٥) باختلاف يسير.

(٦) الموافقات، الشاطبي، الجزء الثالث، آية ٨.

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ، قال: "لا ضرر ولا ضرار؛ من ضار ضاره الله ومن شاق شاق الله عليه".^(١) و"الضرر بالضم والفتح: كل ما كان سوء حال وفقر وشدة في بدن فهو ضر بالضم؛ وما كان ضد النفع فهو بفتحها. والضرر فعل الواحد، والضرار فعل الاثنتين؛ فالضرر إلحاق مفسدة بالغير مطلقاً؛ والضرار: مقابلة الضرر بالضرر، وفسره بعضهم بألا يضر الرجل أخاه ابتداءً ولا جزاء"^(٢). "والذي يصح في النظر: أن ليس لأحد أن يضر بأخيه سواء ضره أم لا؛ إلا أن ينتصر ويعاقب إن قدر؛ بما أبيح بالحق؛ وليس ذلك ظلمًا ولا ضرارًا إذا كان على الوجه الذي أباحته الشريعة"^(٣).

ثالثًا: رابط التحلي المسؤولية:

لفظ المسؤولية من الألفاظ المحدثثة التي يراد بها التبعة، يقال: أنا بريء من مسؤولية هذا العمل؛ أي من تبعته، وقيل المسؤولية ما يكون به الإنسان مسؤولاً ومطالبًا عن أمور أو أفعال أتاها. والمسؤولية عند أرباب السياسة: الأعمال التي يكون الإنسان مطالبًا بها"^(٤). والمسؤولية يُعبّر عنها في الإسلام بالتكليف أيضًا "فهي تعني كون الفرد مكلفًا بأن يقوم

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٣٤١) واللفظ له، وأحمد (٢٨٦٥) مطولاً.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي، ص١٣٦، الجزء الأول، المكتبة العلمية بيروت، ولسان العرب، محمد ابن منظور الأنصاري، ص٤٤-٤٥، الجزء الثامن، الطبعة الثامنة، ١٤١٤هـ، دار صادر، بيروت.

(٣) بحجة قلوب الأبرار، الشيخ عبدالرحمن السعدي، ص٤٩، تحقيق عبدالرحمن الدريبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، مكتبة الرشد.

(٤) انظر: دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبدالله دراز، ص١٣٨، تحقيق عبدالصبور شاهين، الطبعة الأولى، ١٤٤٦هـ، مؤسسة الرسالة، الرياض.

ببعض الأعمال وبأن يقدم عنها حسابًا إلى غيره وينتج عن هذا التحديد أن فكرة المسؤولية تشتمل على علاقة مزدوجة من ناحية الفرد المسؤول بأعماله وعلاقته بمن يحكمون على هذه الأعمال، والمسؤولية قبل كل شيء هي استعداد فطري؛ إنها هذه المقدرة على أن يفني بعد ذلك بالتزامه بواسطة جهوده الخاصة".^(١)

وقد عبّر عنها المتقدمون أيضًا بالأهلية، وهي صلاحية الإنسان لأن تعتبر أقواله وأفعاله، وهذه الأهلية نوعان: قاصرة: باعتبار قوة البدن وذلك ما يكون للصبي المميز قبل أن يبلغ أو المعتوه بعد البلوغ؛ فإنه بمنزلة الصبي من حيث إن له أصل العقل وقوة العمل بالبدن، وليس له صفة الكمال في ذلك حقيقة ولا حكمًا؛ والكاملة: تُبنى على قدرتين قدرة فهم الخطاب وذلك يكون بالعقل، وقدرة العمل به وذلك بالبدن. ثم يُبنى على الأهلية القاصرة صحة الأداء، وعلى الكاملة وجوب الأداء وتوجه الخطاب به؛ لأن الله -تعالى- قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾.^(٢)

وقبل التمييز والتمكن من الأهلية لا وجه لإثبات التكليف بالأداء؛ لأنه تكليف، وممارستها مسؤولية ما لا يطاق و"الاستعداد الفطري الذي جبل الله -تعالى- عليه الإنسان ليصلح للقيام برعاية ما كلفه به من أمور تتعلق بدينه وديناه؛ فإن وئى ما عليه من الرعاية جعل له الثواب؛ وإن كان غير ذلك جعل له العقاب"^(٣). وقد نفى الله -تعالى- ذلك بهذه

(١) انظر: معجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس قلنجي - حامد صادق قنيبي، ص ٤٢٥، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٨٦.

(٣) انظر المسؤولية والجزاء في القرآن الكريم، محمد إبراهيم الشافعي، ص ٤٧، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، مكتبة المطبوعات، القاهرة.

الآية" (١). وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ (٣)، وقال ﷺ: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" (٤).

والمسؤولية ملازمة للواجب "فيراد بالمسؤولية الشعور بأداء الواجب، والإخلاص في العمل، وليست المسؤولية مجرد الإقرار؛ فإن الجزم بالشيء لا يعطي صفة المسؤولية، وإنما يجد المتحسس بها أن هناك واجبات لا بد من الانقياد إليها؛ بغض النظر عن النتائج؛ فإن إنقاذ الغريق مما يشعر الشخص بالمسؤولية في إنقاذه إذا كانت له القدرة على الإنقاذ؛ وإن دفع الظلم ممن له القدرة على دفع الظلم يجب على ذلك الشخص أن يدفع عن المظلوم وهو مسؤول عن الترك، فالمسؤولية تختلف بلحاظ الأفراد وبلحاظ المجتمعات" (٥).

ومن المسؤولية تطبيق المساواة القائمة على العدل فهي مبدأ رئيس تقوم عليه خدمة المجتمع في الإسلام، فقد اعتبر الإسلام مبدأ المساواة عقيدة أساسية يجب أن يدين بها المسلم، وأن يحرص عليها، ويتصف بها، ويطبقها في حياته كلها، وجعل ذلك أساساً ومبدأً تقوم عليه حياة الناس، فقال - سبحانه وتعالى - في القرآن الكريم: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٦﴾﴾. فالناس

(١) أصول السرخسي، للإمام أحمد ابني سهل السرخسي، ص ٣٤٠، تحقيق أبو الوفاء الأفعاني، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، دار الكتب العلمية. بيروت.

(٢) سورة الحجر، آية ٩٢-٩٣.

(٣) سورة القيامة، آية ٣٦.

(٤) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) مطولاً.

(٥) انظر: أصول السرخسي، الجزء الثاني ص ٣٤٠، دار المعرفة، بيروت.

(٦) سورة الحجرات، آية ١٣.

جميعاً متحدرون من أب واحد، وأم واحدة، وأن تقسيمهم كذلك ليتعارفوا ويتمازجوا، ويجب بعضهم بعضاً، وليتكاملوا لصالح الجماعة كلها، والبشرية كلها.

كما قام هذا المبدأ على أمر آخر؛ وهو تمييز الإنسان على سائر المخلوقات، باعتباره أسماءها وأكرمها عند الله، (ولقد كرمنا بني آدم)؛ أي تكريم الجنس البشري كله، ولم يخص فرداً دون آخر. كما شملت عنده المساواة بين الذكر والأنثى، وهم متكاملون بعضهم من بعض، ولا فضل لأي منهما على غيره؛ بل الفضل في ذلك للخالق: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾^(١)، فليس بينهم فرق في جوهر الطبيعة، أو في الأصل، وهم جميعاً مسؤولون ومثابون أو معاقبون: ﴿يَنَاءِيهَا الْنَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢).

لقد أوجب الإسلام تطبيق حق المساواة، والتمسك به في جميع نواحي الحياة، ونادى بالعمل به في الحقوق المدنية، والمسؤولية، والعقاب، وفي جميع الحقوق العامة. ومن أجل هذا يعتبر الإسلام بني البشر جميعاً متساوين في طبيعتهم البشرية، ولا تفاضل بينهم بحسب الخلق، أو العنصر، أو السلالة، أو اللون، وإنما هم يتفاضلون بكفائتهم وأخلاقهم وأعمالهم.

وقد عمل الرسول ﷺ بقوله وفعله طوال حياته على تطبيق هذا المبدأ الإسلامي العظيم، باعتباره أصلاً من أصول الإسلام، وأساساً من الأسس التي يقوم عليها مجتمع المسلمين. وقد غضب غضباً لم يُر مثله على وجهه عندما سمع أبا ذر الغفاري يتحدث على بلال ويعيره بلونه قائلاً: "يا ابن السوداء"، فزجره الرسول ﷺ ورده بقوله: "يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك

(١) سورة آل عمران، آية ١٩٥.

(٢) سورة النساء، آية ١.

امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم حولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، ويلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم". (١)

فاستجاب أبو ذر لأمر الرسول ﷺ، ووضع خده على الأرض، وأقسم أن يطأه بلال برجله توبة وتكفيراً عما صدر عنه من أخلاق الجاهلية. وإن أفضلية الإسلام وريادته في هذا المجال تظهر في أنه لا يقر المبادئ الضالة التي عرفتها الإنسانية قبله.

وقد شجبت الإسلام تلك الامتيازات التي قامت في مجتمع الهنود والرومان واليونان، من تمييز الناس بعضهم على بعض، بحسب العنصر أو الجنس، أو التكوين؛ ولذلك حرم التفاضل الذي ميز الشعوب عن بعضها، والأوصاف التي أطلقتها على نفسها "كالشعب المختار" و"شعب الله"، ومن "شعوب ناقصة"، وأخرى "كاملة الإنسانية" بحسب نشأتها وطبيعتها الأولى، وبالتالي ذلك التمييز الذي قام بين الناس تبعاً لتلك الأوصاف، فهذا كله حرمه الإسلام وألغاه، واعتبره جاهلية وانحطاطاً للإنسانية عن مكانتها الرفيعة التي وضعها الله فيها بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾. (٢)

وتطبيقاً لهذا المبدأ وعملاً به؛ لا يقر الإسلام هذه الدعاوى الجاهلية التي عادت إلى الظهور، وانتشرت اليوم، من التمييز بين الشعوب حسب ألوانها، واعتبار الرجل الأبيض سيد العالم، وتمييزه في المعاملة وسائر الحقوق عن الرجل الأسود: في التعليم، والوظائف، كما يحصل الآن في بعض الدول الإفريقية، وبعض مدن أمريكا مثلاً.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (٢٥٤٥) واللفظ له، ومسلم في صحيحه حديث رقم (١٦٦١).

(٢) سورة النساء، آية ١.

فقد شمل تطبيق الإسلام وتقريره لمبدأ المساواة جميع مظاهر حياة الإنسان، سواء فيما يتعلق بتقدير القيمة الإنسانية المشتركة، أو فيما يتعلق بالحقوق، والمسؤولية، والجزاء، أو فيما يرتبط بشؤون الاقتصاد تحقيقًا لخير الناس واستقرارهم وسعادتهم، وأحاطه بسياس من الرعاية والحماية من كل الخراف أو عبث أو زيغ، حتى كان مظهرًا من مظاهر سمو الدين الإسلامي، وسمو تعاليمه التي حققت للإنسانية وللناس الأمن والطمأنينة والاستقرار. فالمساواة تكون في القيمة الإنسانية المشتركة؛ ويعني ذلك أن الناس جميعًا متساوون في طبيعتهم البشرية؛ إذ إنهم من أصل واحد، وطبيعة واحدة: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾^(١). وأنه ليس هناك فرد أو جماعة تتميز عن غيرها بحسب عنصرها وخلقها الأول، إنما التفاضل يكون بأمر خارجة عن طبيعتهم وعنصرهم وسلالتهم؛ أي على أساس التقوى والعمل الصالح.

والمساواة تكون في الحقوق والمسؤولية والجزاء؛ وتقوم هذه المساواة على أساس أن العدل الإسلامي له ميزان واحد، وتطبيق واحد على جميع الناس في جميع شؤون الحياة، حقوقًا، ومسؤولية، وجزاء، انطلاقًا من قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٢)، ويؤكد هذا المعنى رسول الله ﷺ بقوله: "إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها".^(٣) وهو ما ذهب إليه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في رسالة القضاء إلى أبي موسى الأشعري قائلاً: "آس بين الناس في وجهك ومجلسك، وعدلك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من

(١) سورة طه، آية ٥٥.

(٢) سورة المائدة، آية ٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم (١٦٨٨).

عدلك".^(١)

وكذلك سوى الإسلام بين الناس في حق العمل، وجعله حقًا مشاعًا بين الناس، وحث عليه، ورغب فيه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾^(٢)، ودعاهم أن يمارسوا أعمالهم، ويعودوا إليها إثر الفراغ من صلاة الجمعة كما أكد ذلك القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾^(٣). وقد عمل النبي في الرعي وفي التجارة لزوجته خديجة قبل أن ينبأ ويرسل إلى الناس، وحب العمل إلى صحابته ليكسبوا ولا يكونوا عالة على غيرهم، ولم تقتصر التسوية بين أفراد المجتمع الإسلامي على المسلمين؛ بل شملت التسوية بين المسلمين وغير المسلمين فللذميين ما لنا من الحقوق، وعليهم من الواجبات ما على المسلمين مثلهم، وعلى الدولة أن تقاتل عنهم كما تقاتل عن رعاياها من المسلمين؛ بل إن المسلمين - وخاصة حكامهم - مطالبون بأكثر من ذلك في مقابل أهل الذمة بحسن المعاملة والحماية.

(١) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، رقم الحديث (٢٦١٩) المؤلف / المشرف: محمد ناصر الدين الألباني المترجم: بدون الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى سنة الطبع ١٣٩٩هـ.

(٢) سورة الملك، آية ١٥.

(٣) سورة الجمعة، آية ١٠.

المبحث الثاني

حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية المرتبطة بالفرد

ترسم حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية المرتبطة بالفرد من خلال الوقوف على شكل العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية، واتجاهاتها، والمستهدف منها، وهو الفرد وما يحمله من روح وجسد، ويقصد بالحد: "الفصل بين الشيئين لئلا يختلط أحدهما بالآخر، أو لئلا يتعدى على الآخر، وجمعه حدود. وفصل بين الشيئين: حد بينهما، ومنتهى كل شيء حده".^(١) ومن خلال النظر إلى ما تفرضه العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية من حفظ لمصلحة ودفع لضرر عنه وقيامه بمسؤوليته تجاه نفسه قال الله تعالى: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَتَمَّ يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّٰ فَاَتَمَّ يَضِلُّ عَلَيْهَا ۗ وَلَا نُزِرُ وَأِرْزُ وَزَرَّ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۗ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿أَلَا نُزِرُ وَأِرْزُ وَزَرَّ أُخْرَىٰ ۗ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۗ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۗ﴾^(٣).

وتحدد العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية المرتبطة بالفرد من كون أن حرمة الشخصية هي حرية انتهاج أسلوب حياة خاص بالفرد، يريده ويختاره، بعيداً عن أي شخص آخر، ويمارسه كما يريد دون أن يتعدى الحدود الموضوعية مع تمتع الشخص مالك هذه الحرية بجميع الحقوق التابعة لحياته الخاصة من الحفاظ على سريتها، وعدم نشرها للعامة^(٤)، وعرفت

(١) لسان العرب، ابن منظور، الجزء الثاني، ص ٧٩٩-٨٠٠، مادة حدد، طباعة دار المعارف، مصر،

١٩٨١ م.

(٢) سورة الإسراء، آية ١٥.

(٣) سورة النجم، آية ٣٨-٤٠.

(٤) انظر الحرية الجنائية لأسرار الأفراد في مواجهة النشر، طارق أحمد سرور، ص ٢٣، دار النهضة

الحياة الخاصة أيضًا على أساس المساس بها بأنها: "الانتهاك الجدي لحق شخص آخر، ودون وجه حق، بصورة تجعله عرضة لأنظار الآخرين، وبهذا يكون المعتدي مسؤولاً أمام المعتدى عليه".^(١)

وكون أن الإنسان نفسه "هو البدن والروح معًا، وقد يطلق اسمه على أحدهما دون الآخر بقرينة"^(٢)، ومن خلال ما ذكر فيكون للحرية الشخصية المرتبطة بالفرد حدان رئيسان، الحد الأول يتعلق بجوانب الروح، وهو الحد المعنوي للحرية الشخصية. والثاني يتعلق بجانب الجسد، وهو الحد المادي للحرية الشخصية.

الأول: الحدود المعنوية للحرية الشخصية:

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۗ ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۗ ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۗ ﴿١٠﴾﴾^(٣). فالله - سبحانه وتعالى - أقسم بالنفس ومن سواها، وركب فيها قواها الباطنة والظاهرة، ثم بيّن بعد ذلك أثر هذه التسوية؛ فقال: (فألهمها فجورها وتقواها) أي فألهم كل نفس الفجور والتقوى، وعرفها حالها بحيث تميز الرشد من الغي، ويبين لها الهدى من الضلال. "فالتوحيد والإيمان أعظم ما تنزكي به النفس، وكان الشرك أعظم ما يدنسها، وتنزكي بالأعمال الصالحة والصدقة، وهذا كله مما ذكره السلف في التنزيك. قالوا في

١٩٩١م، القاهرة.

(١) حرمة الحياة الخاصة في ظل التطور العلمي الحديث، عبدالعظيم محمد محمد، ص ٤١٣، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الحقوق، ١٩٨٨م.

(٢) كتاب الروح، الإمام ابن قيم الجوزية، ص ٥١٩، تحقيق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، الجزء الأول، دار عالم الفوائد للنشر.

(٣) سورة الشمس، آية ٧-١٠.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ من تطهر من الشرك ومن المعصية بالتوبة. فالآية تتناول كل ما يركى به الإنسان من التوحيد والأعمال الصالحة". (١)

والحماية الشخصية يقصد بها حماية نفس الفرد من أي اعتداء نفسي أو جسدي، فلا يمكن لأي فرد بداعي الكرامة الإنسانية أن يعتدي على فرد آخر؛ أو أن يسمح بأن تُمس شخصية الفرد نفسياً؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَاْفٍ مَّهِينٍ ۗ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ۗ ﴿١١﴾ (٢) مهين: أي خسيس النفس، ناقص المهمة، ليس له همة في الخير؛ بل إرادته في شهوات نفسه الخسيسة، والهماز: أي كثير العيب للناس، والطعن فيهم بالغيبة، والاستهزاء، وغير ذلك، مشاء بنميم: أي يمشي بين الناس بالنميمة، وهي نقل كلام بعض الناس لبعض بقصد الإفساد بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء". (٣)

وقال تعالى: ﴿ يَتَّيِبُهُا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكُ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۗ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ (٤). وقال نبينا محمد ﷺ في بيان الغيبة: "أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَحَاكَ مَا يَكْرَهُ. قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَحِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا

(١) تزكية النفس، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٤٩-٥٠، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، دار المسلم

للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

(٢) سورة القلم، آية ١٠-١١.

(٣) تفسير القرآن الكريم، الشيخ عبدالرحمن بن سعدي، ص ٨٧٩، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، تحقيق

عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الرياض.

(٤) سورة الحجرات، آية ١٢.

تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبَّتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَّتَهُ"^(١). وقال ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا إِخْوَانًا، وَلَا يَخْطُبُ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَنْكِحَ أَوْ يَتْرُكَ"^(٢). وقد تحدث العلماء في مصلحة حفظ النفس عند حديثهم عن المقاصد العامة للنفس لِمَا يمثله ذلك من حفظ: "الوجود الحسي الواعي المتكامل الشامل للروح والجسد المتلازمين اللذين لا ينفصل أحدهما عن الآخر"^(٣).

وكل هذه السلوكيات التي شملها النهي في الآيات الكريمة السابقة هي لحفظ نفس الفرد وروحه، ورعايتهما من كل ما قد يضر بها^(٤).

وحفظ النفس يكون من خلال الاطلاع على: "الغايات والوسائل التي وضعها الشارع الحكيم، وأنزلها على محمد ﷺ، والتي تهدف أصالة إلى حماية الذات البشرية من كل ما يخل بها من جانب الإيجاد، والوجود، والعدم"^(٥). والنفس البشرية يتعلق بها حقان: حق الله

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، حديث رقم (٢٥٨٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم (٥١٤٣).

(٣) الأصول العامة، وهبة الزحيلي، ص ١٣٠، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م، المكتبة العباسية، دمشق.

(٤) فالروح "هي جسم مخالف بالمهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم. فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف؛ بقي ذلك الجسم اللطيف متشابكاً لهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية. وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح - المصدر "كتاب الروح، ابن القيم، ص ٥٢١.

(٥) مصلحة حفظ النفس في الشريعة الإسلامية، د. محمد أحمد المبيض، ص ١٢١، الطبعة الأولى،

١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

وحق العبد "وجناية الإنسان على أعضاء نفسه بتفاوت إثمها بتفاوت منافع ما جنى عليه.. وليس لأحد أن يتلف ذلك من نفسه؛ لأن الحق في ذلك كله مشترك بينه وبين ربه".^(١)

وسُميت النفس نفسًا "إما من الشيء النفيس لنفاستها وشرفها، وإما من تنفس الشيء إذا خرج. فلكثرة خروجها ودخولها في البدن سُميت نفسًا. ومنه النفس - بالتحريك-، فإن العبد كلما نام خرجت منه، فإذا استيقظ رجعت إليه، فإذا مات خرجت خروجًا كليًا، فإذا دُفن عادت إليه، فإذا سئل خرجت، فإذا بُعث رجعت إليه. فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات، لا فرق بالذات".^(٢)

فالنفس البشرية ارتبط صلاحها بحفظها للفطرة السوية التي خلقها الله - سبحانه وتعالى - عليها فقد خلق الله الإنسان، ومنحه فطرة سوية يعرف بها الخير، وينكر بها الشر، والنفس الزاكية هي التي تستجيب لنداء فطرتها، وسوي خلقتها، فتقبل على الخير، وتتعرف على المعروف فتتهفو إليه، وتجنّب من الشر، وتتنكر للمنكر، وتلوم عليه، كل ذلك في بصيرة واعية، وإدراك يقظ، ومراقبة كاملة، ومتابعة دقيقة؛ لأنه يؤمن أنها مجزية عن الخير خيرًا، وعن السوء سوءًا.

ومن ثم حتم على كل ذي عقل آمن بالله واليوم الآخر أن يدرك مسؤوليته تجاه ذاته، فلا يغفل عن مراقبة ربه، وإيقاظ ضميره، ومحاسبة نفسه، ومناقشتها في كل ما أتى وما تذر، ففي ذلك طهرها وفلاحها. ومراعاة نفوس الخلق، ورعايتها، والعناية بها لِمَا لها من أثر من تأليف القلوب؛ قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبدالسلام، ص ١٣٠، الجزء الأول، الطبعة الثانية،

١٩٨٠م، دار الجليل، بيروت.

(٢) كتاب الروح، الإمام ابن القيم، ص ٦١٦.

حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ (١).

الثاني: الحدود المادية للحرية الشخصية:

حفظ الإنسان في بدنه، وماله، وعرضه، ومنع الاعتداء عليه من المبادئ التي قامت عليها الحرية الشخصية في الإسلام؛ لرعاية الكرامة الإنسانية للمسلم وغير المسلم؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ أَجَلِي ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ (٣) "والعدوان هنا بمعنى ولا أن تتجاوزوا ما حذَّ الله لكم في دينكم، وفرض لكم في أنفسكم وفي غيركم" (٤). وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَرَأَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْثِلَهُمُ الشُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ (٥) "أي يبادرون إلى ذلك من تعاطي المآثم والمحارم، والاعتداء على الناس، وأكلهم أموالهم بالباطل (لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)؛ أي:

(١) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

(٢) سورة المائدة، آية ٣٢.

(٣) سورة المائدة، آية ٢.

(٤) جامع البيان، الامام محمد بن جرير الطبري، الجزء التاسع، ص ٤٩٠، بدون تاريخ طبع، دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

(٥) سورة المائدة، آية ٦٢.

لبئس العمل كان عملهم، وبئس الاعتداء اعتدائهم". (١)

وقال النبي ﷺ بمى في تحريم الاعتداء على الناس: "أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قالوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ، أَفَتَدْرُونَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قالوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: بَلَدٌ حَرَامٌ، أَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قالوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: شَهْرٌ حَرَامٌ قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا". (٢)

فالاعتداء ليس مقصوراً على الاعتداء على البدن، وإنما يشمل الاعتداء على العرض، والاعتداء على المال، فكل ما هو مرتبط بالإنسان فهو محل حفظ ورعاية، فقد "عنيت الشريعة الإسلامية عناية فائقة بكل ما يكفل إيجاد نفس بشرية سوية، وهذا يلحظ من خلال تشريعاتها وضوابطها المتعددة التي تكفل تحقيق هذه الغاية السامية، ويتضح ذلك من خلال بيان الخطوط العامة لهذه التشريعات التي تضبط طريقة الإنجاب وطبيعته، والوسائل الكفيلة بإيجاده، والحض عليه، ومحاربة موانعه، واعتبر الشارع الحكيم أن النكاح هو الوسيلة الوحيدة الكفيلة بإيجاد نفس بشرية سوية.

ولئن كان وجود النسل ممكناً بطرق غير الزواج؛ وذلك من خلال التقاء الذكر بالأنثى بعيداً عن ضوابط الزواج، إلا أن هذا النسل بدون الزواج لا يمكن أن تنهياً له الظروف الاجتماعية والنفسية التي تكفل له الحياة الرشيدة السليمة، بعيداً عن الانحراف الخُلقي، والشذوذ، وشيوع الجريمة، وما ينتج عن ذلك من ضياع للنشء، وخروجه للمجتمع كما تخرج

(١) تفسير القرآن العظيم، الامام إساعيل ابن كثير، الجزء الثالث، ص ١٤٤، تحقيق سامي السلامة، الطبعة

الثانية، ١٤٢٠هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث ٦٠٤٣.

السائمات بلا ضوابط؛ مما يخرج المجتمع الإنساني عن إنسانيته إلى طور الحيوانية"^(١).
 "والنكاح هو الصورة الوحيدة التي اعتبرها الإسلام لحفظ النسل والنوع الإنساني من الزوال والانقراض، بالإنجاب والتوالد، وإقامة الأسرة التي يتم من خلالها تربية النشء تربية إيجابية بعيدة عن الانحراف والسلبية، والاضطرابات النفسية والاجتماعية"^(٢). وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَجَدَكُمْ مِنْهَا رَحِمًا وَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا رَحِيمًا﴾^(٣)، و"النكاح يعتبر الوسيلة الوحيدة الأضمن لحفظ النسب الراجع إلى صدق انتساب النسل إلى أصله، وحفظ النسب له أثره الجليلي المباشر في دفع النسل إلى البر بأصله، والأصل إلى الحنو والرأفة، والعناية بنسله"^(٤).

والحدود التي تتعلق بالمال "يراد بالمال ما يميل إليه الطبع، ويمكن ادخاره لوقت الحاجة، والمالية تثبت بتمول كافة الناس أو بعضهم، والتقويم يثبت بها، وبإباحة الانتفاع به شرعاً، فما يباح بلا تمول لا يكون مالاً؛ كحبة حنطة، وما يتمول بلا إباحة انتفاع به شرعاً لا يكون متقوماً كالخمر، وإذا عدم الأمران لم يثبت واحد منهم كالدلم"^(٥). "ولا يقع اسم المال إلا على ما له قيمة يباع بها، ويلزم متلفه وإن قلت، وما لا يطرحه الناس مثل الفلوس وما أشبه ذلك"^(٦). و"لقد جاءت الشريعة الإسلامية لحفظ نظام الأمة وتقويتها، ولا يكون ذلك إلا

(١) مصلحة حفظ النفس في الشريعة الإسلامية، ص ١٦٣-١٦٤.

(٢) مقاصد الشريعة، ابن عاشور، ص ١٥٧.

(٣) سورة النساء، آية ١.

(٤) مقاصد الشريعة، ابن عاشور، ص ١٦٢.

(٥) حاشية ابن عابدين، تحقيق أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، الجزء السابع، ص ٧.

(٦) الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، ص ١٩٧، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، دار الكتب

بضبط وتنظيم الأموال التي عنيت الشريعة الإسلامية بها، وأولتها القدر الكبير من الاعتبار والاهتمام، وباستقراء أدلة الشريعة من القرآن والسنة نجد العديد من الآيات والأحاديث الدالة على أن المال هو قوام الأمة، وبه تقضى حاجات أفرادها، وتيسر أحوالهم ومعايشهم.

ولا أدل على ذلك من اعتبار الإسلام للزكاة ركنًا ثالثًا من أركان الإسلام؛ بل وجعلها

شعارًا يفرق بين المسلم والكافر، وقرينة للصلاة في كثير من الآيات؛ يقول الله تعالى: ﴿

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾^(١). كما دلت آيات أخرى على أهمية المال في القيام بمصالح الأمة

اكتسابًا وإنفاقًا؛ قال تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ

وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغِشُّوا فِيهِ

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾^(٢). ويقول تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن

فَضْلِ اللَّهِ ﴿٢٠﴾^(٤)^(٣). "والمقصود الشرعي في الأموال كلها خمسة أمور هي: الزواج،

والوضوح، والحفظ، والثبات، والعدل فيها"^(٥). وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا

العلمية، بيروت.

(١) سورة التوبة، آية ٧١.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٦٧.

(٣) سورة المزمل، آية ٢٠.

(٤) مقاصد الشريعة الإسلامية في حفظ المال وتنميته، محمد بن سعد المقرن، رسالة دكتوراه غير منشورة،

١٤٢٠ هـ، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

(٥) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، الجزء الثاني، ص ٤٠٠.

تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا
أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ (١).

(١) سورة النساء، آية ٢٩.

المبحث الثالث

حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية المرتبطة بالمجتمع

تعتبر حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية المرتبطة بالمجتمع إحدى القضايا التي تفاعلت بشأنها مختلف الاتجاهات النظرية، فحدود العلاقة المجتمعية هي ذات طبيعة فردية بالأساس، وانطلاقاً من الحدود الفردية تتشكل الحدود المجتمعية؛ والعكس صحيح أيضاً، فالحدود المجتمعية هي المسؤولة عن تشكيل الحدود الفردية. وتتشكل الحدود في الإسلام في كون الفرد الصالح هو أساس المجتمع الصالح؛ وبصلاح الفرد يصلح المجتمع؛ ولذلك عُني الإسلام برسم الحدود، وتحديد الضوابط للحرية الشخصية حتى تُحفظ من خلالها الكرامة الإنسانية.

والإسلام وضع للإنسانية نظاماً محكمًا، ومنهجًا كاملاً لانتظام الحياة، وتدير أمور الناس ليقوموا بالقسط، وليحيا حياة دنيوية مستقيمة آمنة، بلاغاً للحياة الآخرة، وصرافاً لها، مصداقاً للهدى القرآني الكريم: ﴿وَإِنَّ أَلَدَارَ الْآخِرَةِ لَهِيَ الْخَيْرَاتُ لَهِيَ الْخَيْرَاتُ لَهِيَ الْخَيْرَاتُ﴾ (١). و"وجه الإسلام الناس لبناء مجتمع إنساني جديد يقوم على جملة من الأسس، يشترك فيها جميع البشر، ووضع نظاماً صالحاً لكل زمان ومكان، فهو مجتمع يوحد الإيمان بالله، مجتمع ملتزم بما أمر الله تعالى، وبما جاء به النبي ﷺ، إنه مجتمع قائم على العدل؛ ذلك أنه يؤمن بأن الله ودين الله هو العدل، فالعدل أساس من أسس قيامه، والعدل جوهر جميع شؤونه، مجتمع يقوم على المساواة، والتفاضل فيه يكون بالتقوى؛ قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ إِنَّ اللَّهَ

(١) سورة العنكبوت، آية ٦٤.

عَلِمَ خَيْرٌ ﴿٢﴾ (١).

والله سبحانه وتعالى عندما خاطب المسلمين في القرآن الكريم خاطبهم ببيان أعظم ما أنعم الله سبحانه وتعالى عليهم من الخيرية؛ قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ (٣).

وتتشكل حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية المرتبطة بالمجتمع في الإسلام، أو كما يمكن أن تسمى بالحياة العامة، والتي يقصد بها "الحياة التي يجيهاها الشخص في المجتمع مع أقرانه، أو هي الحياة الخارجية للفرد" (٤)، بمبادئ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد جاء بيان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أكثر من موضع في القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ (٥)؛ وقال تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ

(١) سورة الحجرات، آية ١٣.

(٢) انظر المسؤولية الاجتماعية تجاه الأمن، سليمان بن عبدالله العقيل. بحث علمي محكم في مجلة التربية العدد (١١١)، سنة ٢٠٢٢م، كلية التربية، جامعة الأزهر.

(٣) سورة آل عمران، آية ١١٠.

(٤) الحماية القانونية للحياة الخاصة، عبدالوهاب الأزرق، ص ١١٩، مجلة إدارة قضايا الحكومة، الأردن، ١٩٥٩م.

(٥) سورة آل عمران، آية ١١٠.

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ (١).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من لوازم صلاح حياة البشر؛ "فكل بشر على وجه الأرض: لا بد له من أمر ونهي، ولا بد أن يؤمر ويُنهى؛ حتى لو أنه وحده لكان يأمر نفسه وينهاها: إما بمعروف وإما بمنكر، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أُنزِلَتْ نَفْسِي إِلَّا نَفْسًا لَّامِرَةً ﴾ بالسوء إِلَّا مَا رَجَعْتَنِي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ (٢)، فإن الأمر: هو طلب الفعل وإرادته، والنهي: طلب الترك وإرادته، ولا بد لكل حي من إرادة وطلب في نفسه، ويقتضى بها فعل نفسه ويقتضى بها فعل غيره، إذا أمكن ذلك. فإن الإنسان حي يتحرك بإرادته. وبنو آدم لا يعيشون إلا باجتماع بعضهم مع بعض.

وإذا اجتمع اثنان فصاعداً، فلا بد أن يكون بينهما ائتمار بأمر، وتناهٍ عن منكر" (٣). و"المعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه، والمنكر ما ينكر بقبحه بالبصر أو البصيرة، وهو كل فعل يحكم العقل الصحيح بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول فتحكم بقبحه الشريعة" (٤). و"المعروف هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس. وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات

(١) سورة التوبة، آية ٧١.

(٢) سورة يوسف، آية ٥٣.

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد السيد الجليلند، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٤هـ.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٤٥، تحقيق صفوان داووي، الطبعة الرابعة، ١٤٣٠هـ.

، دار القلم، دمشق.

والمقبحات، وهو من الصفات الغالبة؛ أي أمر معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه، والمنكر هو ضد المعروف^(١). "فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف، والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر، وهذا نعت النبي ﷺ والمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(٢).

وهذا واجب على كل مسلم قادر، وهو فرض على الكفاية، ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره، والقدرة هي السلطان والولاية، فذوو السلطان أقدر من غيرهم، وعليهم من الوجوب ما ليس على غيرهم، فإن مناط الوجوب هو القدرة، فيجب على كل إنسان بحسب قدرته^(٣).

وقد وجد الباحث أن حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية المرتبطة بالمجتمع تتمثل في مبادئ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام تتشكل حدودها في ثلاثة موضوعات رئيسة وفقاً للكتابات المعاصرة في قضايا المجتمع الأول: الأول الذوق العام، والثاني العلاقات العامة، والثالث خدمة المجتمع.

أولاً: العلاقات الاجتماعية:

الالتزام المبني على القيم الأخلاقية في العلاقات الاجتماعية في الإسلام يعتبر أصل في بناء العلاقات بين أفراد المجتمع، سواء كان هذا الالتزام قائم على قيم أخلاقية أو عهود أو

(١) النهاية في غريب الحديث، محمد الجزري ابن الأثير، ص ٦٦، تحقيق علي بن حسن الحلبي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، دار ابن الجوزي، الرياض.

(٢) سورة التوبة، آية ٧١.

(٣) انظر الحسبة في الإسلام، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص ١١، دار الكتب العلمية، بيروت.

موثيق، والعلاقات الاجتماعية تندرج تحت معنى العلاقات العامة "فالعلاقات العامة إطار عام يشمل في طياته العلاقات الإنسانية التي تعتبر جزءاً لا يتجزأ عن العلاقات العامة".^(١) و لأن العلاقات العامة تعتمد على جانب الممارسة لذا فهي تقوم على حسن المعاملة والصدق و الإخلاص في التعامل مع الآخرين وكل هذه القيم الأخلاقية وغيرها لا تكون إلا من خلال حفظ الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية للفرد والمجتمع، وتعتبر العلاقات العامة في الإسلام أساس المجال التطبيقي لعلم الأخلاق والسلوك والدعوة في ميدان التفاعل مع الآخرين، ومن ذلك العلاقات العامة، ويظهر ذلك جلياً في أسلوب الدعوة الإسلامية، وما أثمرت من انتشار الدين الإسلامي في مناطق شاسعة من العالم من خلال الدعوة الإسلامية، و ذلك أيضاً من خلال الاهتمام بالرأي العام، ومن خلال إقرار مبدأ الشورى^(٢). قال تعالى:

﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾^(٣).

وقال نبينا محمد ﷺ: "ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؛ أفشوا السلام بينكم"^(٤). ومن أهم مظاهر الكرامة البشرية أن الإسلام لم يفرق في حق الحياة بين أبيض وأسود، ولا بين شريف ووضيع، ولا بين حر وعبد، ولا بين رجل وامرأة، ولا بين كبير وصغير، لأنّ هذا التكريم تكريم إلهي، وليس بسبب توافر خصائل مادية، وتضافر عناصر مكسوبة؛

(١) أسس العلاقات العامة وتطبيقاتها، حمود عبدالعزيز البدر، ص ٩٦، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، الرياض.

(٢) انظر مدخل إلى العلاقات العامة الإنسانية، د. علي فايز الجحني، ص ٤٠، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث (٥٤).

وقال الرسول ﷺ: « يا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى ». (١)

ثانياً: خدمة المجتمع:

من الحقوق الأساسية التي شرعها الإسلام، وقررها للناس، وأوجب تطبيقها والعمل بها؛ حق المساواة الذي يعتبر في شريعة الإسلام أساساً لعلاقات الناس فيما بينهم، ومظهراً من مظاهر العدالة الاجتماعية، وركيزة لكرامة الشخص، واعتبار قيمته الإنسانية. "والمجتمع في الاصطلاح هو جماعة من الناس تربطها روابط ومصالح مشتركة، وعادات وتقاليد وقوانين واحدة، فيقال: مجتمع المدينة-مجتمع اشتراكي-محافظ-عصري-بشري-على هامش المجتمع-مجتمع راقٍ-علية القوم-وجوه المجتمع: سادته وأعيانه". (٢) فالمجتمع يجب أن يحافظ أفراده على سلامته، واستمرار وجوده نقياً متعاوناً متآلفاً متحاباً في ظلال حكومة ترعاه، وأنظمة تسوده، ومفتاح العمل بهذه الخدمة قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٣).

وخدمة المجتمع هي عمل تطوعي يتم من خلاله تقديم المساعدة والرعاية والدعم

(١) أخرجه أحمد (٢٣٤٨٩) باختلاف يسير، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (١٠٠/٣) مختصراً، ومسدد كما في ((تحاف الخيرة المهرة)) للبوصيري (٢٢٦/٣) واللفظ له من حديث أبي نضرة رضي الله عنه.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، الجزء الأول، ص٣٩٦، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

(٣) سورة المائدة، آية ٢.

لآخرين، سواء أكانوا أفراداً أم مؤسسات حسب احتياجاتهم في المجالات المختلفة. "فخدمة المجتمع مهنة نبيلة تشمل نطاقاً واسعاً من الخدمات الاجتماعية، والبرامج الهادفة إلى حماية عقيدة المجتمع، وإلى تنمية المجتمع، وإصلاح شؤونه النفسية والصحية والاجتماعية وغيرها"^(١). "وأن خدمة المجتمع في الإسلام هي نفع الآخرين ابتغاء وجه الله -تعالى-، والسعي في غوث الملهوف، ومساندة الضعيف، وجبر الخواطر، وإكرام كبير السن، ورحمة الصغار، ورعاية السجناء، وذوي الاحتياجات الخاصة، والأرامل واليتامى، أو الفقراء والغارمين، وإعادة تأهيل المدمنين، وتقديم الاستشارات الأسرية، والاقتصادية والقانونية، والاهتمام بالبيئة، وغيرها من وجوه النفع"^(٢).

وهي خدمة المجتمع في الإسلام تنطلق من قيمة الإحسان " فالإحسان فضيلة مستحبة، وذلك كنعف الناس بلمال والبدن والعلم، وغير ذلك من أنواع النفع حتى إنه يدخل فيه الإحسان إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره"^(٣)، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَعَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَعَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٥) وقال النبي ﷺ: " إن الله

(١) مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المجلد العاشر، مادة خ، ص ٢٤، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م-١٤١٩هـ.

(٢) خدمة المجتمع وأهميتها في ضوء نصوص السنة النبوية، د. عبدالواسع بن يحيى المغربي، ص ٨٥، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد ٦، ١٧/٢٠٢٠، أم درمان، السودان.

(٣) تفسير السعدي، ص ٤٤٧.

(٤) سورة البقرة، آية ١٩٥.

(٥) سورة المائدة، آية ٩٣.

كتب الإحسان في كل شيء" (١)، " أي إلى كل شيء، والمراد منه العموم الشامل للإنسان حياً و ميتاً". (٢) و "الاحسان ضد الإساءة ومصدر أحسن أي جاء بفعل حسن" (٣). و "الإحسان نوعان: إحسان في عبادة الخالق: بأن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه. وهو الجد في القيام بحقوق الله على وجه النصح و التكميل لها. وإحسان في حقوق الخلق، وهو بذل جميع المنافع من أي نوع كان، لأي مخلوق يكون، ولكنه يتفاوت بتفاوت المحسن إليهم، وحقهم ومقامهم، وبحسب الإحسان وعظم موقعه، وعظيم نفعه، وبحسب إيمان المحسن وإخلاصه، والسبب الداعي له إلى ذلك." (٤)

ثالثاً: الذوق العام:

من عظمة الله سبحانه وتعالى وإبداعه في الخلق؛ وحدة الجنس، واختلاف النوع، فالواحد من الناس، من الجنس البشري، يتفرد بصفات وسمات وخصائص و لا تتكرر ولا تتطابق تطابقاً كاملاً مع غيره من البشر.

لكن هذا لا يعني أن اختلاف الأذواق بين الناس يتكاثر ويتنوع بعدد سكان الأرض من البشر، فيكون التصادم والتضارب والصعوبة، وربما استحالة الاختيار والتعامل؛ لأنه مع انفراد كل إنسان بذوقه أو مذاقاته الخاصة هناك الذوق العام للجماعة، أو المجتمع، أو الأمة. وهذا الذوق العام يخضع لعوامل ومؤثرات كثيرة ترتبط بالأسرة والبيئة والثقافة والتقاليد والأعراق، والبواعث النفسية والعقائدية والاجتماعية.

(١) رواه مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٩٥٥)، و أبو داوود في سننه ، حديث رقم (٢٨١٥).

(٢) تحفة الأحوذى، المباركفوري، ص ٦٦٤-٦٦٥، الجزء الرابع.

(٣) الفروق اللغوية، للعسكري، الجزء الأول، ص ١٩٣.

(٤) بجهة قلوب الأبرار، السعدي، ص ٢٠٤-٢٠٦.

لكنه - أي الذوق العام - يصنع شيئاً الضبط، والانسجام والتوافق إلى حد ما، فقبول ومطلوب، حتى يتألف الناس في مجتمع معين وتسودهم السكينة والرضى. إنه شيء مضاف، أو متمم للآداب، ومزين للحياة.

و الذوق العام للمجتمع الذي تعيش فيه وتتعامل معه لا يقبل من الرجل أو الفتى أن يرتدي ملابس المرأة أو الفتاة، والعكس بالعكس. أو هو مجتمع يحترم العقيدة الإلهية وشرائعها، فيلزمك أن تستر بملابسك (رجلاً أو امرأة) ما أمر الله أن يُستر، فتفعل. وعند هذا الحد يكون قد تم المطلوب جوازاً أو قبولاً، وشرعاً جوازاً لإرضاء المجتمع، وقبولاً لإرضاء نفسك أو ذوقك الخاص، وشرعاً ينفذ مطلب الدين والعقيدة.^(١)

والإسلام له حدود فيما يتعلق بسلوك المجتمع، فقد نحى عن الإسراف؛ قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ حُدُوًّا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣١) ﴿١﴾. وقال تعالى: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ (٢٦) ﴿٣﴾. ، وقال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ أَقْمِرَ الصُّكُوَّةِ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٧) ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَسْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴿٤﴾. " وأمر بالمعروف وانه عن المنكر - وذلك يستلزم العلم بالمعروف ليأمر به، والعلم بالمنكر لينهى عنه، والأمر

(١) انظر: بتصرف، الإسلام والذوق العام، فؤاد شاکر، ص ٩-١٠، طباعة أوراق شرقية، الطبعة الأولى،

١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، بيروت.

(٢) سورة الأعراف، آية ٣١.

(٣) سورة الإسراء، آية ٢٦.

(٤) سورة لقمان، آية ١٧-١٩.

بما لا يتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لينهى عنه، والأمر بما لا يتم الأمر به وهو الصبر، وقوله تعالى: (وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا^٤)؛ أي: بطراً، وفخراً بالنعمة، ناسياً بالمنعم، معجباً بنفسك، وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ^٥) في نفسه وهيئته وتعاضمه (فَخُورٍ) بقوله. وقوله تعالى: (وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ^٦) أي: أمش متواضعاً مستكيناً، لا مشي البطر والتكبر، ولا مشي التماوت. وقوله تعالى: (وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ) أدباً مع الناس ومع الله: (إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ)؛ أي: أفظعها وأبشعها (لصَوْتِ الْحَمِيرِ^٧)، فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة لما اختص بذلك الحمار الذي قد علمت خسته وبلادته".^(١)

(١) تفسير السعدي، ص ٦٤٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على خير خلقه، وخاتم رسله؛ محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، وبعد،،،
فقد خرجت هذه الدراسة بنتائج التالية:

النتائج:

- ١ - للحرية الشخصية والكرامة الإنسانية خصائص مميزة لها عن بقية القيم التي قدمها القرآن الكريم، والتي يجب أن نتوقف عندها طويلاً لكشف أسرارها من فوائد وأبعاد وتطبيقات.
- ٢ - مفهوم الإسلام للحرية الشخصية والكرامة الإنسانية أبعد من أن يرتبط بنسب، أو حسب، أو جاه، أو منصب، أو مال؛ بل حصره وحدده في أمر واحد هو التقوى، فالأكثر تقوى هو الأكرم على الله، وعلى خلق الله، باعتبار وحدة أصل الإنسان.
- ٣ - المقياس والميزان في كرامة الناس في الإسلام هو العمل الصالح لخير الإنسان، وخير مجتمعه، وما ينفع الفرد والجماعة، والاهتداء إلى الحق، والتمسك به، والتزامه.
- ٤ - يتجه مفهوم الحرية الشخصية إلى عدة اتجاهات رئيسة منها: اتجاه يتناولها من منظور إسلامي، واتجاه آخر يتناولها من خلال الأطروحات الحديثة للمفكرين عن الحرية الشخصية التي تنطلق في أغلبها من منطلقات غربية، واتجاه آخر يتناولها من جانب قانوني.
- ٥ - تتبين مكانة الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام من أمور رئيسة؛ الأمر الأول منها هو حسن خلق الله - سبحانه وتعالى - للإنسان، وخلافة الإنسان على الأرض، وتكليفه بعمارته، وهبة الله - سبحانه وتعالى - العقل للإنسان، وما تحمله هذه الهبة من حسن للإدراك والتصرف، وتسخير الكون له، والأمر الآخر هو أن جعل الله - سبحانه

وتعالى - الإيمان به خيارًا للإنسان؛ فهو يختار مصيرة إلى جنة عرضها السماوات والأرض، أو إلى النار وبئس المصير.

٦ - العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية تقوم على ثلاث ركائز رئيسة هي: المصلحة، وتكون من خلال رعاية الحرية الشخصية لمصلحة الإنسان، وحفظ كرامته، ثم الضرر، ويكون هذا بدفع الضرر الذي قد يحدثه تجاوز الحرية الشخصية إلى التعدي على الكرامة الإنسانية. والركيزة الثالثة هي المسؤولية، ويقصد بها أن الفرد مسؤول عن تصرفاته من خلال حفظه لكرامته، وكرامة غيره.

٧ - تنقسم حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية من وجهة نظر الباحث إلى قسمين رئيسين: الأول حدود ترتبط بالفرد، والثاني حدود ترتبط بالمجتمع.

٨ - حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية المرتبطة بالفرد تتعلق بجانبين: الجانب الأول يتناول الحدود المعنوية من ألفاظ أو سلوكيات تتبين منها مشاعر تؤثر في الفرد. والجانب الثاني الحدود الحسية، وهي ممارسات وتصرفات قد تنال من كرامة الفرد، وتتعدى على حريته.

٩ - حدود العلاقة بين الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية المرتبطة بالمجتمع تتعلق بثلاثة جوانب رئيسة: الجانب الأول منها هو ما يتعلق بالذوق العام للمجتمع، وأهمية مراعاته والعناية به. والجانب الثاني يتعلق بالعلاقات العامة ورعايتها. والجانب الثالث خدمة المجتمع، ويكون من خلال تفعيل قيم الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية في الإسلام إلى ممارسات بناءة تخدم المجتمعات الإنسانية.

١٠ - يتحقق المفهوم السامي للحرية الشخصية والكرامة في الإسلام عند توفر عنصر الاحترام للآخر من خلال عدم انتهاك حريته وخصوصيته، وكل ما يتعلق به، ويُعدّ ذلك واجبًا على

كل إنسان بالحفاظ على الكرامة الإنسانية، وصونها، وعدم انتهاكها، ويشار إلى أنّها مبدأ ثابت لا يمكن التنازل عنه يوماً ما، كما أنّها هدف ومبدأ عالمي تحرص الشعوب والأمم على صونه. والحرية الشخصية تقترن بالكرامة الإنسانية؛ فكلتاها تكمل الأخرى؛ الحرية الشخصية الموافقة لمبادئ وقيم الإسلام هي التي تصون وترعى الكرامة الإنسانية.

التوصيات:

- ١ - الرجوع عند الكتابة في الحرية الشخصية من قبل الباحثين المسلمين إلى قيم الإسلام ومبادئه، مع الاستفادة مما عند الآخرين مما لا يتنافى مع مبادئ الإسلام و أحكامه .
- ٢ - النظرة الشمولية لأبعاد الحرية الشخصية من حيث ارتباطها بالمجتمع وتأثيرها على الفرد وعدم البناء على الجوانب المادية فقط للحرية الشخصية.
- ٣ - البعد عن الطرح العاطفي القائم على الانطباع الآني والذي لا يستوعب البعد التاريخي والثقافي لحدود الحرية الشخصية وارتباطها بالكرامة الإنسانية.
- ٤ - القيم والمبادئ لا يمكن أن تتجزأ، فلا يجب أن تتناول قيمة الحرية الشخصية كقضية بشكل مستقل دون ارتباطها بقيم أخرى عند البحث والكتابة.
- ٥ - القيام بالمزيد من الدراسات والبحوث التي تتناول جانب الحدود الرابطة والضابطة للقيم والمبادئ، والرجوع في مثل هذه الدراسات إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

هذا والله أعلم وأحكم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه،

ومن سار على سنته إلى يوم الدين.

قائمة المصادر والمراجع

- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكنايني الشافعي ، تقديم: فضيلة الشيخ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، المحقق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- الأحكام في أصول الأحكام، الإمام علي الآمدي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ، المكتب الإسلامي، دمشق.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف / المشرف: محمد ناصر الدين الألباني المترجم: بدون الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى سنة الطبع ١٣٩٩ هـ.
- أسس العلاقات العامة وتطبيقاتها، حمود عبدالعزيز البدر، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤١٢ هـ-١٩٩٢ م، الرياض.
- الإسلام والحرية الشخصية- رؤية مقارنة، عبدالله يسري عبدالغني، المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، العدد السابعون، ٢٠٠٧ م.
- الإسلام والذوق العام، فؤاد شاكر، طباعة أوراق شرقية، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م، بيروت.
- الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- أصول السرخسي، للإمام أحمد أبي سهيل السرخسي، تحقيق: أبو الوفاء الأفغاني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤١٤ هـ.

- الأصول العامة، وهبة الزحيلي، الطبعة الأولى، المكتبة العباسية، دمشق، ١٩٧٢م.
- اعلام الموقعين، ابن القيم الجوزية، تحقيق مشهور أبو عبيدة، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٢٣هـ.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد السيد الجليند، دار المجتمع للنشر والتوزيع ١٤٠٦هـ.
- البحث العلمي حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه، د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيعه، مكتبة العبيكان، الطبعة السادسة، ١٤٣٣هـ.
- بهجة قلوب الأبرار، الشيخ عبدالرحمن السعدي، تحقيق عبدالرحمن الدريبي، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، ١٤٢٢هـ
- تزكية النفس، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- تفسير القرآن العظيم، الامام إسماعيل ابن كثير، تحقيق سامي السلامة، الطبعة الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض. ١٤٢٠هـ.
- تفسير القرآن الكريم، الشيخ عبدالرحمن بن سعدي ، الطبعة الأولى مراجعة وتصحيح عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة،. الرياض. ١٤٢٠هـ.
- التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤف المناوي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، عالم الكتب ، القاهرة.
- جامع البيان، الإمام محمد بن جرير الطبري، بدون تاريخ طبع، دار التربية والتراث، مكة المكرمة.
- حاشية ابن عابدين، تحقيق أحمد عبدال موجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

- حدود وضوابط الحرية في الإسلام-دراسة مقارنة مع المفاهيم المعاصرة، إبراهيم الأمين يوسف، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.
- حرمة الحياة الخاصة في ظل التطور العلمي الحديث، عبدالعظيم محمد محمد، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الحقوق، ١٩٨٨م.
- الحرية الجنائية لأسرار الأفراد في مواجهة النشر، طارق أحمد سرور، دار النهضة ١٩٩١م، القاهرة.
- الحرية الشخصية في إطار الحريات العامة، د. بشير عبد العالي شمام، مجلة التنوير المعرفي، مجلة علمية مُحكَّمة، العدد السابع، الخرطوم السودان. ٢٠٠٩م.
- الحرية في الإسلام، محمد الخضر حسين، الطبعة الأولى، مؤسسة هنداوي، لندن، بريطانيا. ٢٠٢١م.
- الحِسْبَة في الإسلام، شيخ الإسلام ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت. بدون سنة طبع.
- حق الحرية في العالم، وهبة الزحيلي، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق، بيروت ١٤٢١هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- الحماية القانونية للحياة الخاصة، عبدالوهاب الأزرق، مجلة إدارة قضايا الحكومة، الأردن، ١٩٥٩م.
- خدمة المجتمع وأهميتها في ضوء نصوص السنة النبوية، د. عبدالواسع بن يحيى المغربي، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، الجزء ٦، العدد ١٧، أم درمان، السودان. ٢٠٢٠م.

- خصائص التشريع الإسلامي، الدريني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٣٤ هـ.
- دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبدالله دراز، تحقيق عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت . الطبعة الأولى، ١٣٤٦ هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥ هـ.
- سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي. بدون سنة طبع.
- السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية، عبدالوهاب خلاف، دار القلم، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م.
- صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- فضاءات الحرية بحث في مفهوم الحرية في الإسلام، سلطان بن عبدالرحمن العميري، الطبعة الثانية، المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة. ٢٠١٣ م.
- قواعد الأحكام، العز بن عبدالسلام، الطبعة لأولى، دار الكتب العلمية، بيروت. ١٤١٤ هـ.
- كتاب الروح، الإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار عالم الفوائد للنشر.
- الكرامة الإنسانية في ضوء المبادئ الإسلامية، عبدالعزيز التويجري، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة إيسيسكو، الطبعة الثانية. العدد الثامن والعشرون، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩ م.
- كفالة الحريات في الإسلام، فالح بن عبدالرحمن بن فالح الصغير، رسالة دكتوراه غير منشورة: قسم السياسة الشرعية، المعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام، ١٤٠٥ هـ-١٤٠٦ م.

- لسان العرب، محمد ابن منظور الأنصاري، الطبعة الثامنة، دار صادر، بيروت. ١٤١٤ هـ.
- المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون سنة طبع.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- المدخل الفقهي العام، مصطفى أحمد الزرقا، الطبعة الأولى دار القلم، دمشق. ١٩٨٣ م.
- مدخل إلى العلاقات العامة الإنسانية، د. علي فايز الجحني، الطبعة الأولى، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية. ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- المدخل إلى مناهج البحث العلمي، د. محمد محمد قاسم، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان. ١٩٩٩ م.
- مسألة الحرية في مدونة ابن عاشور، جمال الدين دراوول، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١ هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت. بدون سنة طبع.
- المسؤولية الاجتماعية تجاه الأمن، سليمان بن عبدالله العقيل. بحث علمي محكم في مجلة التربية العدد (١١١)، كلية التربية، جامعة الأزهر. ٢٠٠٢ م.
- المسؤولية والجزاء في القرآن الكريم، محمد إبراهيم الشافعي، الطبعة الأولى، مكتبة المطبوعات،

القاهرة. ١٩٨٦م.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي، العلمية، بيروت. بدون سنة طبع
- مصلحة حفظ النفس في الشريعة الإسلامية، د. محمد أحمد المبيض، الطبعة الأولى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر. ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبدالحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داووي، الطبعة الرابعة، ١٤٣٠هـ ، دار القلم، دمشق.
- مقاصد الشريعة الإسلامية في حفظ المال وتنميته، محمد بن سعد المقرن، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. ١٤٢٠هـ.
- مقاصد الشريعة، الإمام الطاهر بن عاشور، تحقيق محمد الطاهر المساوي، الطبعة الأولى، دار النفائس ، الأردن. ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- مقصد الحرية في الشريعة الإسلامية- رؤية في الموازنة بين الحريات الشخصية والمصالح العامة، د. بشير عبدالعالي شمام، بحث علمي محكم منشور، مجلة الشريعة والقانون، جامعة إفريقيا العالمية، كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية العدد الثاني عشر، ٢٠٠٨م.
- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ابن القيم الجوزية، تحقيق، حلمي محمد إسماعيل، الطبعة الأولى، دار ابن خلدون، الأردن. ١٩٩٦م.
- مناهج البحث العلمي، عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧م.

- الموافقات في أصول الشريعة، الإمام الشاطبي، تحقيق مشهور أبوعبيدة، الطبعة الأولى، دار ابن عفان، الرياض. ١٤١٧هـ.
- مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م-١٤١٩هـ.
- روضة الناظر، الامام عبدالله ابن قدامة، تحقيق د. شعبان محمد اسماعيل، الطبعة الأولى، المكتبة التدمرية، الرياض. ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
- النهاية في غريب الحديث، محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق علي بن حسن الحلبي، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، الرياض. ١٤٢١هـ.
- اتفاقية الحقوق المدنية والسياسية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية سنة ١٩٦٦م، موقع الأمم المتحدة.

<https://www.ohchr.org/ar/instruments-mechanisms/instruments/international-covenant-civil-and-political-rights>.

List of Sources and References

- Ittihad al-Khaira al-Mahra with the additions of the ten Musnads, author: Abu al-Abbas Shihab al-Din Ahmad bin Abi Bakr bin Ismail bin Salim bin Qaymaz bin Othman al-Busairi al-Kinani al-Shafi'i, presented by: His Eminence Sheikh Dr. Bin Ibrahim, Publishing House: Dar Al-Watan Publishing, Riyadh, First Edition, 1420 AH - 1999 AD.
- Al-Ahkam fi Usul Al-Ahkam, Imam Ali Al-Amadi, second edition, 1402 AH, Islamic Office, Damascus.
- Irwa' al-Ghalil fi Takhrij Hadiths of Manar al-Sabil, Author / Supervisor: Muhammad Nasir al-Din al-Albani Translator: Without Publisher: The Islamic Office - Beirut Edition: The first year of printing 1399 AH.
- Foundations of Public Relations and Their Applications, Hammoud Abdulaziz Al-Badr, Dar Al-Ulum for Printing and Publishing, 1412 AH-1992 AD, Riyadh.
- Islam and Personal Freedom - A Comparative View, Abdullah Yousry Abdul Ghani, The Cultural Journal, University of Jordan, Issue 70, 2007.
- Islam and Common Taste, Fouad Shaker, Oriental Papers, first edition, 1421 AH, 2000 AD, Beirut.
- Similarities and isotopes, Jalal al-Din al-Suyuti, first edition, 1403 AH, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut.
- The Origins of Al-Sarkhasi, by Imam Ahmed Abi Suhail Al-Sarkhasi, investigation: Abu Al-Wafa Al-Afghani, first edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya. Beirut. 1414 AH.
- General Principles, Wahba Al-Zuhayli, first edition, Abbasid Library, Damascus, 1972 AD.
- Flags of the Signatories, Ibn al-Qayyim al-Jawziyyah, investigation by Mashhour Abu Ubaidah, first edition, Dar

Ibn al-Jawzi, Riyadh, 1423 AH.

- Enjoining good and forbidding evil, Sheikh Al-Islam Ibn Taymiyyah, edited by Dr. Muhammad Al-Sayyid Al-Jalind, Dar Al-Muqama'at for Publishing and Distribution, 1406 AH.
- Scientific research: its reality, sources, materials, and methods, Dr. Abdulaziz bin Abdulrahman Al-Rabiah, Obeikan Library, sixth edition, 1433 AH.
- The Joy of the Hearts of the Righteous, Sheikh Abd al-Rahman al-Saadi, edited by Abd al-Rahman al-Duraibi, first edition, Al-Rushd Library, 1422 AH
- Self-purification, Sheikh Al-Islam Ibn Taymiyyah, investigation: Muhammad bin Saeed Al-Qahtani, Dar Al-Muslim for Publishing and Distribution, Riyadh, first edition, 1415 AH-1994 AD.
- Interpretation of the Great Qur'an, Imam Ismael Ibn Katheer, investigated by Sami Al-Salamah, second edition, Dar Taibah for Publishing and Distribution, Riyadh. 1420 AH.
- Interpretation of the Noble Qur'an, Sheikh Abd al-Rahman bin Saadi, first edition, revised and corrected by Abd al-Rahman al-Luwayhaq, Al-Risala Foundation,. Riyadh. 1420 AH.
- Al-Tawqif on the missions of definitions, Abdul Rauf Al-Manawi, first edition, 1410 AH, World of Books, Cairo.
- Al-Bayan Mosque, Imam Muhammad bin Jarir Al-Tabari, without a printed date, Dar Al-Tarbiyah and Al-Turath, Makkah Al-Mukarramah.
- Footnote to Ibn Abidin, edited by Ahmed Abdel Mawjoud, Ali Muhammad Moawad, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, first edition, 1415 AH.
- Limits and controls of freedom in Islam - a comparative study with contemporary concepts, Ibrahim Al-Amin Youssef,

unpublished doctoral dissertation, University of the Holy Qur'an and Islamic Sciences, Sudan, 1431 AH, 2010 AD.

- The Sanctity of Private Life in Light of Modern Scientific Development, Abdel-Azim Muhammad Muhammad, doctoral dissertation, Cairo University, Faculty of Law, 1988 AD.
- Criminal Freedom of Individual Secrets in the Face of Publication, Tariq Ahmed Sorour, Dar Al-Nahda 1991, Cairo.
- Personal freedom within the framework of public freedoms, Dr. Bashir Abdel-Aali Shamam, Al-Tanwir Al-Ma'rifa magazine, a peer-reviewed scientific journal, issue seven, Khartoum, Sudan. 2009 AD.
- Freedom in Islam, Muhammad Al-Khader Hussein, first edition, Hindawi Foundation, London, Britain. 2021 AD.
- Hisba in Islam, Sheikh Al-Islam Ibn Taymiyyah, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut. Without year of publication.
- The Right to Freedom in the World, Wahba Al-Zuhayli, Dar Al-Fikr, first edition, Damascus, Beirut 1421 AH.
- The Ornament of the Saints and the Classes of the Pure, Author: Abu Naeem Ahmed bin Abdullah bin Ahmed bin Ishaq bin Musa bin Mahran Al-Asbahani, Publisher: Al-Saada - next to the Governorate of Egypt, 1394 AH - 1974 AD.
- Legal Protection of Private Life, Abdul Wahab Al-Azraq, Government Issues Management Journal, Jordan, 1959 AD.
- Community service and its importance in light of the texts of the Prophet's Sunnah, Dr. Abdul-Wasi bin Yahya Al-Maghribi, Journal of the University of the Holy Qur'an and Islamic Sciences, Part 6, Issue 17, Omdurman, Sudan. 2020 AD.
- Characteristics of Islamic Legislation, Al-Darini, Al-Resala Foundation, Beirut, second edition 1434 AH.
- The Constitution of Morals in the Qur'an, Muhammad

- Abdullah Daraz, edited by Abdul Sabour Shaheen, Al-Resala Foundation, Beirut. First edition, 1346 AH.
- Zad al-Ma'ad fi Huda Khair al-Ibad, Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Al-Risala Foundation, Beirut, twenty-seventh edition, 1415 AH.
 - Sunan Ibn Majah, author: Ibn Majah Abu Abdullah Muhammad bin Yazid al-Qazwini, edited by: Muhammad Fouad Abdul Baqi, publisher: Dar Ihya al-Kutub al-Arabi - Faisal Issa al-Babi al-Halabi. Without a year of printing.
 - Sharia Policy in Constitutional, Foreign and Financial Affairs, Abdul Wahab Khallaf, Dar Al-Qalam, 1408 AH - 1988 AD.
 - Sahih Al-Bukhari, author: Muhammad bin Ismail Abu Abdullah Al-Bukhari Al-Jaafi, editor: Muhammad Zuhair bin Nasser Al-Nasser, publisher: Dar Touq Al-Najat, edition: first, 1422 AH.
 - Spaces of Freedom: Research into the Concept of Freedom in Islam, Sultan bin Abdul Rahman Al-Amiri, second edition, Arab Center for Human Studies, Cairo. 2013 AD.
 - Rules of Rulings, Al-Izz bin Abdul Salam, first edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut. 1414 AH.
 - The Book of the Spirit, Imam Ibn Qayyim al-Jawziyyah, edited by: Muhammad Ajmal Ayoub al-Islahi, Alam al-Fawa'id Publishing House.
 - Human Dignity in Light of Islamic Principles, Abdulaziz Al-Tuwaijri, publications of the Islamic Educational and Cultural Organization (ISESCO), second edition. Issue twenty-eight, 1419 AH, 1999 AD.
 - Ensuring Freedoms in Islam, Faleh bin Abdul Rahman bin Faleh Al-Sagheer, unpublished doctoral dissertation: Department of Sharia Politics, Higher Institute of Judiciary, Al-Imam University, ١٤٠٥ AH-١٤٠٦ AD.

- Lisan al-Arab, Muhammad Ibn Manzur al-Ansari, eighth edition, Dar Sader, Beirut. ١٤١٤ AH.
- The Human Society in the Shadow of Islam, Muhammad Abu Zahra, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, without a year of printing.
- Total Fatwas of Sheikh Al-Islam Ibn Taymiyyah, compiled by Abdul Rahman bin Muhammad bin Qasim, printed by the King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an.
- General Jurisprudential Introduction, Mustafa Ahmad Al-Zarqa, first edition, Dar Al-Qalam, Damascus. ١٩٨٣ AD.
- Introduction to Humanitarian Public Relations, Dr. Ali Fayez Al-Juhani, first edition, Center for Studies and Research, Naif Arab University for Security Sciences. ١٤٢٧ AH-٢٠٠٦ AD.
- Introduction to Scientific Research Methods, Dr. Muhammad Muhammad Qasim, first edition, Dar Al Nahda Al Arabiya, Beirut, Lebanon. ١٩٩٩ AD.
- The Question of Freedom in Ibn Ashour's Blog, Jamal Al-Din Darawul, Dar Al-Hadi for Printing, Publishing and Distribution, first edition ١٤٢٧ AH, ٢٠٠٦ AD.
- Musnad Imam Ahmed bin Hanbal, author: Abu Abdullah Ahmad bin Muhammad bin Hanbal bin Hilal bin Asad Al-Shaibani, investigator: Shuaib Al-Arnaout - Adel Murshid, and others, supervision: Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen Al-Turki, publisher: Al-Risala Foundation, Edition: The first, ١٤٢١ AH - ٢٠٠١ AD.
- Al-Musnad Al-Sahih Al-Musnad, which is summarized by transferring justice from justice to the Messenger of God, may God's prayers and peace be upon him. .
- Social Responsibility towards Security, Suleiman bin Abdullah Al-Aqeel. Peer-reviewed scientific research in Education Magazine, Issue (١١١), Faculty of Education, Al-Azhar University. ٢٠٠٢ AD.
- Responsibility and Penalty in the Holy Qur'an, Muhammad Ibrahim al-Shafi'i, first edition, Publications Library, Cairo. ١٩٨٦ AD.

- Al-Misbah Al-Munir fi Gharib Al-Sharh Al-Kabir, Ahmed bin Muhammad Al-Fayoumi, Scientific, Beirut. Without year of publication
- The interest of self-preservation in Islamic law, Dr. Muhammad Ahmed Al-Mubayed, first edition, Al-Mukhtar Publishing and Distribution Foundation, Cairo, Egypt. ١٤٢٥ AH-٢٠٠٥ AD.
- Dictionary of the Contemporary Arabic Language, Dr. Ahmed Mukhtar Abdel Hamid Omar, World of Books, first edition, ١٤٢٩ AH-٢٠٠٨ AD.
- Lexicon of the Language of Jurists, by Muhammad Rawas Qalajji-Hamid Sadiq Quneibi, Dar Al-Nafais for Printing, Publishing and Distribution, second edition, ١٤٠٨ AH, ١٩٨٨ AD.
- Vocabulary of the Qur'an, Al-Raghib Al-Isfahani, investigation by Safwan Dawi, fourth edition, ١٤٣٠ AH, Dar Al-Qalam, Damascus.
- The purposes of Islamic law in preserving and developing money, Muhammad bin Saad Al-Muqrin, an unpublished doctoral dissertation, Umm Al-Qura University, College of Sharia and Islamic Studies. ١٤٢٠ AH.
- Objectives of Sharia, Imam Al-Tahir bin Ashour, edited by Muhammad Al-Tahir Al-Masawy, first edition, Dar Al-Nafais, Jordan. ١٤٢١ AH - ٢٠٠١ AD.
- The purpose of freedom in Islamic law - a vision for balancing personal freedoms and public interests, Dr. Bashir Abdel-Ali Shamam, published peer-reviewed scientific research, Journal of Sharia and Law, International University of Africa, Faculty of Sharia, Law and Islamic Studies, Issue ١٢, ٢٠٠٨ AD.
- The Virtues of the Commander of the Faithful, Omar ibn al-Khattab, Ibn al-Qayyim al-Jawziyyah, edited by Hilmi Muhammad Ismail, first edition, Dar Ibn Khaldun, Jordan. ١٩٩٦ AD.
- Scientific Research Methods, Abdul Rahman Badawi, Publications Agency, Kuwait, ١٩٧٧ AD.
- Al-Muwafaqat fi Usul al-Sharia, Imam al-Shatibi, edited by Mashhour Abu Ubaidah, first edition, Dar Ibn Affan, Riyadh. ١٤١٧ AH.

- Encyclopedia Business Foundation for Publishing and Distribution, Kingdom of Saudi Arabia, Riyadh, second edition, ١٩٩٩ AD-١٤١٩ AH.
- Rawdat Al-Nazir, Imam Abdullah Ibn Qudamah, edited by Dr. Shaaban Muhammad Ismail, first edition, Tadmuriya Library, Riyadh. ١٤١٩ AH - ١٩٩٨ AD.
- Al-Nihayah fi Gharib al-Hadith, Muhammad al-Jazari Ibn al-Atheer, edited by Ali bin Hassan al-Halabi, first edition, Dar Ibn al-Jawzi, Riyadh. ١٤٢١ AH.
- Convention on Civil and Political Rights and Economic, Social and Cultural Rights of 1966 AD, United Nations website. <https://www.ohchr.org/ar/instruments-mechanisms/instruments/international-covenant-civil-and-political-rights>.